
إيقاع الحياة
في جنوب السودان
بداية
المسيرة
120

د. محمد البهي

الإسلام في حياة الإنسان

رسالة الاسلام شاملة لجوانب الحياة الانسانية . وليست لجانب منها ، دون الجوانب الاخرى ، وهى :
– لسلوك الانسان
– ولسعيه فى الحياة
ولعلاقته مع الآخرين فى مجتمعه ، وفيما وراء هذا المجتمع .

– وهى للفرد فى توازنه بين العقل والغريزة، وللمجتمع فى سياسته وحكمه .

فالفرد مدعو الى جهاد نفسه .. الى ضبط شهوته وهواه . إن استمتع بمتع هذه الحياة الدنيا فلا يسرف فى استمتاعه بها .
(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)
(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين)

.. وينكر القرآن على من يحرم الاستمتاع بل : تحريمه إياها فيقول :
(قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده
(والطيبات من الرزق)
(قل هى للذين امنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)

..والمجتمع مدعو كذلك فى سياسته ان يكون أمره شورى بين افراده . فيقول القرآن فى وصف المؤمنين :
(وأمرهم شورى بينهم)..

..ويطلب الله من رسوله الكريم : ان يستمر فى مشاورة ذلك الفريق من المؤمنين الذى تولى عن القتال يوم (أحد) رغم أن توليه كان من أسباب هزيمة المؤمنين فى هذه الموقعة :
(فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم فى الامر) ..

الدين والدولة

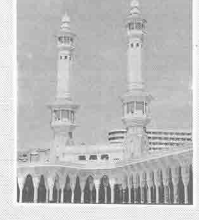
.. والحكومة الاسلامية ليست حكومة إلهية . على معنى انها حكومة غير معصومة عن الخطأ والصواب .. هى تعمل بالكتاب والسنة الصحيحة ، وتجتهد فيما تفهمه وفيما تطبقه منها . فان أصابت كان لها اجران ، وإن اخطأت فلها اجر واحد .

.. ومن هنا ليس هناك فصل فى الاسلام بين (دين) ..و (دولة) . فالاسلام سياسة امة ودولة ، ومنهج فرد وجماعة . و (العلمانية) لا تقوم على أرض المسلمين ، وليس فى دنيا المسلمين أمور مقدسة تتولى أمرها مؤسسة على نمط الكنيسة ، وامور اخرى غير مقدسة تتولى أمرها هيئة على نمط الدولة . ولا تقوم على ارض المسلمين كذلك : حكومتان وسلطتان : حكومة تحل فى رئيسها روح الله ، وحكومة اخرى بشرية صرفة .. (والمادة) فى الاسلام ليست نجسة ، ولا شريرة ، وانما النجس فى الاسلام هو الشرك . والشرك هو عبادة غير الله مع الله .

ورسالة الاسلام فوق الزمان : هى للأمس – واليوم – والغد .

وفوق المكان : هى لهذا المكان ولذاك .
وفوق القيصرية : هى للعرب وغير العرب .

وفوق الطائفية والفرقة المذهبية ؛ لانها جاءت لطبيعة الانسان وخصائص الانسان التى يتميز بها عن كل ما عداه . فمبادئها تساند الطبيعة البشرية . إن نهت الانسان عن امر ما فلمصلحة تعود على هذه الطبيعة وإن امرته بشيء ما فالصالح فى هذه الطبيعة أيضا .



الزمان والمكان

ومن اجل أن رسالة الاسلام فوق الزمان والمكان ، وفوق العنصرية : لايعرف الاسلام حدودا جغرافية بين مجتمع اسلامي وآخر اسلامي أيضا ولا يعرف حدودا قومية بين شعب وأخر . وإنما يعرف مسلمين على أرض إسلامية ، والمسلمون ليسوا غرباء فيما بينهم وإنما هم اخوة فى أى مكان ، وفى أى زمان ، وبين كل شعب . وهم متكافئون على أرض هذا المجتمع من المجتمعات الاسلامية ، أو على ارض ذاك المجتمع الاخر منها . فالرباط بين المسلمين هو رباط الايمان بالله ، فوق القبيلة وفوق التراب والوطن :
(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)

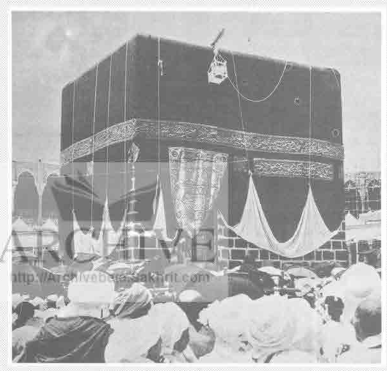
واذا كانت الارض ، والتراب ، لا يفصل بين مسلم ومسلم فالذى يخرج من هذه الارض كذلك ليس لمسلم دون آخر . وإنما المسلمون فيه سواء . والزكاة إن فاضت عن حاجة بلد توزع على حاجة البلد القريب منه . وهكذا : حتى لا تكون هناك حاجة لمحتاج فى المجتمعات الاسلامية .

وأرض المسلمين إذن لا تعرف تكدسا وكثافة سكانية فى مكان ، واضمحلالا وقلة فى مكان آخر . ومال المسلمين كذلك لا يعرف ترفا عند فريق وحرمانا عند فريق آخر وزكاة الركاز ، وهى خير وبركة للمسلمين فى بقاع الارض . ولكنها لا تنتقل كبقية انواع الزكاة الاخرى ، حتى تؤدى غايتها فيما وجدت فيه المعاون أولا .

وتطبيق الاسلام يجب أن يكون أولا فى قبول المسلمين لبعضهم كأخوة على أرضهم وليسوا كغرباء فى أى مجتمع من مجتمعاتهم .

وثانيا فى ان يأخذ العدل الاجتماعى طريقه بحيث يكون مال المسلمين فى خدمة حاجة المسلمين . ولا يعنى أن يكون مال المسلمين فى خدمة حاجتهم : أن تقسم

- رسالة الإسلام فوق الزمان .. إنها للأمس واليوم والغد
- الإسلام لا يعرف حدوداً جغرافية بين مجتمعين إسلاميين
- الرباط بين المسلمين في كل مكان هو رباط الإيمان بالله



ملكيته فيما بينهم أو تحول الى ملكية عامة وإنما معناه أن تكون زكاة هذا المال ومنفعته لمصلحة المسلمين اينما وجدوا. وهذا معنى قوله تعالى فى سورة النحل :

(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق)

(فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم)

(فهم فيه سواء)

(افبنعمة الله يجحدون)

فالمساواه التى تطلبها الآية هنا فى المال بين من يملك ومن لا يملك فى قوله – فهم فيه سواء – هى المساواة فى المنفعة وليست فى الملك للمال . لأن الارقاء أو من تسميهم الاية هنا (بمن ملكت ايمانهم) لا يجوز لهم التملك بسبب ملك اليمين . ويبقى اذن بعد التملك : أن تكون المساواة فى المنفعة . ولا شك أن أنصبة الزكاة صورة من صور المنفعة العامة للمال

وبتطبيق المسلمين للاسلام على هذا النحو لاتكون هناك مشكلة للسكان على الارض المسلمين : هنا : انفجار سكانى . ومن أجل ذلك يستخدم ما يسمى بتنظيم الاسرة . وهناك فى مكان أخر قلة ملحوظة من السكان ومن اجل ذلك تستورد الايدى العاملة . وكما لا يخلو تنظيم الاسرة من مخاطر على الاخلاق والصحة ، فان جلب الايدى العاملة الاجنبية قد يحمل من المخاطر ما يهدد الاسلام نفسه فى المجتمع المستورد لهذه القوى العاملة

وبتطبيق الاسلام على هذا النحو ايضا لا تكون هناك مشكلة اقتصادية على الارض الاسلامية تهدد المجتمع الذى يشكو من الفقر والحرمان : بالشيوعية .. وبالصراع الدموى .. ويتقلص ظل الاسلام فيه .

.. وبهذا أو ذاك : يكون الاسلام طاقة ، وصراطا مستقيما لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمعات الاسلامية ككل .

أما المبادرة لاعلان تطبيق الاسلام فى (الحدود) .. فان تطبيقه فى هذه الدائرة وإن كان أمرا هاما لكن يحيط تنفيذه كثير من الشبهات التى تدرأ الحدود نفسها . فالمجتمعات الاسلامية اليوم فى حاجة ماسة قبل ذلك الى حل مشاكلها الاقتصادية بصورة أو بأخرى ، وحل مشاكلها الاجتماعية : وخاصة مشكلة الاسكان فى بعض المجتمعات فيها.

دعوة الرسالة

ورسالة الاسلام هى رسالة الدعوة الى الانتقال من وضع نفسى واجتماعى للانسان إلى وضع أخر مقابل له تماما . وقد صور هذا الانتقال أوضح تصويره : قول الله تعالى فى سورة ابراهيم :

(الر ، كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات .. الى النور)

(باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض)

(وويل للكافرين من عذاب شديد الذين :

١ (يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة)

٢ (ويصدون عن سبيل الله)

٣ (ويبغونها عوجا)

(اولئك فى ضلال بعيد)

فهذه الايات آلثلاث تقسم المجتمع البشرى الى نوعين لا يلتقيان أبدا : الى نوع مظلم فى اتجاهه فى الحياة .. ونوع اخر مسرق فى سلوكه ، ومعاملاته ، وترابطه وأصحاب الاتجاه المظلم كما تصفهم الاية الثالثة هنا هم اولئكم الذين يؤثرون الحياة الدنيا ومتعها المادية على تطبيق القيم الانسانية فى حياتهم ، وفى علاقاتهم بالآخرين .. والذين يصدون عن سبيل الله

الإسلام في حياة الإنسان

بكل وسيلة ممكنة بتشويه هذا السبيل ، وانتقاصه ، والافتراء عليه .. والذين يبغون هذا السبيل معوجا لا يستقيم أمره إطلاقا فى نظر المؤمنين به ، أو فى نظر أولئكم الذين يدعون إليه .

عدم الاسراف

وهؤلاء أصحاب هذا الاتجاه المظلم هم الماديون أو الجاهلون فى كل عهد . هم الذين يكفرون بالله ، واليوم الآخر .. هم الذين يرون الايمان بالقيم الانسانية ضعفا . ولذا كانت منزلتهم عند الله : انهم فى ضلال مبين .

اما أصحاب الاتجاه المشرق فى هذه الحياة فهم الذين يؤمنون برسالة الله .. هم الذين لا يحرمون على انفسهم : الاستمتاع بمتع هذه الحياة الدنيا ، ولكنهم يؤثرون عليها :

— أولا أن ينتهى صراعهم النفسى والداخلى بين الشهوة والهوى من جانب ، والحكمة والعقل من جانب آخر ، الى التوازن ، وعدم الميل والانحياز الى الطرف الأول . ومعنى التوازن لديهم : أن لا يسرفوا فى الاستمتاع بمتع هذه الحياة المادية . وبذلك يوجد فى حياتهم ، وفى نعم الله عليهم مكان للآخرين . وبذلك تسود بينهم جميعا : المودة.. والتعاون .. والاخاء فى الانسانية ..والرحمة من قويهم نحو ضعيفهم .. والمساواة فى الاعتبار البشرى بينهم جميعا.

— وثانيا ان يتحقق العدل بين أفرادهم فى معاملاتهم ، وفى علاقاتهم . على معنى أن صاحب المال فيهم يعطى لمن لا مال له ، وهو فى حاجة الى المال ، من مال الله لديه . وإخراج الزكاة صورة من صور العدل بين الأفراد ، أو صورة من صور التوازن بينهم .

فان زاد فى العطاء من يملك المال على الزكاة ، فقد زاد عن العدل .. واحسن . واذا زاد صاحب المهنة فى العطاء الانسانى . كالطبيب ، أو المعلم مثلا ـ فى العطاء من مهنته اكثر من الاجر الذى يعود عليه عادة من ممارسة المهنة ، فقد زاد عن العدل .. واحسن . والاحسان اذن يأتى بعد العدل عند عطاء فى غير مقابل لصاحب الحاجة الى هذا العطاء .

فالمؤمنون برسالة الله غير ـ انانيين ـ . ولديهم روح المشاركة الاجتماعية لغيرهم . يحبون الآخرين كما يحبون انفسهم ، ولكن فى سبيل الله وحده . وليس لمنفعة خاصة تعود عليهم . وروح المشاركة التى تتمكن منهم هى مصلحة الخير فى المجتمع إذ الخير ليس إلا عطاء فى غير مقابل ، مما ينفع الناس من : مال .. وعلم .. وجاه .. وقوة .

وأى انسان لايكتفى بالعطاء فقط ، بل يكون ايضا بالتهذيب فى القول .. وفى السلوك .. وفى المعاملة . هو مرتبة عليا فى مستوى الانسانية . بينما العدل مرتبة ادنى منها فى هذا المستوى .

متع الحياة

— ودعوة الاسلام لا تلغى متع الحياة الدنيا بطلب الانصراف عنها وإلا ما بقيت الدنيا دارا للتجربة والاختبار .. والا ما بقيت فى صلاحية لأن تكون الحياة الانسانية فيها مميزة بين الناس فى اعمالهم وسلوكهم .

دعوة الاسلام تعترف بالدنيا ، وبالمتع المادية فيها .. وتدعو الانسان الى الاستمتاع بها . ولكن فى اعتدال .. وغير اسراف :

(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)
(وكلوا واشربوا)
(ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين)

دعوة الاسلام تريد فقط : ان يتخذ المؤمن بها من عدم الاسراف فى هذه المتع ، طريقا يجنبه الطغيان بالمتع هذه فلا يعبدها من دون الله . ومعنى عبادتها من دون الله : أن يركز سعيه فى الحياة لتحصيلها وينسى نوعية السبيل التى يسلكها فى تحصيلها : أهي سبيل ضارة بالنفس او الغير ، او بهما معا ؟ .. لا يسأل عن الحلال ، والحرام . فى اختيار هذه السبيل :

أ — فيرى فى الاعتداء بالسرقة .. وبالنصب .. وباستضعاف الضعيف كاليتامى والنساء . والصغار . سبيلا مشروعا فى تحصيل المتع المادية .

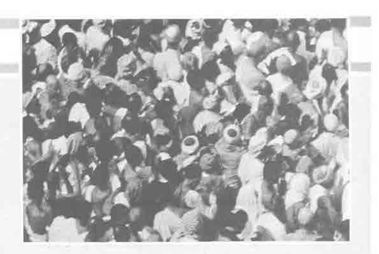
ب — ويرى فى إضعاف جانب الحق برشوة الحاكم .. أو فى إذلال صاحب الحاجة بالربا .. أو بالاحتكار .. او بعدم العدل فى المعاملة كتطفيف الكيل والميزان طريقا صحيحا لتحصيل متع الحياه .

جـ — ويرى : التبذير .. والسفه فى انفاق المال .. والترف فى استخدام المتعة ، امر لا يحق لانسان أن يعيبه على من يملك القدرة على الانفاق فيما يشاء ! .

معنى عبادة المتع المادية من دون الله ، أن تجعل العلاقة بين المادة ـ والله : علاقة يسمو فيها اعتبار المادة على ما لله من كمالات تحدد القيم فى العلاقة بين الناس . فمن بين كمالات الله : الخلق ـ والقدرة ـ والابداع ـ والرحمة ـ وغنى الذات ـ والعلم ـ والهيمنة .. الخ وهى كمالات ينعكس الايمان بها على الانسان المؤمن : فى نفسه ، وفى علاقته بالآخرين . اذ المؤمن بالله له من ايمانه : ان يحكى صفات المولى فى ذاته : فيتقرب اليه بعمله الجيد الذى ينطوى على خالقية وابداع .. وبعلمه الواسع ، وبرحمته الآخرين ، وبهيمنته ، وبغناه الذاتى .. وعبادة المتع المادية إذن : تفضيلها فى السعى والهدف للانسان ، على تحصيل ما يتقرب به المؤمن بالله فى ذاته ، حكاية عن كمالاته ، أو عما يدعو اليه المستوى فى الانسانية فى العلاقة بين انسان وانسان من : مودة .. وتعاون ـ وعدل .. واحسان .. ومحبة .. وإيثار .. الخ

فالعابد للمتع المادية لا يفسح فى نفسه بجانب المال وزينة هذه الحياة الدنيا مجالا لمعنى : الرحمة ، والعدل ، والمودة ، والتعاون ، والعلم ، والابداع .. أو غير ذلك من القيم العليا فى حياة الانسان . ويعتبرها عديمة الجدوى ! .

والحضارة فى نظر العابد للمتع المادية هى الحضارة المادية وحدها . هى حضارة القوة .. حضارة الصناعة .. حضارة الاستعلاء .. حضارة المال .. وحضارة العمارة .. حضارة الخدمات . وبالتالى لا تمثل القيم الانسانية فى نظره حضارة ، فالعفة .. والقناعة .. والمروءة .. والمعاونة .. والتواد .. والمحبة .. وابعاد الاذى والضرر عن النفس والضمير .. والاستقامة فى السلوك .. والعدل بين الناس .. ونحوها :



معان بعيدة عن مسمى الحضارة فى نظره . ولا يقيمها إلا عاجز أو ضعيف ، أو صاحب حاجة الى الى الآخرين ! .

القيم الانسانية

دعوة الاسلام تدعو الى حضارة انسانية أى تدعو الى تحقيق القيم الانسانية العليا فى سلوك الناس ، وفى علاقات بعضهم ببعض . ولكنها لا تنتقص الحضارة المادية .. هى تفصل بين حضارتين ، ولا تربط بينهما . فقد كان المسلمون على عهد الرسول عليه السلام وعلى عهد الرسالة أصحاب مستوى انسانى فاضل ، وكانت روح التماسك بينهم هى الروح المستمده من هداية الله . وليست روح الطائفية أو القبلية أو الشعوبية والقومية :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

(واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتة اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها)

.. ولم يكونوا اصحاب حضارة مادية .. لم يكونوا اصحاب صناعة او بناء او تشييد

واليوم توجد حضارة مادية فى قمة الحضارات المادية التى يذكرها التاريخ للبشرية . ومع ذلك تكاد لا توجد معها تلك الحضارة الانسانية ، وهى حضارة القيم الانسانية العليا . حضارة المشاركة وعدم الانانية .. حضارة الاحساس المشترك بين الناس جميعا .. حضارة التعاطف والتواد .. والتعاون .. والمساواه فى الاعتبار البشرى . إن الحضارة التى توجد اليوم : هى حضارة القوى .. حضارة التقدم فى الآلية ، والتقدم فى وسائل التدمير والابادة .. هى حضارة (الصراع) من أجل البقاء ، والاستعلاء .. حضارة العلم للظفر والغلبة .

دعوة الاسلام لا تنتقص الحضارة المادية. ولكنها تريد بجانب ذلك : أن تعيد للحضارة الانسانية وزنها واعتبارها فى حياة الانسان . ولهذه الغاية تعيد تقييم الانسان بعمله الانسانى ، وليس بثروته ، ولا بما يملك من متع هذه الحياة المادية . فقيمته بما يؤديه من عمل لخير نفسه وخير الآخرين . وليس برقم الثروة التى يملكها . والمال إذن فى ملك الانسان منعزل تماما عن قيمة الانسان . فالذى لا يملك المال قد يكون أفضل عند الله ممن يملك الكثير منه :

(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا) .. ورزق الله للانسان لا يدل على تفضيل الله له ، على من يملك القليل أو من لا يملك شيئا منه ، فالكافر أو المؤمن ، سواء فيه :

(كلا نمد : هؤلاء وهؤلاء ، من عطاء ربك

(وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) ..

ودعوة الاسلام فى اعادة تقييم الانسان تعود بالتقييم الى الاصل العام الذى جعلته اساسا ، وهو المساواة فى الاعتبار البشرى بين الناس جميعا .. والتميز بينهم بعد ذلك بالعمل ومدى انطوائه على المستوى الانسانى الفاضل . فجاءت المساواة فى قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) .. وجاء التمييز بعد ذلك فى قوله جل شأنه

(ياايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير) ..

.. فنوعية العمل هى التى تميز الانسان عن انسان . فكلما كانت نوعيته لصالح الكثرة من الافراد فى الامة ، كلما تميز بالقيود عند الله .. وكلما ابتعد عن الانانية وعن الشعوبية ، كلما كان أقرب الى الخير والصالح العام .

أما فى مجال السعى فى الحياة من أجل الرزق فقد سوت دعوة الاسلام بين أداء العبارة .. واداء السعى من اجل الرزق . وقوله تعالى فى سورة الجمعة يعلن عن هذه المساواه :

(يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ،

فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) . فاللانسان جهده فى الكسب لتحصيل الرزق .. وجهاده ضد هوى النفس فى توجيه العمل نحو خير المجتمع والامة .

الخصائص البشرية

وإذا كانت دعوة الاسلام تستهدف اعادة التقييم للقيم الانسانية فى مواجهة المتع المادية فى حياة الانسان بحيث لا يطغى بالأخيرة على حساب الاولى ، كما هو طابع الحياة فى المجتمع المادى ، فهى دعوة فوق الزمان .. وفوق المكان .. وفوق العنصرية ، أي لا يحدها زمن ، ولا مكان ، ولا شعب . وهذا معناه : أن نزول القرآن باللغة العربية ، وفى مكة ، وفى يثرب ، وفى مواجهة قريش أولا ، ثم القبائل العربية الاخرى ، لا يجعل رسالة الاسلام للعرب وحدهم فى شبه الجزيرة العربية ، كما لا يجعل عهدها فقط هو عهد الجاهلية ، والكهانة ، والوثنية التى كانت بمكة .

فأينما كان هناك اختلال فى ميزان التعادل بين القيم الانسانية من جانب والمتع المادية من جانب اخر .. طالما كان هناك طغيان بهذه المتع فالمكان هو مكان الدعوة الى الاسلام .

وفى أى وقت .. وفى أى شعب وفى أى مجتمع يطرأ هذا الاختلال فى صحية الطغيان بالمادية ، فالوقت ، والشعب ، والمجتمع ، هو وقت الدعوة الى الاسلام ، والشعب ، والمجتمع كلاهما فى حاجة الى (اعادة التقييم) .. أو فى حاجة الى رسالة الاسلام .

ويجب ان يكون معروفا: أن الصراع بين الفرس والروم على عهد رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كان المقدمة أو التمهيد لرسالته . فقد كان صراعا بين قوتين عاشتا في طغيان مادى ، وكان لهما من النفوذ المادى ما يجعل العالم آنذاك عالما ماديا . فاذا كان الرسول عربيا ، ولغة القرآن عربية ، ومكان الوحى في شبه الجزيرة العربية ، والدعوة اليها بين العرب اولا . فان ذلك لايخرجها عن كونها نداء ضد طغيان المادية، ودعوة الى القيم الانسانية والى التحول الى مجتمع انسانى . وهى من اجل ذلك دعوة عالمية أو (إنسانية) .. هى دعوة ضد طغيان المادية . والاسلام اليوم له مكان فى العالم المادى صاحب الحضارة المادية المسيطرة والمنتشرة اليوم فى مجتمعات الانسان المعاصر .

الاسلام اذ يطلب اليوم ليس طلبه دعوة الى (الوراء) . والماضى . بل دوره اليوم .. وغدا ، لاعادة حياة الانسان الى مستوى إنسانى ، بعيد عن الاثانية وطغيانها .

مكان الاسلام اليوم فى عالمنا المعاصر لا يقل عن مكانه على عهد الجاهلية ، عندما ارسل المصطفى عليه السلام الى الجاهليين فى كل مكان : فى شبه الجزيرة العربية .. فى الامبراطورية الفارسية .. فى الامبراطورية الرومانية .. فى عالم الامس كله أيام بعثة المصطفى عليه السلام اذ لا فارق بين اليوم .. والامس ، فى طغيان المادية فى المجتمعات الانسانية . بالامس كانت جاهلية .. واليوم توجد الجاهلية . وهى جاهلية البعد عن القيم الانسانية العليا فى حياة الانسان ، فاذا صاحبت جاهلية اليوم حضارة مادية فى قمة الحضارات التى يذكرها تاريخ الانسان ، فان ذلك لا يغير من واقع الأمر . وهو واقع الضعف للقيم الانسانية ، أو واقع التلاشى لها .

رسالة القرآن

ويوم أن خرج العرب من شبه الجزيرة العربية يحملون الايمان بالاسلام الى الآخرين فى المجتمعات المادية على عهد الخلافة بعد وفاة الرسول عليه السلام ، لم يكن خروجهم واتصالهم بالآخرين خروجا للغزو ولا إتصالا من أجل السيادة عليهم وإنما كان اتماما للدعوة الاسلامية التى تدعو المؤمنين جميعا الى الوقوف فى وجه طغيان المادية واعادة الفضيلة والاعتبار من جديد للقيم الانسانية فى حياة الناس .. فى أى مكان .

ووفاة الرسول عليه السلام ليست نهاية لرسالة الله ، وهى رسالة القرآن . فرسالة الله باقية .. ورسالة القرآن باقية . وجاء الامر بالاستمرار فيها ، فى قوله تعالى :

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر)

(واولئك هم المفلحون) ..

فطلب مباشرة الدعوة الى رسالة الله بعد وفاة الرسول عليه السلام ، من جماعة غير معينة ، هو أمر بديل عن رسالة رسول جديد فى عهد ما ، طالما أن محمد صلوات الله عليه خاتم الانبياء والمرسلين ، وطالما كان قرآنه مهيمنا على رسالة الله على الانسان .

وهكذا : اتهم اعداء القرآن : المؤمنين ، بأنهم نشروا الدعوة الى الاسلام فى المجتمعات غير العربية بحد (السيف) .. وبالاكراه : ادعاء يحمل الغرض بين جنبيه .

والاسلام فى حياة الانسان هو لمصلحة الانسان الذى يؤمن به .. ولمصلحة المجتمع الذى يتكون من افراده المؤمنين به . إنه لصياغة الفرد والمجتمع صياغة إنسانية ، بعيدة عن الصراع ، والقلق ، والاضطراب (وقل الحق من ربك ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر) ..

- **الروح عماد البدن ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم .**

« ابن التوأم »

- **قالوا : شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من علمه ، واختياره قطعة من عقله .**
- **وقالوا : البيان بصر ، والعي عمى ، كما أن العلم بصر والجهل عمى ، والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل .**
- **حياة المروءة الصدق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحلم العلم ، وحياة العلم البيان .**
- **كان الناس ورقا لا شوك فيه ، فأصبحوا شوكا لا ورق فيه .**

« أبو ذر الغفاري »

- **لا تطلبوا الحاجة الى ثلاثة : الى كذوب ، فانه يقربها وان كانت بعيدة ، ويباعدها وان كانت قريبة ، ولا الى أحمق ، فانه يريد أن ينفعك فيضرك . ولا الى رجل له الى صاحب الحاجة حاجة ، فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته .**
- **عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه ..**

« المهلب »





لا وسط ...

ذلك هو مفتاح الشخصية العربية حيث الانسان في وطننا العربي كبندول الساعة اما إلى اليمين واما إلى اليسار ...

في عداواتنا نحن نقف على ابعد خط من خطوط الكراهية والحقد ...

وفي صداقتنا لا مانع لدينا من ان نضحى باولادنا اكراما لضيوفنا كما فعل السموءل ..

تاريخنا سلسلة من الافعال وردود الافعال التي لا تعرف الحد الفاصل بين حكم المنطق وحكم المزاج ...

في لحظة مزاجية كان الخليفة يتحول إلى (متلاعب) باموال الدولة حين يامر بمنح زيد من الشعراء مائة الف درهم لانه قال قصيدة مدح اعجبته ..

وفي لحظة مزاجية اخرى كان نفس الخليفة يتحول إلى نهر من الجنون حين يامر باحضار النطع والسيف لقطع عنق زيد من الناس لانه قال بيتا من الشعر لم يعجبه ..

لذلك كانت لغتنا اثرى لغات الارض قاطبة واغناها بقصائد المديح التي كانت تصل بالممدوح إلى درجة قريبة من درجة الالوهية وتصل في هجائها إلى حد لم يتورع فيه احد الشعراء من ان يهجو نفسه بعد ان راى وجهه ينعكس على صفحة الماء :

أرى لك وجها قبح الله شكله
فقبح من وجـه وقبح حاملـه

ونحن امة تغرق فى عواطفها حتى الثمالة ... فالحزن عندنا لايستقيم ان لم نشق جيوبنا ونضرب صدورنا وان لم نولول صائحين نائحين ...

اننا امة تغرق فى صداقاتها حتى الهوس وتغرق فى عداءاتها حتى الجنون ...

الاحمر عندنا لا يمكن ان يتحول الى برتقالى او بنفسجى او اى من هذه الالوان التى تقترب منه حتى ولو مزج بالف لون ولون ...

والاسود عندنا لايمكن ان يتحول الى رمادى ... فنحن نرفض دائما ان نتعامل معه الا على انه لون غير قابل للتغيير

فنحن اما تقدميون واما رجعيون ...

اما وطنيون او عملاء للاستعمار ...

اما ملحدون او مؤمنون ...

لاتوجد عندنا تلك الدرجة التى تفصل بين التقدمية والرجعية ولا تلك التى تفصل بين الوطنية والخيانة ولا تلك التى تفصل بين الايمان والالحاد .

نحن لانؤمن بان الوطنية درجات والرجعية درجات والايمان درجات ... فكل شيء عندنا اما ابيض واما اسود ولا لون يفصل بين الاثنين ...

وحين تفجعنا الاحداث فان بعضنا يغرق فى الكاس للدرجة التى يفقد فيها ادميته ... وبعضنا يتلبسه الحزن الى الدرجة التى يتلفع فيها بالسواد عاما او عامين ... وربما الى الابد ... بل ان بعضنا يستنفر فى عينيه نهر الدموع بواسطة الندابات والنائحات وبائعى اللوعة الكاذبة ...!

اغنيتنا هنا موال حزين لا نهاية له ..وهى هناك لوعة حب شاحبة موسومة منذ القدم بالعذاب والالم والهجر ... همها ان تبحث عن كلمات تفجر الدموع وتفجع القلوب كانما لاشيء هناك فى الحب يمكن ان يشيع البهجة فى القلوب او يرسم البسمة على الشفاه ...

وتسال عن السر فى ذلك فلا ترى سوى اننا امة لاتعرف كيف تقف فى الوسط.

صداقتنا وعداواتنا – افرادا او دول – لاتخضع لعلم المنطق بقدر ما تخضع لشفافية المزاج ... فنحن نحب لا لان مصلحتنا تقتضى منا ان نحب ولكن لان شيئا ما نستلطفه فيمن نحب ..

ونحن نكره لا لان حساب الربح والخسارة هو ميزان هذا الكره ولكن لان شيئا ما لانستلطفه فيمن نكره ... ولذلك ففى كل يوم لنا اصدقاء جدد وفى كل يوم هناك احتمال ان ينتقل اصدقاؤنا من خانة الحب الى خانة الكره ...

ونحن ايضا – وفى لحظة مزاج واحدة – قادرون على ان ننسى كل إساءات خصمنا مهما بلغت درجتها حتى ولو مست كبرياءنا وشرفنا ... ليتحول هذا الخصم الى (العزيز فلان والعزيز علان) ... اكثر من ذلك ربما ذهبنا فى كرمنا الى الحد الذى نبرر فيه مواقف خصومنا السابقة .. بل والاعتذار عنها .

ومن هنا تحول تاريخنا – خاصة الحديث منه – الى سلسلة من عمليات الثار والانتقام والثورات والثورات المضادة ... فالتاريخ عندنا مصاب بلوثة القفز العشوائى فوق الخطوط البيانية حيث لا موازين يمكن ان تقومه ولا ضوابط يمكن ان تحدد خطاه واصبحت دولنا كبندول الساعة الذى لايعرف الوسط تتحول – وفى لحظات خاطفة يصعب تفسيرها تاريخيا – من ديمقراطية الى دكتاتورية الى اشتراكية الى شيوعية الى اوتوقراطية دون ان تضطر الى المرور بالمراحل التاريخية المتدرجة لهذه التحولات المفاجئة السريعة ذات النبض الخاطف الذى لا يخضع لمنطق التاريخ ولا لحساباته ..

لاوسط ...

فامريكا عدوتنا اليوم هى صديقة بالامس ... وتسال لم هى صديقة ولم هى عدوة ... ولم نقترب منها اليوم وكنا ابعد ما نكون عنها بالامس فلا تجد جوابا مقنعا .. بينما امريكا هى هى لم يتغير فيها شيء منذ ان زرعت بيننا (اسرائيل) .. ولكن الجواب يكمن فى خصائص الشخصية العربية وفى تكوينها السيكولوجى حيث انعدام القدرة على اتخاذ الطريق الوسط ..وحيث القرار الفوقى يخضع (للمزاج) اكثر من خضوعه لعلم الحساب ...!

وبالنتيجة اصبح المواطن العربى عندنا مواطنان ..

مواطن يعادى حيث ينبغى ان يصادق ومواطن يصادق حيث ينبغى ان يعـــادى .. وبين هـذا المواطن وذاك من الوديان ما لا يمكن ان تردمه كل جبال العالم لو قدر لها ان تتفتت الى صخور ورمال.

بعضنا يعزو كل ذلك الى الاستعمار ... فهو الذى فرق بين صفوفنا وهو الذى افرز معطيات فاسدة لتنبت زرعا فاسدا وهو الذى جعلنا نشمئز من ممارسة الاعمال اليدوية لانها عيب ما بعده عيب وهو الذى حول العلوم فى مدارسنا من دروس فى معرفة كيف تسير الدراجة وكيف تعمل الساعة وكيف تطير الطائرة الى دروس فى التفريق بين الدجاجة والديك وكم اصبع للبطة وماهى فترة الحمل عند البقرة ...!

قد يكون ذلك صحيحا ... ولكن اكثر صحة من ذلك ان الاستعمار لو لم يجد التربة صالحة لما استطاع ان يحولنا – وبهذه السهولة – الى امة متلقية تستانس به وتانس اليه ..وربما وجدت فيه منقذها ومخلصها والمدافع عنها ...!

لا .. ليس هو الاستعمار ...

ولكنه نحن ...

فالامم لايعيبها ان تَستَعمِر – بفتح التاء وكسر الميم – ولكن يعيبها ان تُستَعمَر – بضم التاء وتسكين العين وفتح الميم – .

وعلينا ان نعترف ... فالاعتراف هو حيلة العاجز ... ولا اظننا فى مركز يسمح لنا بغير الاعتراف ...

وما عدا ذلك فلتسقط كل بهارج الكلمات الكاذبة ..ولتنكس كل رايات الغرور الاجوف .. ولتكن البداية من هناك .. عبر قنوات المنطق وعلم الحساب بدلا من هوس الامزجة وهوى النفس ..!

علي سيار

د. عــون الشــريف

الإنســان المعــاصر وأزمــة الحضــارة

- الحديث عن العرض والجوهر ككل حديث عن البشر.. أمر نسبي بالضرورة
- تاريخ الإنسان ككفاح من أجل التخلص من قيود الطبيعة والبيئة والوضع الاجتماعي غير المتكافئ!

بين الجوهر والعرض :

قضايا العلم الكبرى التي يعيشها انسان العصر الحديث أزمات وحروبا وأمراضا وتفسخا ويأسا ليست في حقيقتها الا أعراضا ظاهرية لعلة أعظم خطرا وأعمق جذورا • وينبع خطر علة العلل هذه من أنها تمس صميم الانسان كانسان ، وتستهدف جوهره الاصيل ككائن عاقل يقف في قمة الهرم التطوري للكائنات المعروفة حتى الان •

والحديث عن العرض والجوهر ككل حديث عن البشر أمر نسبي بالضرورة ، اذ قد يكون العرض صورة موقوتة للجوهر ، أو تعبيرا جزئيا عن بعض جوانبه • وليس من العسير على الانسان أن يميز في هذا المجال بين ضربين من القضايا •

أولهما يتعلق بتطور الانسان في السلم الاجتماعي وانتقاله من بيئة متخلفة الى أخرى متقدمة • وثانيهما يتعلق بتطور الانسان (الداخلي) فينا كانسان • ولهذا التمييز أهميته على الرغم من أن الانسان في كلا الحالين هو هدف التطور والقاسم المشترك الاعظم فيهما ، فقد دلت التجارب على أن القضايا الناجمة عن تطور الانسان في بيئاته الاجتماعية المختلفة قضايا مرحلية عارضة ، والاعراض التي تصيب المجموعات البشرية فيها على الرغم من آلامها ومرارتها أعراض معاناة لابد للانسان من أن يدفعها ثمنا للتطور والتقدم ، اذ المرض قد يكون أحيانا زكاة للجسد ، والمراحل التي مرت بها الانسانية في طريقها نحو عالمنا الحديث كلها تشير الى عظم هذه المعاناة والتضحيات الكبيرة التي بذلها الانسان وما يزال يبذلها ثمنا للتحضر • والواقع أن كل تاريخ الانسان كفاح من أجل التخلص من قيود الطبيعة والبيئة ، والوضع الاجتماعي غير المتكافىء • وهو من أجل ذلك في صراع أبدي مع الطبيعة ومع كل الظروف التي تهدر مقومات انسانيته ، فالصراع دائما صراع من أجل (الانسان) • والقضية هنا أن كل هذا التطور وما ينجم عنه من قضايا ، تطور عرضي في صميمه ، بمعنى انه القشرة الخارجية أو الاطار الشكلي لما يمكن أن يكون بيئة صالحة لانسان العصر • لكن ماذا عن هذا الانسان الذي هيأ له جهاده الطويل كل هذه الطيبات ؟ هل



نقول ان التطور الذي مس حياة الانسان في اطارها الخارجي ، ونقلها من مجاهل ما قبل التاريخ وكهوفه عبر كل عصور الظلام والآلام والموت البطيء تحت وطأة الجهل والفقر والمرض الى عصر الذرة ورحلات الفضاء ، قد استتبع بالضرورة تطورا جوهريا في انسانية الانسان ؟

الانسان والبيئة :

لقد تحدث الناس في كل زمان عن علاقة الانسان بمحيطه ، وذهبوا الى أن الانسان ابن بيئته وأقاموا في ذلك النظريات ، وعمق ماركس مفهوم البيئة • المادية وآثارها الكبيرة على فكر الانسان وعلاقاته بالآخرين • وهناك من الشواهد ما يؤيد كل ذلك • فخاصية الانسان كحيوان اجتماعي تجعل الصلة بين انسانيته كفرد والمجتمع الذي ينتمي اليه قوية ومباشرة • وواقع الحال يشير الى ظواهر في حياة البشر تؤكد في ظاهرها ارتباط تطور الانسان بتطور مجتمعه • فانسان العصر على وجه العموم فيما يبدو أكثر عطفا ورقة عن أسلافه سكان الغاب الذين كانوا في صراع متصل مع كل الظروف المحيطة بهم ، فالقسوة والعنف والقتل الفردي والجماعي جزء من حياتهم التي يحكمها قانون البقاء للاصلح ، والاصلح هنا الاقوى على البقاء • وفي المجتمعات المتحضرة التي أفاء عليها العلم من الثروات والامكانيات المادية ما أفاء ، شواهد



خاصية الانسان كحيوان اجتماعي تجعل الصلة بين انسانيته كفرد، والمجتمع الذي ينتمي إليه.. قوية ومباشرة

أخرى قائمة على ذلك . فالدولة في شرق وغرب تسعى في درجات متفاوتة للسيطرة على ميزان التطور الاجتماعي واعادة توازنه لصالح الطبقات المهضومة ، ومعنى ذلك أن الفضائل الفردية في سبيلها الى أن تصبح فضائل جماعية ، وكل ذلك تطور في انسانية الانسان ، وفيه ما فيه من دعم لفكرة التقدم .

عصر الفوضى والازمات :

ورغم هذه الجوانب المشرقة في تطور الانسان فعصرنا الحاضر يشهد من الازمات وضروب الفوضى واختلال الموازين ما لم تشهده الانسانية في عصر من عصورها . اذ لم تكن هذه الانسانية في يوم من أيامها بمثل هذا الارتباط ، ولذلك لم تعايش الازمات بهذا الاسلوب الجماعي الذي تعايشها به اليوم على نطاق العالم كافة . هل نقول ان أزمات العصر الحاضر تعبير عرضي عن معاناة الانسان في سبيل التطور الاجتماعي ، فهي من هذه الناحية أعراض معاناة ضرورية لتقدم الانسان ، وسيتخطاها الانسان في سيره نحو اليوتوبيا الموعودة ؟ أم هي اشارات لعلة أخطر شأنا لا تتعلق بمرحلة من التطور الاجتماعي وان ارتبطت به ، وانما تتعلق بجوهر الانسان كانسان ؟ ومحاولة الاجابة على ذلك تستلزم التنبه الى ملاحظة أن التطور الاجتماعي للبشر لا يسير في خط مستقيم . فهناك من المجتمعات ما يعيش في العصور الوسطى ، وهناك قلة من البشر تعيش في الثلث الاخير من القرن العشرين . بل ان التفاوت في التطور الاجتماعي ينظم المجتمع الواحد والبيئة الواحدة وأحيانا يتدرج الى ادنى فينظم الاسرة الواحدة . فكم من البشر يسمون بيننا في هذه الساعة ، وهم ينتمون الى مجاهل في التاريخ لا تخطر بالبال ، وكل ذلك يخلق من المشاكل ما لا حصر له ليس في المجتمعات المتخلفة فحسب بل في أكثر المجتمعات تقدما . ولكن الامر الذي يلفت النظر هنا أن معظم شرور العالم الحديث لا تنبعث عن المجموعات المتخلفة بل عن المجموعات المتقدمة . فالحروب والاستعمار واستغلال الانسان لاخيه الانسان ، والنازية والفاشية والصهيونية وما اليها من مبتكرات الحضارة الحديثة أبناء شرعيون للشعوب المتقدمة في مجال العلم والتطور الاجتماعي ، والضحايا في كل حالة هي المجموعات المتخلفة .

هل نقول ان هذا ثمرة التقدم ، وان علينا جميعا كبشر أن ندفع ثمنه استعمارا أو تنكيلا وقتلا في طريق مسيرتنا نحو الفردوس الموعود ؟ فالشعوب المستضعفة ستقاوم وتنتصر وتلحق بركب التقدم ، وفي نهاية المطاف سنركب كلنا – بنو البشر – على سرج واحد على قدم المساواة في مجال التقدم والرقي ؟ ان ما يحدث في عالم اليوم لا يبرر هذا التفاؤل ، ولا يشير الى أن الانسانية وهي تسلك ما تسلكه اليوم سينتهي بها المطاف الى هذه النهاية السعيدة .

تطور انسانية الانسان :

ان منطق التطور الذي يربط بين تطور البيئة وتطور انسانية الانسان يحتاج الى منطق مقتدر لتبرير انحدار أمة كالأمة الامريكية في وحل فيتنام، وانحدار أمم الغرب جميعا في مناصرتها للشعوبية الصهيونية . فالتقدم تقدم في الانسانية ، وما نشهده في كثير من المجالات انحدار في انسانية الانسان رغم المظهر الخارجي الباهر ، وفي كل ذلك ما فيه من دلالة على أن قضايا العصر الكبرى التي يعيشها الانسان الحديث ليست الا أعراضا لعلة العلل في تطور الانسان الذي لا يعاني أعراضا وقتية بقدر ما يعيش أزمة حضارية بعيدة الغور .

فالانسان مهيأ بطبيعة تكوينه لحياة المجتمع اذ هو حيوان اجتماعي بحكم حاجته الى الرعاية ومعاونة الآخرين له حتى يبلغ أشده . وهو في ذلك يختلف عن بقية الحيوان . اذ أن الطفل البشري يحتاج – لضعفه وعجزه – الى فترة رضاع أطول من أي حيوان آخر ، ودلالة ذلك أن يافوخه اللين لا يتصلب وتلتئم عظامه الا بعد فترة لا يشاركه في طولها حيوان آخر فيما ذكر غوردون شايلد . وكل ذلك يسمح لقواه العقلية أن تنمو بنمو تجاربه . والطفل في أثناء ذلك يحتاج لأمه ويحتاج لوالده للتغذية والحماية والتعليم . ومن هنا كانت الاسرة لازمة من لوازم الحياة البشرية ، وهي أساس الاجتماع الانساني .

ولكن رغم كل هذا التهيؤ لحياة المجتمع ، فان اجتماعية الانسان مكتسبة وليست غريزية . ومعنى ذلك أن اجتماعية الانسان من صنع يديه وثمرة تجربته الخاصة على الارض ، وهي في ذلك تختلف عن الاجتماعية الغريزية التي تنظم حياة طوائف أخرى من المخلوقات كالنمل والنحل وسواهما . فهذه اجتماعية راسخة في التكوين بلغت مبلغ الطبيعة الثابتة والصفة الموروثة يمارسها المخلوق بالضرورة والطبع ، وتوجه سيره في الحياة في آلة صماء مثلها

الانسان حلقة أخيرة لسلسلة من الأسلاف ضاربة في القدم

في ذلك مثل كل قوانين الطبيعة القاهرة اللازمة • ووضع الانسان من هذه الناحية ليس مريحا كل الراحة• فهو من ناحية يعتبر أحدث حلقة في سلسلة التطور لا يتجاوز عمرها المليون عام فيما يزعم أصحاب هذا الشأن ، وقد انزله ذلك منزلة القمة في سلم التدرج والارتقاء ، واستلزم ذلك انفلاته الى حد ما من قبضة هذه القوانين الصماء التي توجه الحياة والاحياء في رتابة وآلية ، وشق لنفسه طريقا مستقلا على درب (الحياة العاقلة) التي تميز الانسان من الحيوان • ولكن نمو هذه (الملكة العقلية) في الانسان حديث نسبيا لا يجاوز مداه معشار ما قضاه الانسان على الارض • ويكفي أن نعلم أن ما دخل التاريخ من نتاج هذه الحياة العقلية ، وهو حضارة الانسان المسجلة ، لا يتعدى حاجزا زمنيا مداه بضعة آلاف عام ، وما وراء ذلك يدخل في نطاق ما قبل التاريخ • فالانسان ليس قريب العهد بحياة التحضر والاجتماع فحسب ، ولكنه قريب العهد بالحياة العاقلة في جملتها أيضا •

ولكن الانسان برغم انفلاته من خط السير العام لحركة التطور على ما أسلفنا فهو من جانب آخر حلقة أخيرة لسلسلة متصلة من الاسلاف ضاربة في أعماق القدم • وقد ورث عنها كل غرائزها ومزاياها الحيوانية التي تكفل له البقاء وتمنحه القدرة على مواجهة تحديات الحياة ومخاطرها • فالحيوان كامن فينا بالغريزة لهذا السبب • ونشاطه يصدر عن جزء من مخنا يسمونه (العقل القديم) • والانسان الذي ثقفه العقل ووجه خطاه في سبيل الحياة المدنية الهادفة يستمد وجوده من جزء آخر في مخنا هو (العقل الجديد) ومهمة هذا الوليد الجديد – الذي عبر عنه كيستلر بأنه (فلتة نادرة من فلتات الطبيعة) – أن يحد من نشاط الحيوان القديم فينا ، وأن يكون بمثابة القيد على حركاته حتى تستقيم حياة الاستقرار ويتم للناس قدر من التعاون تصلح معه حياة الاجتماع • والغريب في أمر تطور الانسان من هذه الناحية انه بدل أن يطور عقله الحيواني القديم ظل يحتفظ به في مخه ، وسلك وجهة جديدة في التطور هي التي عبر عنها كيستلر بالفلتة ، اذ نبت له عقل جديد هو مدار الحياة العاقلة فيه • ومن هنا نبعت ازدواجية الانسان • ومن هنا تحدثوا عن الانسان والحيوان في شخصية البشر • ومن هنا أمكن للفرد البشري أن يسمو بانسانيته فيرتفع الى مرتبة الملائكة وأن ينحط بقدراته الى درك الشياطين •

بين الطبع والالزام :

سقت كل هذا الكلام لأصل الى نقطة أراها وشيجة الصلة بأزمة الانسان المعاصر ان لم تكن مصدرها• وذلك أن حياة الاجتماع – وان كان الانسان مهيئا لها كما ذكرنا – امتحان قاس لقدرة الانسان على احداث قدر من التوازن بين دوافعه الغريزية القوية وبين متطلبات حياة الجماعة • وليست هذه بالعملية السهلة • فان حياة الاجتماع بذل ومجاهدة وارادة • والمناحي البدائية القديمة في كياننا أقوى تعبيرا وأشد تمكنا لاتصالها ببقاء النوع وسر الفطرة ، وهي بالتالي أعنف حركة وأشد اكتساحا • وسرعان ما تطفو على السطح في الوقت الذي يكون فيه الجانب الاجتماعي ، أي الجانب المكتسب الذي هو نتيجة مجاهدة الانسان لتأكيد انسانيته ، مجرد قيد على كل مظاهر العنف الهادرة في أعماقنا • فهذا الجانب المكتسب يقوم مقام القشرة التي تكسو سطح البركان الحيواني ، وبمجرد زوالها تزول الضوابط الانسانية ، ويرجع انسان الغاب فينا في عنفوان حيوانيته •

فاذن حياة الاجتماع والحضارة ليست أمرا غريزيا يحدث للانسان بالضرورة • ومن الجائز أن يصل الانسان الى آلية النحل والنمل في مسلكهما الاجتماعي ان أتيح له البقاء على سطح الارض بالقدر الذي يسمح لعقله الحديث وملكاته الانسانية أن تتطور ، لأن التطور الانساني فيما ذكر جوليان هكسلي سيكون تطورا عقليا ثقافيا لا جسمانيا ، والى أن يصل الانسان هذا الطور البعيد فان حياته الانسانية في كف عفريت لانها ترتكز على قشرة واهية من منجزات الانسان العاقل في مواجهة كل تحديات مخلفات القرون في أعماقنا والتي تسعى لرد الانسان لحيوانيته الاصلية •

وأمام هذا الخطر الدائم سعى الانسان في مختلف عصوره لتأكيد هذا الجانب الانساني بشتى الوسائل، فاستعان بالسحر ، واستعان بالدين ، وكانت فكرة الثواب والعقاب وسلك مسلك الردع عن طريق القانون والشرع ، وقد عبرت احدى شخصيات ديستويفسكي عن فكرة الالزام الخلقي حين قالت (اذا كان الله غير موجود فكل شيء مباح) • والغاية أن يكون السلوك الانساني وليد الطبع وليس وليد الالزام • ولكن كل ذلك بعيد غاية البعد من أن يتحقق ، ولذلك جاءت كل هذه القيود ، واستنبطت كل هذه الوسائل لتردع الانسان وتخيفه وترهبه ليلتزم بالجانب الخير في شخصيته • ومعنى ذلك أن الانسان بمجرد أن تنتفي عنه قيود المجتمع ، وتسقط عنه أدوات الردع يرتد الى حيوانيته ، وتتقلص جوانبه الانسانية المكتسبة بالعرق والدموع والمجاهدة • وليس هذا ضربا من



● هتلر

● موسوليني





● هرتزل

الخيال • فقد برهن البشر في نصف القرن الذي سلف على أن الامر في ذلك أخطر بكثير مما نتصور • فالانسان لا يرتد الى مرتبة حيوان الغاب فحسب ، فذاك محدود الخطر ، ولكنه يرتد حيوانا وفي يده القنابل الذرية ، وفي يده الاخرى وسائل الدمار الاخرى • وما النازية والفاشية والعنصرية والصهيونية وكل النعرات اللاانسانية الاخرى الا تعبير عن هذه الردة وقد اكتست أزياء حديثة • وقد دلت التجارب على أن الانسان اذا تعرض لظروف تبعده عن الامن الذي توفره له حياة الاجتماع يسلك سلوكا لا يخرج عن مسلك قطيع الفئران الذي باشر عليه العلماء تجربتهم •

التطور المادي والمعنوي :

والامر الذي يجعل قضية الانسان من هذه الناحية بالغة الحدة أن تطور الانسان العقلي والروحي والاخلاقي بطيء للغاية • فالانسان من هذه الناحية بالغ المحافظة فهو يخشى الجديد في كل شيء لان الجديد غير مأمون العواقب ، وقد يكون من ورائه الدمار • فلذلك حارب الناس الانبياء والمصلحين ، وفضلوا دائما البقاء على سنة آبائهم الاولين ، لانهم جربوها فأثبتت صلاحيتها • ولكنهم يغفلون عنصر الزمن وعنصر التطور ، لان ما يصلح لزمان قد لا يصلح لزمان آخر ، وعلى الناس اعادة النظر في حياتهم وتجديدها في ضوء سنة التطور ، وهم محتاجون في ذلك الى هزات عنيفة ليسقط من حياتهم ما علق بها من مخلفات الماضي التي فقدت القدرة على البقاء • وقد ترقى هذه الهزات الى مرتبة الثورات الدموية حتى تحقق بعض التغيير الذي تهدف اليه •

● دوستويفسكي

وعنصر المحافظة هذا طبيعي وهام، وهو من أدوات حفظ النوع التي جبل الانسان عليها ، ولذلك قالوا (من شب على شيء شاب عليه) و (الانسان ابن العادة) و (الطبع يغلب التطبع)• والغاية من كل ذلك واضحة • فما دام الانسان لا توجهه الغريزة الصماء في اختيار النظم الاجتماعية والقيم الخلقية التي تتسق معها فهو مضطر الى الاعتماد على التجربة • والتجربة ليست سهلة لانها مغامرة لا يدرى الانسان بعدها أيكون في وضع أحسن مما كان عليه أم دونه • ولذلك قال سيدنا المسيح (اللهم لا تدخلني في تجربة) والخطأ هنا قد يكلف الانسان وجوده • فلذلك فهو دائما شديد الحرص على كل ما جربه وأثبت صلاحيته وان تغيرت الظروف الموضوعية اللازمة لبقائه • وهذا أمر مشاهد في زماننا هذا • وما اكثر مظاهر السلوك التي تمت بصلة واشجة لحياة البداوة الرعوية والزراعية في المجتمعات الصناعية الحاضرة •

ومظهر الازمة هنا أن هذا الجانب المكتسب من الانسان يتعرض لتحد في هذا القرن العشرين لم تشهد مثله البشرية في تاريخها الطويل • فقد واكب هذا التطور الداخلي البطيء تطور مذهل في المجال الخارجي بحيث أصبحت الشقة بين الانسان وبيئته المادية بعيدة بعدا لا يسهل تخطيه • وسلامة الانسان تكون دائما في نجاحه في اقامة ضرب من التعادل بين قيمه ومعطيات بيئته • ويتم ذلك في يسر حين يكون التحول الاجتماعي بطيئا • أما حين يزداد معدل التحول الاجتماعي في السرعة تتضاعف الصعوبة في التلاؤم والانسجام مع البيئة بمقدار هذه السرعة • وقد يصل الانسان الى درجة التمزق حين يفلت من يده الزمام ، ويضطرب ميزان التعادل فتختل انسانيته وتنحط ملكاته العقلية • والامر في ذلك ليس مقصورا على سرعة التحول في البيئة المادية وحدها ، وما تلقيه على وجدان الانسان وروحه من أعباء وأثقال ، بل أن هذه البيئة المادية ذاتها لها منطقها الخاص وأثرها المباشر على شخصية الانسان بحيث توسع من شقة الخلاف بين عنصري الشخصية مما يقوي من جانب الحيوان فينا ويضعف من جانب الانسان •

قضية كل الناس :

وكل ذلك يوحي بأن قضايا العصر الكبرى التي يعيشها الانسان الحديث ليست الا أعراضا لعلة العلل في تطور الانسان الذي لا يعاني أعراضا وقتية بقدر ما يعيش أزمة حضارية • وقد تخفف من وقع هذه النتيجة القاسية على قلوبنا وعقولنا بأن نذهب الى القول بأن ما نشهده اليوم على مسرح العالم من قسوة وعنف وسفك دماء، وامتهان لانسانية الانسان ليس الا مظهرا من مظاهر تفسخ الانسان الغربي وانهيار حضارته الرأسمالية• واننا نحن الذين نعيش في مجتمعات لم تلوثها شرور هذه الحضارة المادية في مأمن من شر هذا المصير الاسود الذي تردى فيه انسان العصر الحديث في بعض مجتمعاته الراقية ، ثم نطمئن أنفسنا من بعد ذلك بأننا ونحن نعاصر مثل هذه المجتمعات المتفسخة ، ما نزال نعيش حياة انسانية أقرب الى حياة الفطرة السليمة لا تشوبها الاوضار ولا تقلقها كل هذه الاعاصير التي تهب عاتية فتزعزع ايمان الناس بانسانيتهم وتدفعهم في طريق الدمار والفناء • ثم نتمادى في الطمأنينة والاسترخاء حين نتذكر أن في تراثنا الروحي والعقلي وفي أخلاقياتنا وأوضاعنا الاجتماعية المتوارثة ما هو كفيل برد عاديات الدهر عنا بحيث نعيش في أمن وأمان داخل سياجها المنيع • وقد يبلغ بنا الخدر مرتبة نجد أنفسنا فيها في منزلة المتفرج الذي تحف به كل وسائل الراحة والهدوء العقلي في منزلة المريح وهو يشاهد عرضا تلفزيونيا عنيفا ، فهو قد يتأثر بما يشاهد من الوان العنف، ولكنه يعلم ان ما يراه بعيد عنه ولا يتصل بحياته من قريب أو بعيد ، وسرعان ما ينساه فيكون بمثابة

في أزمة الانسان المعاصر



الحلم المخيف يداهمنا في المنام فنحس بالخطر يتهددنا ولكننا نصحو فاذا كل ما حولنا يبعث على الامن والسلام

والطمأنينة والراحة النفسية والعقلية ، وقد نخطو في هذا السبيل خطوات أبعد من مجرد النسيان فنزعم أن ما شاهدناه وان حدث لأقوام آخرين فهو لا يمكن أن يحدث لنا ، ونشيع عنه بأبصارنا في تعاظم وكبرياء • اذ ما أبعد البون في تخيلنا بين هذه الانسانية المسحوقة في دروب أوربا ومجاهلها تحت وطأة الأثرة والظلم والتفسخ والفردية والاباحية الجنسية وما اليها ، وبين الانسانية التي نمارسها عطفا واخاء ومساعدة للضعيف وبذلا وتضحية واستقامة خلقية وما اليها ، وكل ذلك مما يقوي من رغبتنا في تجنب الانحدار الى الهاوية التي تردت فيها هذه المجتمعات المتحضرة ان استطعنا الى ذلك سبيلا •

وكل ذلك خداع للنفس ودفن للرأس في الرمال ، وما هذه الطمأنينة الوادعة التي نتفيأ ظلالها في خدر واسترخاء الا طمأنينة وقتية تقوم على أوهى الاسباب وترتكز على أضعف الدعائم • فموقف القوة الذي نتخيل أنفسنا فيه هو قريب الشبه بما روته الاسرائيليات عن سليمان الحكيم حين واتته المنية وهو متكيء الى عصاه والانس والجن يحسبونه حيا حتى أتت الأرضة على العصا فظهر ما كان خفيا على الناس • وكل ما في الامر اننا لم نصل بنار التجربة ، وقد كان السيد المسيح يسأل الله دائما أن لا يدخله التجارب ، لان التجارب تكشف عن ضعف البشر وتبرز من عيوبهم ما يجهدون في اخفائه حتى عن أنفسهم • والمجتمعات في ذلك كالأفراد تظن بنفسها الخير مادامت بعيدة عن لظى التجربة • فحمدها يظل حبيس بطنها كما يقول مثلنا العامي حتى (تتفتش) • وعندها تكتشف أن انحصارها في كهف من كهوف التاريخ بعيدا عن التيارات والرياح والامطار كان عاصمها الوحيد من التحلل والانهيار • وان مظهر التماسك والصلابة الذي كان يبدو عليها هو في واقع الامر مظهر خارجي كذلك الذي يبدو على المومياء سرعان ما يتحلل ويتلاشى حين تلمسه اليد ، أو تهب عليه نسمة هواء ، ولذلك حديث آخر •

د• عون الشريف قاسم

● الايمان هو أن نصدق ما لا نراه ، وجزاء الايمان أن نرى ما نصدق •

« سنت أوغسطين »

● اذا أردنا أن نبني أساسا متينا للصداقة ، فان علينا أن نحب أصدقاءنا من أجلهم لا من أجلنا •

« شارلوت برونتي »

● يا الهي •• مثلما منحتني نعمة الحياة امنحني قلبا مفعما بالشكر لك •

« شكسبير »

● ربما كان خطأ أن نبحث عن السعادة • من الافضل أن نخلقها لأنفسنا ، والافضل من ذلك أن نخلقها للآخرين •

« لويد دوجلاس »

● ان المكان الذي نحب هو وطننا • المكان الذي قد تتركه أقدامنا ولكن ليس أبدا قلوبنا • فقد يطول الخيط ، ولكنه أبدا لا ينقطع •

« أوليفر وندال هولمز »

● ان الموت يطلق أسار الروح لتنطلق في الآفاق •

« توماس ماي »



مالم يقله أبو الفرج .. قاله المنسى !

خير طريقة للاحتفال بالعام الجديد لمجلتنا ، مجلة الدوحة ، ان ننظر ماذا قدمت في اعوامها الماضية للثقافة العربية من نتاج له قيمة في ذاته ، بما يتعدى تغطية الأحداث الثقافية الجارية التي يمكن ان تنشغل بها اية مجلة ثقافية .

ولا شك أن مجلة الدوحة قد قدمت لقرائها في أعوامها الماضية انواعاً متعددة من النتاج القيم القادر على البقاء . ولست هنا بصدد رصده كله في هذه الصفحة المحدودة . لكني اود ان اتناول بالتنويه نتاجاً واحداً استمر طوال السنوات الماضية منذ ان صدرت المجلة واتصف بتجديد وابداع خاص واعتبره اسهاماً جديداً في ميدانه .

هذا النتاج هو سلسلة « شخصيات حية من الأغاني » للدكتور محمد المنسى قنديل .

والأغاني هو كتاب الحضارة العربية الكبير ـ شعراً وادباً وغناء وتاريخاً وترفاً وفكاهة ـ اعده ابو الفرج الأصبهاني فجاء شغل الأجيال الشاغل منذ صدوره حتى يومنا هذا . وقد كان المعتمد بن عباد ، اذا ازمع على السفر ، يصطحب معه قافلة من الجمال لا تحمل على ظهرها غير مجلدات كتاب الاغاني ، دون غيره من كتب .. وقد حاول كثير من الباحثين « تجديد » كتاب الأغاني باعادة ترتيبه ، او بتشذيبه وتهذيبه ، أو بانتقاء المختارات منه . كما استمد منه دارسو الأدب كمادة خصبة في تصوير الجو التاريخي للحركات الادبية وفي تحليل نفسيات الشعراء ، وفي اعادة كتابة سيرهم ..

.. ثم جاء محمد المنسى قنديل ليثبت لنا ان كتاب الاغاني ما يزال مصدراً حياً لاعادة تصور التراث وتجديده ، وانــــه ـ فقط ـ ينتظر القادرين على الرؤية الابداعية الحية من ابناء العربية ليعيدوا خلقه من جديد ، بلغة العصر ، وهموم العصر ، ومعاناة العصر .

وكتاب « الأغاني » في ظاهره كتاب امتاع أدبي وتسلية شعرية وتفكهة بالملح والنوادر .. هذا في ظاهره ..

ولكن المنسى قنديل نفذ إلى العمق ، فاستخرج لنا ذلك الاحساس المأساوى الذي يخرج به القارئ النابه للتراث العربي .. الاحساس المأساوي النابع من حرارة الحروب الأهلية بين العرب ، والنهايات الفاجعة لشعراء العربية من احرار الفكر والفؤاد ، والعلاقة الدموية النازفة بين اهل القلم واهل السلطان والسيف .. واخيراً تلك الهوة المؤلمة بين الواقع المأساوي لصراعات العرب في التاريخ وبين المثال الرائع لقيم الاسلام وعدله واخائه .

هذه الرؤية لما بين سطور كتاب الأغاني ليست بعيدة في الحقيقة عن الفجيعة التاريخية التي يعيشها العرب في العصر الحديث منذ مطلع النهضة ..

وكان المنسى قنديل قد استمد احساسه الفاجع المعاصر بالسقوط العربي امام تحديات العصر ـ منذ هزيمة حزيران بشكل خاص ـ فدمجه برؤيته للتراث العربي عبر كتاب الأغاني ، فجاءت تلك الفصول الرائعة تستمد مادتها الخام من كتاب الأغاني لكنها تستمد الدم والحيوية من صميم الفاجع العربي كله .. ماضياً وحاضراً .. مع الماعات معاصرة من ثقافات العصر وتجاربه وتمخضاته الجديدة ..

هذا ما جعل روايات كتاب الأغاني المتداولة ، المعروفة ، المكررة ، تبدو لنا بمنظار الدهشة البكر وكأنها خلق جديد .. ومع الرؤية القادرة على بعث الدهشة ، تلك اللغة التي لا يملكها غير شاعر رومانسي حاصره الواقع فاخترقه بصبر الروائي الواقعي ، فكان ذلك الأسلوب الجامع بين حزن الشاعر المنغمس في المأساة وصبر المؤرخ المتعالي فوق الجراح ..

هكذا لخص لنا في قصة « وضاح اليمن » تاريخ بني امية .. « لم يكف الأمويون ابداً عن الحلم بهذه الاحلام الدامية ، كلما ترامت الدولة وتوالى الخلفاء ، ازداد الاتباع والقصور .. وازدادت التركة المثقلة بدم اولاد الأشراف والصحابة والمنشقين والشعراء .. » .

وفي قصة فضل العبدية التي رفضت حب الخليفة : « للحرير ملمس الشوك .. وللشراب طعم العلقم . ظلت صامته امام الخليفة . قادها إلى غرفته فكانت المعركة خاسرة . رفضته . رفضت عرش الخلافة ، ولو شاءت لصعدت وحكمت .. » .

ثم هذا السؤال الأبدي في الطريق إلى كل مدينة عربية : « كان ديك الجن يتساءل .. أهذا هو الطريق إلى حمص حقا ؟ هذه القرى ما كانت مهجورة هكذا . ولا الأرض مغطاة بالرمل ولا النباتات مريضة ولا الشمس معادية .. كيف اختل ميزان زماننا ومالت كفتنا للنقصان ؟ » .

هذا سؤال لا يخص ديك الجن .. وحده .

وبعد .. فقد قيل الكثير عن احياء التراث . ولكن ما فعله المنسى قنديل هو احياء التراث . ولن يقرأ كتاب الأغاني بعد الآن دون تفسير المنسى له . غير أن ما فعله المنسى لم يكتشف بعد . لم يكتشفه النقاد . ولم يكتشفه أكثر القراء .

ومن أراد احياء التراث حقا .. فليجمع شخصيات المنسى في كتاب !

د. محمد جابر الانصاري

فدوى طوقان

بداية المسيرة

خريف عام ١٩٣٥ .. تشارين تهب رياحها على أحراش قرية "يعبد" في قرية جنين .. الارض الحبلى بالاحداث ترهف السمع على انتظار وتوقع .. الشيخ عز الدين القسام يرفع يده العربية المؤمنة .. يقوم بأول طرقة على ابواب الثورة ، فلا يكاد يفعل حتى تفتح له الابدية أبوابها ليدخل الشهيد العظيم مع بعض رفاقه في رهط الشهداء الخالدين .

النار التي قدحتها طرقة الشيخ الشهيد تعود فتنطلق شرارتها في نيسان عام ١٩٣٦ بين الفئات الشعبية .. يلتهب الفلاحون والعمال .. تعلن يافا الاضراب ويشمل الاضراب عمال الميناء .

تشتد الثورة الشعبية المتصاعدة فتنعطف بمسيرة القيادات التقليدية عنوة واقتدارا لتضعها مع الواقع المشتعل ..

في ٢٠ نيسان اجتماع وطني كبير في نابلس ، تتألق فيه (اللجنة القومية) لتصدر بيانها المعبر عن (سخط العرب على سياسة الحكومة التي تهدف الى ابادة العربي في بلده العربي) .

ويجرف تيار الاحداث الملتهبة قيادات الاحزاب القومية فيكون الاضراب الشامل . ويبدأ النضال السياسي والمسلح لتشارك فيه مختلف الجماهير الشعبية الفلسطينية ، فتخط فصلا مكثفا من فصول الكفاح الفلسطيني على شعاب الجبال وفي قراها ، ومن هناك يدوي صوت الشعب الخالد :

ــ إحنا اللي نحمي الوطن ونبوس جراحه

ويتجاوب الصدى مرددا :

ــ بيع امك واشتري بارودة

والبارودة خير من أمك

يوم الثورة تفرج همك

• • •

ابحث عن نفسي الان وانا التفت الى تلك الايام الفلسطينية ، فاراني صبية صغيرة في (عمان) محاصرة بسبب الاضراب الشامل في فلسطين ، قابعة في بيت شقيقي احمد المنتسب حديثا من قبل حكومة فلسطين ليشغل منصب مدير المعارف في امارة شرق الاردن .

لا اصلح للتسلية

زوجة اخي تلومه وتشكو تركه لها في بعض الاماسي للقيام بواجب زياراته (الرجالية) هنا او هناك :

ــ ولكنك لست وحدك ، لقد اتيت لك بأختي لتسليك .

ــ اختك لا تقيم بجانبي الا قليلا . تعتكف وحدها في الغرفة مع كتبها منذ الثامنة .

كانت زوجة اخي على حق في شكواها . فما كنت في يوم ما صالحة للقيام بدور المسلية ، وظللت افتقر الى هذه الموهبة ، موهبة تسلية الاخرين ، فقد كانت موهبة مصادقة النفس من جهة ، ومصادقة كتبي ودفاتري من جهة اخرى هي المسيطرة والمتحكمة في سلوكي .

كان يحدث احيانا نوع من عدم التوازن أو من الخلخلة في علاقاتي بالاخرين ، وذلك حين ارتطم بغير المتوقع ، او حين ينقلب المثال الى صورة مهزوزة ، هنا كنت احس بعجزي عن الالتصاق ، واقع في حالة من الاغتراب الاجتماعي فالجأ الى مأواي الامين ، الى نفسي وكتبي ووحدتي التي ظلت تشكل العمود الفقري لوجودي بما تتيحه لي من فرصة المطالعة والتأمل والاحساس بالامان .

ولم تكن أسباب لجوئي الى الوحدة بالضرورة او في كل الحالات نتيجة لارتطامي بالاخرين ، فحتى في فترات المصالحة والوفاق مع العالم والناس والاشياء ، ظلت مصادقة النفس التي لا تتم الا في جو التوحد هي الاتجاه الغالب ، وهذه النزعة الباطنية المتحكمة أصبحت فيما بعد احد أسباب الصراع النفسي الذي عانيته في تجربتي الشعرية ، خاصة حين خرجت الى الحياة ، المسها بأصابعي وتلمسني .

• • •

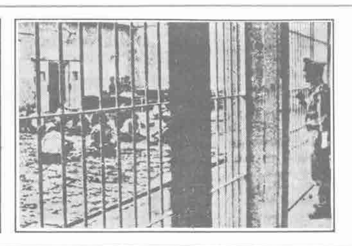
حرارة شعبية القائد فوزي القاوقجي ترتفع الى أعلى درجة ، واصداء الثورة وانجازاتها تصل الى سمعي من بعيد ، فيما أنا قابعة في دار أخي احمد في عمان . وتثير بطولة فوزي القاوقجي خيالي ومشاعري فأكب على نظم قصيدة تعكس انبهار الصبية الرومانسية بشخصية قائد الثورة الاسطوري :

بطل الابطال يا زين الشباب

هات حدثنا عن الامر العجاب

وتمر الايام ، ومع افول شعبية القاوقجي وخمود عشق الجماهير له تضيع القصيدة المبهورة مع قصائد المحاولات الفاشلة .





الصمت لغة الغرباء

أواخر تشارين ١٩٣٦ .. القيادة العامة للثورة تطلب فى بلاغ موقع بأسم القاوقجي توقيف أعمال الثورة . أيام قليلة تمر تعلن القيادة بعدها ترك ميدان القتال . الملوك والامراء العرب قرروا ذلك حفظا لسلامة المفاوضات .. واعتمادا على نوايا الانكليز الحسنة تجاه العرب !..

● ● ●

انحل الاضراب فى فلسطين ، وانفك معه الحصار المضروب حولى فى عمان ، فقد اصبح السفر الان ممكنا ، وظل عام الحصار فى عمان صفحة حالكة اللون فى رحلة العمر ، فارغة من أى مضمون ، لم تعطنى تجارب السفر شيئا ذا قيمة ، كانت عمان ، عاصمة الامارة ، بلد فقيرة ، صغيرة ، تخلو من جاذبية المظهر والمخبر على السواء .

فالمواضعات والقيود الاجتماعية الصارمة لم تكن لتختلف عما هو مألوف فى بقية البلدان العربية المتخلفة . أما أخى أحمد فقد كان هناك دائما ذلك الحاجز الذى يرفعه الاخ الكبير بينه وبين اخواته ، وكانت له علينا سيطرة الاب ، فكانت علاقتى به يغلب عليها صفة الانكماش والتهيب والكلفة الى جانب الصمت ، والصمت لغة الغرباء حتى لو جمعتهم لغة الدم .

عدت الى ركنى الخاص فى غرفتنا الكبيرة فى نابلس (غرفة البنات) . عدت الى خزانتى وطاولتى وابريق قهوتى وفنجانى .فعلى مدى حياتى ظلت تقوم علاقة نفسية حميمة بينى وبين اشيائى المتميزة بطابع الخصوصية ، وكان بالنسبة لىطابعا شديد الجاذبية .

● ● ●

فاتتنى فى عمان فرصة معايشة الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، ولكن ها أنا بعد شهور أعيشها عن قرب اذ تهب من جديد مع ظهور مشروع التقسيم من جهة ، ومقتل حاكم (الناصرة) الانكليزى (أندروس) مع حارسه البريطانى فى أواخر ايلول ١٩٣٧ من جهة أخرى

هيج حادث الاغتيال السلطات الحاكمة ، وبدأت حركة التنكيل وعمليات القمع والاعتقالات الجماعية . وفقدت الهيئة العربية العليا واللجان القومية شرعية قيامها بعد أن أعلنتها السلطات هيئات غير مشروعة ثم أختفى الحاج أمين الحسينى بشكل غريب ، وتشرد بعض الزعماء ونفى بعضهم الأخر الى (سيشل) . والثورة تشتد ومعها تشتد عمليات القمع .

كنا نفاجأ باعلان منع التجول في أي وقت من أوقات النهار . فكان الناس يحاصرون حيث كانوا ، ولا يسمح لهم بالمغادرة إلى بيوتهم .

أمين الحسيني



وقفت ذات يوم مع أمي في السوق ، ملجلجتين أمام القوات المسلحة وقد اقفلت الطريق إلى دارنا ، ولم نعرف اين نذهب . اشار بعض الجنود بأيديهم نحو الشرق فعرفنا أن علينا أن نتجه نحو الشرق . مشينا إلى (ساحة المنارة) لنطرق باب عائلة صديقة ونقبع هناك إلى أن ارتفع بعد ساعات منع التجول .

أصبحت عمليات مداهمة البيوت للتفتيش أمرا مألوفا ، وكان يحدث ذلك في الليل أو في النهار ، لا فرق . كان فرض الاحكام العرفية على البلاد مؤشرا إلى مدى عنف الصدام بين الجماهير والحكم البريطاني .

مشهد لا ينسى

كان هناك يوم بقيت صورته حية في الذاكرة بكل تفاصيلها . استيقظت واخواتي على طرقات احذية الجنود الثقيلة في الدار . دخل نفر منهم غرفتنا في غبش الهزيع الأخير من الليل ..هببنا من الأسرة بفزع ، وطلبوا الينا المغادرة فورا . لم يسمح لنا بتغيير ملابسنا ، ولكنا خطفنا معاطفنا من الخزانة بسرعة ووضعنا الاغطية على رؤوسنا كما اتفق وخرجنا إلى السوق مع بقية النساء والرجال والأطفال في حينا ـ حي الياسمينة ـ وعملا بأوامر الجيش المداهم سار الرجال في طريق وسارت النساء والأطفال في طريق آخر . كان بين النساء نفساء في يومها العاشر تسكن

بجوارنا ، رأيتها وهي ترفع وجهها المحجب إلى أعلى فيبدو عنقها وبعض خصل سالفيها الحمراء ، وقالت وهم يتحسسون لفائف المولود الذي كانت تحتضنه : (ربي يكسر جاهكم ويرمل نسوانكم) ، قالتها بلهجة نابلسية أصيلة ، ناطقة الميم نونا كما في اللهجة العامية . أما عمتي (الشيخة) فكانت تحت وطأة نزلة صدرية حادة ولا تقدر على السير ، فحملها جارنا (الدحدوح) بائع الخضار على ظهره ومشى في (موكب) النسوه .

انتهت بنا المسيرة إلى منطقة (رأس العين) في جبل (جرزيم) وانتشرنا هناك في العراء وقد بدأ الصبح يتنفس . أما كهوف الجبل المحيطة فسرعان ما تحولت إلى دورة مياه في ذلك الصباح الباكر .

اطل فجأة من الجانب الآخر في الجبل صف مزدوج طويل من رجال سكان الأحياء المطوقة ، رأيت أبي بينهم مشتملا بعباءته ، فاحسست بالحزن في قلبي وبالحنو يغمر نفسي . ان منظر الشيوخ المتقدمين في السن في مثل هذه المواقف يثير في النفس من المشاعر المرة الحزينة ما لا يثيره الفتية والشبان . ورأيت في صف الرجال المزدوج المغذ في السير رجالا عرفت عنهم الشدة والعنجهية ، فشعرت بتناقض وجودهم مع المشهد الذليل ..

في الأصيل عدنا إلى بيوتنا لنشاهد آثار أسوأ عمليات التفتيش والنهب . وكان قلمي الزيتوني اللون ضمن المنهوبات ، وبقيت إلى مدى طويل افتقده بشيء من الحسرة ، فقد كان أول قلم حبر امتلكه وكان هدية من أخي ابراهيم .

● ● ●

كانت الثورة قد عمقت الدوافع العدائية الجماعية في أفراد الجماهير الفلسطينية نحو الانكليز ، فوعد (بلفور) كان شيطانا انكليزيا منذ البداية . ولقد كانت ثورة (القسام) في الأصل قائمة على مناهضة الانكليز ومقاومتهم ، فهم أصل الشر والبلاء ، وهم العاملون على تنفيذ المطامع الصهيونية الخطيرة . وحين قال (أبو سلمى) عام ١٩٣٦ :

« لو كان ربي انكليزيا دعوت إلى الجحود »

لمس الوتر الحساس في قلوب الجماهير الفلسطينية ، ونطق بلسانهم ، وعبر عن مشاعرهم المستفزة الغاضبة .

كلمة السر

(جاءت العباية .. جاءت العباية ..) .





لورد بلفور



ساطع الحصري



احمد حسن الزيات

كانت هذه كلمة السر في شوارع نابلس وازقتها . فحين تقع المدينة في مأزق أوخطر يأتيها من الخارج يقوم هناك حب (جماعي) بين النابلسيين يربط الناس بعضهم بالبعض الآخر ، وهذا نزوع طبيعي لدى الجماعة الواحدة في كل زمان ومكان ، فالخوف والمخاطر التي يحسها الناس من العدوان الخارجي تثير في نفوس الأفراد مشاعر مشتركة تلقائيا نحو العدو المشترك .

(جاءت العباية .. جاءت العباية ..) ! وتتردد كلمة السر في الأسواق والأزقة ويعرف الناس معها أن قوة عسكرية مداهمة في الطريق اليهم ، فيختفي من يختفي ويحتاط من يحتاط .

واصبح اصطلاح (جاءت العباية) فيما بعد من جملة تراث الثورة الشعبي في نابلس .

كانت نابلس ، كالخليل ، من معاقل المقاومة الصعبة ، ولقد جاء يوم اضطرت فيه السلطات إلى نفض يدها من الحكم داخل هاتين المدينتين ولقد بلغ من عنف المقاومة ان الغيت المحاكم في نابلس ونقلت ملفاتها إلى الثكنة العسكرية خارج المدينة .

الحكايات البطولية ، اخبار العنف والموت والاعتقالات والنفي والخيانات .. كل هذه كانت تخترق جدران الدار الأثرية وتصل إلى سمعي عن طريق الآخرين : اخوتي ، الجرائد ، النسوه الزائرات ، صبي اللحام والبقال واللبان وسواهم . وحين كانت أصوات المتظاهرين تأتي من بعيد ثم تقترب شيئا فشيئا ، كنت اهبط الدرج واركض إلى الصفة الحجرية في الديوان ، فاطل من أحد شبابيكها على السوق ، وتكون الصفة قد غصت بالنسوة القاطنين بجوارنا ، وحين أرى الجماهير الغفيرة الهائجة تغرورق عيناي أو يسيل الدمع على خدي ، وقد ظللت فيما تلا من أيام حياتي ابكي واحس بالتأثر العميق ازاء مشهد الجماهير المتراصة . ولعل الدمعة التي كانت تسيل من عيني في مثل هذه المواقف انما كانت بسبب عجزي عن الاندماج في الآخرين والمشاركة الفعلية في الالتحام بهم ، فما عرفت طعم هذا الاندماج ولا تعرفت على زحمة وحلاوة مذاقه إلا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . فالاحتلال الاسرائيلي هو الذي ارجع إلى الاحساس بنفسي ككائن اجتماعي ، وفي الاحتلال فقط ، حين رحت التقي بالجماهير في قراءاتي الشعرية ، عرفت القيمة والمعنى الحقيقي للشعر الذي يتعتق ويتخمر في دنان الشعب .

في منتصف ليلة من ليالي الخريف ايقظتنا طرقات الجنود البريطانيين باعقاب بنادقهم على باب دارنا . وحين قام أبي اليهم كانت قلوبنا تضطرب وقد تعلقت انفاسنا على حبل التوقع المتأرجح في الهواء : ماذا بعد ؟

وكنا في أعماقنا نعرف ماذا يأتي بعد ، فحين كانت الأبواب تطرق في مثل تلك الساعة من الليل كان يفهم المرء أن هناك عملية اعتقال .

ولم يرجع أبي ..

في الصباح الباكر كان في طريقه إلى سجن (عكا) مع الدكتور مصطفى بشناق ورفائق العنبتاوي مقيدي الأيدي باغلال ليلتقوا هناك بالمئات من ضحايا القمع الجماعي .

ظلت علاقتي الشعورية بأبي تتأرجح بين الحيادية أيام السلام والعافية ، والحنو البنوي أيام السجن أو المرض .

ميلاد قصيدة

مرت أيام ، أسابيع ، شهور ، والأحداث في عنفوانها المتقد . جاءتنا أنباء عن مرض أبي في السجن وكان رقيق البنية بطبيعته . استيقظت في سكون الليل ، كان فراشي دافئا ، وبرد الشتاء في الخارج يقطع المسمار . مرت صورة أبي في خاطري

مطروحا ، مريضا بين جدران السجن الجليدية ، واكتسحني حنو عميق . كان احساسي بالضغط والكبت بسبب حضوره في البيت قد تلاشى تماما ليترك مكانا للوحشة والحنان والشجن .

كانت قطرات الماء في الخارج تتساقط من أوراق الشجر بايقاع منتظم كدقات الساعة ، وكانت لحظة غريبة ، لحظة سايكولوجية في ذلك السكون الشامل ، رأيت فيها بعين الخيال قصيدتي التي لم اكن قد كتبتها بعد منشورة في صفحة الشعر في مجلـــــة (الرسالة) المصرية ، ورأيت ، بعين الخيال ، عنوانها بالخط الأسود العريض : (إلى أبي) !

وهربت اللحظة .

لكن الصورة المتخيلة لم تهرب ، بل ظلت تسكن عيني على مدى أيام ، إلى أن اصبحت صورة حقيقية تنبض على صفحة الشعر في مجلة (الرسالة) ، تلك المجلة التي طالما حلمت بالوصول اليها ، ولم تكن الطريق اليها سهلة المنال .

كانت تجربتي الشعرية في قصيدتي (إلى ابي) حصيلة كل ما تجمع في نفسي وتراكم من انفعالات منذ اشتعال الثورة عام ١٩٣٦ حتى اوائل عام ١٩٣٩ . ما اقل القصائد التي كتبتها بعد الهزة الانفعالية مباشرة . لقد ظللت اعجز دائما عن نظم الشعر وأنا في حالة الفوران العاطفي . لقد اصبت بالبكم الشعرى مدة شهرين كاملين بعد حرب حزيران . وبعد هدوء العواصف تعود إلى القدرة على النظم ، فهنا تبدأ القصيدة كالجنين الهلامي ، ولا أعرف في هذه المرحلة ماذا اريد أن أقول ، ثم ، وتدريجيا ، تجد الافكار طريقها إلى التبلور ، وبصورة غامضة جداً أجد نفسي أكتب أول سطر ثم الثاني ، بعدها يأتي الجهد الشخصي .

وبكيت فرحا !!

كان صاحب مجلة (الرسالة) أحمد حسن الزيات ، يرحمه الله ، يفتح صدر مجلته للكتاب والشعراء العرب البارزين إلى جانب الكتاب المصريين . وكانت الرسالة أوسع المجلات العربية انتشارا ، وكان الزيات يولي أدب الثورة الفلسطينية الاهتمام الجدير به . في هذه الفترة كانت مصر قد (اكتشفت عروبتها ونشطت في حركة النضال العربي) كما قال ساطع الحصرى . ففي أعقاب مشروع التقسيم ، ونتيجة للهياج الفلسطيني الغاضب عقد مؤتمر القاهرة صيف ١٩٣٨ في ظل حكومة (الوفد) المتميزة آنذاك بحرارة شعبيتها ، واشترك في المؤتمر نواب وشيوخ من برلمانات الاقطار العربية وممثلون عن الحركة القومية في المغرب الأقصى . كما عقد في مصر المؤتمر النسائى التاريخى باشتراك ممثلات من المنظمات النسائية في مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين . وكانت القرارات في المؤتمرين تتضمن تأكيد وتأييد مطالب الفلسطينيين بتأليف حكومة قومية مستقلة ووقف الهجرة ومنع بيع الأراضي .

بيضت القصيدة التى سهرت عليها الليالي لاسبوعين شتائيين . ووقفت مكهية مترددة امام رغبتى بمفاجأة ابراهيم بها منشورة في مجلة (الرسالة) التى اصبح حبى لها غراما . كنت أحس ان طموحي إلى النشر في تلك المجلة يتجاوز حدودي الأدبية الضيقة الرقعة . (فالزيات) لم يسمع باسمى الا مرة واحدة ، وذلك يوم نشر لى قبل شهور تعقيبا عاطفيا ـــ بالنثر ـــ على مقال كنت قرأته في مجلته تحت عنوان (هل في الحيوان غريزة الغيب ؟) . كان المقال مناسبا لاتخذ منه جسرا للتعبير عن مشاعري الفلسطينية آنذاك . فكتبت تعليقا عليه تحدثت فيه بعاطفية شديدة عن سكون الليل الموحش الذي كان يكتنف (جبل النار) قبل عودة هبوب الثورة عام ١٩٣٧ ، وكيف كانت بنات أوى ترسل في الجبل ولولتها الموحشة الحزينة وكأنها انذار بما سيقع من مآسي ، وبما سيسقط من ضحايا العدوان والتنكيل بجموع السكان . ثم تحدثت كيف صدقت غريزة ذلك الحيوان في احساسها المسبق بما وقع بعد ذلك من مآسي الاستشهاد البطولي . وحين ظهر تعليقى في مجلة الرسالة لم اكد أصدق عيني ، وظللت لأيام عديدة أعود إلى قراءته في المجلة فاستعيد الاحساس بالغبطة والسعادة بما حققت من انجاز أدبى (كبير) .. وكانت هذه البداية منطلقا للذهاب بمطامحي إلى مدى أبعد ، وأصبحت احلم برؤية قصائدي منشورة في تلك المجلة ذات السمعة الأدبية في العالم العربي كله .

لم يطل ترددي ، وتجاوزت تهيبى ، فقررت تجربة حظى . وقبل اطلاع ابراهيم على القصيدة بعثت بها إلى مصر . ورحت أعد الساعات واستعجل مرور الليالي والأيام .

للمرة الأولى دائما مذاقها الخاص ونكهتها التي لا تعود بالتكرار . لقد توهج اسمي في عيني حين رأيته بين الأسماء الأدبية اللامعة المدرجة في فهرس أحد أعداد المجلة الصادر في أوائل عام ١٩٣٩ .

فوجىء ابراهيم بالقصيدة وكان يشغل آنذاك منصب مدير القسم العربي في اذاعة فلسطين في القدس . بعث إلى برسالة بريدية قصيرة بدأها بقوله : (يا أم التمام) ثم هنأنى على القصيدة (الجيدة) وقال ان الاستاذ اسعاف النشاشيبى والأستاذ خليل السكاكيني وآخرين قد حدثوه بشأنها وكلهم يثني عليها .

وبكيت فرحا !

فدوى طوقان

نابلس ـــ الارض المحتلة

في العدد القادم تواصل الشاعرة فدوى طوقان وصف رحلتها الجبلية الصعبة . فتتحدث عن « ايام القدس » ..

منذ الطفولة والخوف يرافق مسيرة حياتى . يد عمياء ، لاهبة ، تقترب يمينا وشمالا ، ولا احد ينجيني . قد ينهار هذا السقف فجاة ، قد يغرق هذا الجبل فى السهل بهزة ، قد تهوى بغتة على الراس مطرقة يحملها صوت ناع ينعى حبيبا من الاحباب ..

لقد ظل حبى لابراهيم مصدر كآبة باطنية رافقت تعلقى به طيلة حياته القصيرة . كان شعورى بالسعادة لوجود هذا الاخ الحنون فى حياتى يهزنى احيانا بما يشبه الحزن وذلك لفرط خوفى عليه من موت مبكر .

لا ازال احتفظ حتى اليوم باشياء صغيرة تركها ابراهيم او اخى نمر الذى اتجهت اليه مشاعر الحب والتعلق بعد وفاة ابراهيم : جزدان جلدى صغير ، مفكرة جيب ، رباط عنق ، مشط صغير ، دفتر للعناوين وأرقام التليفونات الخ ...

لا ازال احتفظ بهذه الاشياء ، المسها بحزن وحب ، وكانني احاول ابعاد البلى والفناء عن الاحبة باحتفاظي باشيائهم الصغيرة ، والابقاء عليها حية فى خزانتى .. ان (للاحياء أرضا ، وللاموات ارضا ، ولا يصل بينهما إلا الحب) كما يقول ثورنتون وايلدر .

• • •

كنت افكر احيانا بالهرب من البيت بحثا عن الخلاص ، غير انه كانت لدى رقة قلب بالغة تجاه شيخوخة ابى بالرغم من البعد النفسى الشاسع الذى كان يفصلنى عنه فى تلك الفترة . فما ملكت يوما القلب القاسى الذى لا يبالى بآلام الآخرين فى سبيل نزعاته وتطلعاته . وهكذا لم يكن أمامى إلا الانعزال الكامل فى قلب العلاقات البشرية المتشابكة من حولى والهروب الى الشعراء او الزمن الروائى ، او احلام اليقظة.

هذا المد الإسلامي إلى أين يمضي؟

يدين ربع سكان الارض بدين الاسلام .. اى ان هناك ما يقرب من الف مليون مسلم من اربعة بلايين إنسان . ووسط الاف الاسئلة والقضايا المطروحة على المسلمين سؤال جوهرى يقول : متى تطبق الحكم الاسلامى وكيف ؟

نؤمن أن جواب السؤال بالايجاب والفورية هو حلمنا النبيل ، ونعرف ان واقع المسلمين يفتقر كثيراً إلى التفاؤل ، وفي الفجوة التي تقع بين الحلم والواقع ، تشتعل قلوب المسلمين بهذا الامل الغامض ان يكون القرن الهجرى الخامس عشر هو بداية عودة المسلمين إلى مراكز التوجيه والقيادة البشرية ..

ولا أحد ينكر أن العالم الاسلامى يزخر بمد اسلامى يرتفع لحظة بعد لحظة ، ويختلف هذا المد في صوره الظاهرة وتياراته الخفية ، ولكنه يصنع في النهاية هذا الفوران الذي تراه في بحر الحياة الاسلامية ..

وقد وقعت ثلاثة احداث هامة في نهاية القرن الهجرى الرابع عشر ، وفي أول يوم من القرن الهجرى الخامس عشر ، وفي اليوم الخامس من القرن الجديد :

١ ـ وقعت ثورة ايران الاسلامية في نهاية القرن الهجرى الرابع عشر .. ومهما تكن النظرة لهذه الثورة أو التحفظات عليها فلا ريب أنها كانت حدثا هائلا كشفت عن طبيعة الروح الاسلامى الثائر ، ولقد لفت انتباه الغرب والشرق إلى هذا العملاق القوى الذى حسب الناس انه قد أغمض عينيه ونام وانتهى دوره ، ثم اكتشف العالم أن الدفعة القرآنية الأولى مازالت حية تؤدى دورها على مسرح الاحداث العالمية .

٢ ـ وفى فجر اليوم الأول من القرن الهجرى الخامس عشر وقع حادث محزن تمثل فى اقتحام المسجد الحرام فى مكة وتبادل اطلاق الرصاص داخله ، وقد أغلق المسجد الحرام وظل مغلقا خلال ما يقرب من اسبوعين ، وليس هناك عمل يستطيع أن يوقظ المسلمين على لذع الالم المحرق مثل اغلاق المسجد الحرام .

ولقد وصل هذا الالم الى قلوب ربع سكان الكرة الارضية بعد لحظات من وقوع الحدث .

٣ ـ فى اليوم الخامس من القرن الهجرى الخامس عشر ، انعقد فى دولة قطر المؤتمر الثالث للسنة والسيرة النبوية ، وشهدت الدوحة جمعا من علماء المسلمين من انحاء الارض قلما يجتمعون معا فى مكان .

وهذه الاحداث الثلاثة رغم تفاوتها بين حكمة العقل وهدير العنف ، ورغم اختلاف اسبابها ودوافعها واختلاف النتائج السارة والمحزنة الا انها في نهاية الامر سلسلة من التيارات التي تحرك المد الاسلامي حيث يطفو فوقه السؤال الذي يقول الحكم الاسلامى .. متى نطبقه وكيف نبدأ ؟

خريطة العالم الاسلامى

ماذا ستقبل العين لو طافت بخريطة العالم الاسلامى ؟ ان الخلافات التى زرعها أعداء الاسلام وسط المسلمين منذ قرون ، قد اثمرت وادت دورها ووصلت بالعالم الاسلامى منذ قرون ، الى مكانه الذى يقف اليوم فيه ..

وهو مكان قد نختلف عليه ولكننا جميعا نتفق انه ليس هو مكان الصدارة البشرية .. نعرف أن عودة الاسلام الى مراكز التوجيه والقيادة البشرية تقتضى أولا أن يعود المسلمون الى منابع الاسلام الاولى .. ان الاسلام ليس عملا سحريا يستطيع تغيير الحياة بدون مسلمين .. ان الاسلام روح والمسلم جسد وبغير الجسد يظل الاسلام روحا من المثل الاعلى الهائم الذى لا يطبق ليس هناك خيار بين المسلمين اذا أرادوا العودة الى مكانتهم الاصلية وأداء دورهم الحقيقى ، ليس امامهم سوى العودة للاسلام .

العنف الاسلامى

ماهى الدروس المستفادة من حكم الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

فى تصورى أن أول الدروس المستفادة هو التوسط والرحمة ، ولعل هذا الامر يصلح ردا على موجات التطرف التى ظهرت فى كثير من البلاد الاسلامية فى الفترة الاخيرة ولعل أهم الظواهر التى يجب رصدها فى العالم الاسلامى فى نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ، هى ظاهرة الاسلام العنيف ، والدعوة الى اعتبار أغلبية المسلمين خارجة على الاسلام بسلوكها ، والرغبة فى هجرة هذه المجتمعات أو تغيير انظمتها بالقوة المسلحة ..

لا أحد من المصلحين الاجتماعيين ينكر اليوم أننا نعيش وسط جاهلية مختلفة الالوان والاشكال ..

جاهلية ثقافية ، وجاهلية دينية ، وجاهلية علمية .. الى اخر انواع الجاهليات ..

ولكن احدا لاينكر أن جوهر التوحيد باق فى النفوس كافة ، وأن هذا الجوهر يتيح للمصلحين ارضية يمكن البناء عليها والبدء منها . ولا أحد ينكر ان جوهر الشباب هو التطرف والنقاء ، ولهذا الجوهر ميزته فى تناول الاشياء والنظر اليها .. ولكن العنف لم يكن جزءا من جوهر الدعوة الى الاسلام

لقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله ١٣ عاما وسط مجتمع كافر ، ورغم الاضطهاد والتعذيب لم يرفع الرسول سيفه الا بعد مرور هذه الاعوام الطويلة حين تم تأسيس الدولة وبدأت تتعرض للغزو ..

وفى تصورى أن كل الايام التى مرت على رسول الله منذ بدأ دعوته الى الله حتى رحل الى الرفيق الاعلى كانت حكمة إلهية عليا ..

ليس من قبل المصادفة أن الجزء الاكبر من حياة المسلمين تميز بالسلام والرفق التشريعى والتدرج فى الاحكام والتيسير على الناس والتخفيف عنهم ورعاية ما لا يتعارض من مصالحهم مع الشرع .

- ثلاثة أحداث هامة فى نهاية القرن الهجرى الرابع عشر
- عصر الخلفاء الراشدين كان خير عصور الإسلام وأنقاها
- ليس هناك خيار أمام المسلمين إذا أراد وا مكانتهم الأصلية

مالذى نعنيه بالعودة الى الاسلام .

ينصح العلماء بالنظر فى بداية الاسلام ، وينصحون بالالتفات الى الدروس المستفادة من حكم الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم خلفائه الراشدين ..

وليست هذه النصيحة خطوة الى الوراء كما يحاول البعض إيهامنا لنبقى على تخلفنا ، انما هى عودة الى المنابر الاولى لمعرفة أسباب سر ابطاء النهر وانخفاض مياهه .

لنفرض أن نهرا عظيما قد بدا يضطرب وينخفض ماؤه فجأة ثم يرتفع فجأة فيغرق الارض ، ثم يعود الى الانخفاض ثم يتراوح بين الارتفاع المفاجىء والانخفاض المفاجىء ..

لنفرض أن هذا وقع لنهر ما .. فهل يبدأ البحث عن السر فى شطآن النهر ام يبدأ البحث عن المنابع ..

إن العودة الى المنابع الاولى هو العلاج الصحيح للمشكلة ، وبغير هذه العودة سنظل نعالج المرض بالمسكنات علاجا موضعيا ونغفل أسباب الداء الحقيقى .

ليس هذا مصادفة .

نحن مأمورون باتباع النبى والتأسى به فى كل الامور ، واخطر هذه الامور هو الدعوة الى الله ..

ولقد كان سلوك النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة اشارة موحية الى الدعاة من بعده أن يضعوا الاساس الفكرى للدولة قبل قيام الدولة ..

وقد بدأ الرسول عمله وسط بيئة لاتعرف الله ولا تؤمن بتوحيده ، ولكن الدعاة اليوم يدعون الى الله وسط بيئة تعرف الله وتسلم بوجوده ، ومهمة الدعاة اليوم أسهل اذا نظرنا اليها من هذا المنظور . ثم إن الرسول تدرج فى التشريع ، وراعى الرفق بالناس ، وهذا ما ينبغى أن يكون واضحا عند الدعاة الى الله أو مؤسسى الدول الاسلامية

ان التدرج سنة نبوية .

والرفق سنة نبوية..

وصحيح أن الدعاة اليوم يواجهون رغم السهولة التى تحدثنا عنها صعوبة تتمثل فى خفاء الجاهلية وانتشار الجهل وابتعاد

الحرم النبوى الشريف

لقطة من مؤتمر السيرة والسنة



الناس عن مصادر الايمان ..

ويمكن القول بلا تردد ان الشيطان قد تطور مع تطور الحياة ، بل لعله بدهائه قد سبق تطور الحياة واعد لكل شيء عدته ، ولم يعد يقدم لأتباعه اليوم تماثيل من الحجارة او العجوة لعبادتها ، انما جدد الشيطان فى أساليبه وراعى عصر الطاقة والفضاء والتكنولوجيا ...

وهكذا اندثرت الاوثان الظاهرية وصارت الاوثان الجديدة خفية كالهوى متلونة كالسلطة تلتبس بأقنعة الحلال ، وربما كانت تعريتها أصعب من تعرية الالهة القديمة ، ومن ثم فان حربها قد تكون اصعب من حرب الاوثان الساذجة الظاهرة

هذا قدر المسلمين..

ومهما يكن من أمر فان القضية هى قضية الدروس المستفادة من حكم الرسول .. وأهمها فى نظرنا المبادىء العامة التى بنى عليها التشريع الاسلامى وهى :

ـ التدرج فى التشريع .
ـ التقليل من التقنين .
ـ التيسير والتخفيف .
ـ مسايرة التشريع لمصالح الناس .

ولو تأملنا هذه المبادىء الاربعة فسوف نجد أنها أمانة فى يد من يتصدى للدعوة لتطبيق حكم الاسلام ، لأن تطبيق حكم الاسلام يعنى تطبيق الشريعة الاسلامية ، ولا يمكن الدعوة لشريعة بهذه السماحة بأى اسلوب من اساليب العنف أو القهر، وهنا يجب ان نفرق بين لين الداعية وحنانه ، وصلابته فى الدفاع عن دولة الاسلام اذا هددتها سيوف العدو .

وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كداعية ونبى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقيل له كجندى من جنود الله (يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)

واضح اننا أمام نصين قرآنيين ..

احدهما نص يمن الله على النبى أن خلق فيه برحمة الله لينا وحنانا جعل الناس تجتمع حوله.. وفى هذا النص يورد الله لفظ غلظة القلب ويمن على النبى أن حماه منها فضمن له الا ينفض الناس من حوله ..

فى النص الثاني يأمر الله رسوله ان يكون غليظا على الكفار والمنافقين الذين يحاولون هدم دولة الاسلام ، وقد وردت هذه الاية فى سورة التوبة ، وهى سورة مدنية كانت ضمن آخر السور التى نزلت من القرآن وهى بهذا الاعتبار تضمنت احكاما نهائية فى العلاقات بين الامة المسلمة وسائر أمم الارض .

وتأمل النصين معا يؤكد أن الرسول كان لين القلب رؤوفا بالناس رحيما بهم .. وهذه هى أوصاف الداعية ... هذا الداعية نفسه كان مأمورا اذا جاهد الكفار والمنافقين أن يتحول الى الغلظة التى هى مزيج من الحسم والصلابة والصرامة .

ويمكن تلخيص الدروس المستفادة من حكم الرسول بالتوسط والرحمة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله . وبهذه الخصائص كان المسلمون أمة وسطا ، وكانوا خير الامم .

(كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)



الخلفاء الراشدون وجوهر الديمقراطية

بعد نموذج الحكم الذى قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. تعاقب أربعة خلفاء راشدين بعده ..

وهناك اتفاق يشبه الاجماع بين علماء المسلمين على أن عصر الخلفاء الراشدين كان خير عصور الاسلام وأنقاها ، ومن هنا صار النظر فيه وتحليله نظرا فى القدوة وتحليلا لها.

ويجمع جمهور المسلمين على ان حكم الخلفاء الراشدين هو النموذج الشرعى للاسلام ، وبالتالى فهو مصدر رئيسى للاحكام الشرعية حول الخلافة واصول الحكم فى الاسلام ..

واول درس يحدثنا عنه حكم الخلفاء الراشدين أنه ليس للحكومة الاسلامية شكل محدد متعين بذاته .. ترك الامر حرا واختلف فى كل مرة كحكمة عليا مثلا .. تم انتخاب الصديق ابى بكر على درجتين

انتخب بالبيعة الخاصة فى مؤتمر السقيفة .. ثم انتخب بالبيعة العامة التي تبعتها من سائر المسلمين ..

وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته قد أمر صاحبه الاول ان يصلى بالناس .. وكان معنى أمر النبى له بالناس ما يشبه استخلاف الرسول له ..

ثم هناك ما يشبه الوصية من الرسول للمسلمين بشأن ابى بكر وكان هناك انتخابات آجريا بشأنه .

اى اننا امام ما نسميه بلغة اليوم ديمقراطية حقيقية تقوم على الانتخاب الحر

واوصى ابو بكر الصديق لعمر من بعده فبايعه الناس .. اى أن ولايته جاءت بعد وصية الصديق وانتخاب الناس له .

والف عمر بن الخطاب مجلسا من ستة اشخاص ليختار احد أعضائه خليفة ، واختار المجلس عثمان بن عفان فبايعه جمهور المسلمين ، وبعد مقتل عثمان بويع على بن ابى طالب فانتخبه الناس انتخابا حرا..

وسوف نلاحظ أن هذه الاشكال المختلفة من طرق اختيار الخلفاء أجمعت على أمرين

ـ الانتخاب من قبل جماعة المسلمين ..
ـ اختيار افضل العناصر الصالحة لحراسة الشرع وسياسة الدنيا .

ورغم ان على بن ابى طالب كان من أهل بيت النبى ، الا انه اختير كخليفة رابع ، ورغم انه كان باب مدينة العلم ، الا ان المفاضلة بينه وبين عمر بن الخطاب قدمت

العدد القادم

الإسـلام
وقضيـة الحـريّة

بقلم : أحمد بهجت



واحدا لم يكن قريب النبى أو نسيبه ، رغم أن قريب النبى كان قمة من قمم العلم والفضل والاسلام .

وهذان الأمران هما جوهر الديمقراطية التى تحلم بها أكثر الانظمة تقدما فى العالم ولقد زاد الاسلام على ديمقراطيته الروحية بهذه المكانة التى جعلها للدعوة ..

كانت الدولة الاسلامية خادما للدعوة الاسلامية ..

وكانت حارسا لحقيقة التوحيد .

وكان الخليفة المسلم يضرب أمثلة عليا فى التواضع والتجرد والجهاد .

كان عمر بن الخطاب اخر من ياكل وأول من يعمل ..وكان ابو بكر الصديق قبل الاسلام رجلا شديد الثراء فصار بعد الاسلام فقيرا فى المال

وفى قمة مجد الدولة الاسلامية صاحت امراة تعارض عمر حين اراد حل مشكلة المغالاه فى المهور بوضع حد لاتتجاوزه ، واتيح لرجل أن يرد على عمر : لا سمع ولا طاعة حين راه يرتدى ثوبا طويلا وقد وزع على المسلمين قماشا لايكفيه ، واوقف عمر ابنه ليتكلم فقال الابن : ان ابى أخذ قماش ثوبى واضافه لثوبه لانه طويل القامة وقماشه لا يكفيه .. وكان عمر يمضى بلا حرس ولا جند ولا هيلمان .

وكان عدله يتيح له أن يضع نعله تحت راسه وينام فى ظل اى شجرة ظليلة ..

وقد ضرب الخلفاء الراشدون أمثلة فى المساواه ببقية المسلمين فلم يسمح احدهم لنفسه أن يتميز عن عامة المسلمين فى طعام او شراب او ملبس او مسكن او اى موضوع خاص ..

وكانت الحرية فى هذا العصر مكفولة بنصوص القران وروحه ، باختصار .. كان حاكم المسلمين يرى الحكم امانة يؤديها ، امانة تزيد من أعبائه ومسئولياته ولا تمنحه فى نفس الوقت أى امتياز خاص سواء كان امتياز له أم لاسرته .

كان الخلفاء الراشدون يؤمنون باخوة الاسلام .. ويؤمنون بأن كلكم لآدم وآدم من تراب ..

السلطة التشريعية

وفى عصر الخلفاء الراشدين .. كانت السلطة التشريعية لعلماء هذا الزمن واخلص القيادات فيه ، وهم اصحاب الرسول أو رؤوس القوم .

وكانت مصادر التشريع ثلاثة .. القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهاد العلماء من الصحابة

وكان اهم انجاز انسانى حققه عصر الخلفاء الراشدين من الناحية التشريعية هو جمع القرآن وتدوينه ، وعدم تدوين السنة حتي لاتلتبس بالقرآن . وكانت الخطة التشريعية التى سار عليها رجال التشريع هى نفس خطة الرسول ، وان اضافوا الى القرآن والسنة .. الاجماع والقياس .. وقد خلف هذا العصر ثلاثة آثار تشريعية .

الاثر الاول : بعض الشروح لنصوص الاحكام فى القرآن .

الاثر الثانى : عدة فتاوى اجتهادية صدرت فى وقائع لا نص فيها .

الاثر الثالث : إنقسام حزبى بدأ سياسيا بشأن الخلافة والخليفة ، وانقلب دينيا فكان له أثره الخطير فى التشريع والسياسة .. ومن المدهش أن آثار هذا الانقسام لازالت باقية رغم مرور ما يقرب من ١٤ قرنا عليها .

حدث بعد قتل عثمان ومبايعة على بالخلافة أن نازعه عليها معاوية بن ابى سفيان ، وبدأت الحرب بين الفريقين ، وانتهت الى تحكيم حكمين ، ونتج عن التحكيم انقسام المسلمين الى ثلاثة أحزاب الخوارج .. والشيعة .. والسنة وهم جمهور الامة .

اما الخوارج منهم جماعة من المسلمين كرهوا من عثمان سياسته فى خلافته ، ولم يرضوا على (على بن ابى طالب) لقبوله التحكيم ، ونقموا من معاوية توليته الخلافة بالقوة ، فخرجوا عليهم جميعا ، وكان مبدؤهم ان خليفة المسلمين يجب انتخابه انتخابا حرا ممن تتوفر فيهم الكفاءة للخلافة ولا يهم ان يكون قرشيا أو غير قرشى ، حتى لو كان عبدا حبشيا ، وكان من رايهم انه لا يجب طاعته إلا اذا كان عمله فى حدود القرآن والسنة ، وراوا انه اذا جاوز حدودهما وجبت معصيته ، وسلكوا فى تأييد دعوتهم كل وسائل العنف والشدة ..

وقد اساء عنفهم المبدئهم اعظم إساءة ، وحصرهم فى دائرة الاقلية .

٢ ــ اما الشيعة فهم جماعة من المسلمين غالوا فى حب على بن ابى طالب وذريته وافرطوا فى هذه المحبة ، وكان رايهم أن (علي) أحق بالخلافة من عمر بن الخطاب ، وانقسموا فيما بينهم فرقا تتراوح بين الغلو الشديد والاعتدال ، كما اختلفوا بشأن الخلافة فجعلتها كل فرقة فى فرع خاص من ذرية على .. وقام تصورهم على وصية الرسول لعلى بخلافته

(٣) أما جمهور المسلمين فهم أهل السنة والجماعة ، وهم يرون أن الخلافة ليست وصية لاحد .. كما انهم لا يفاضلون بين الصحابة ، ويرون أن الخليفة ينتخب من اكفاء قريش إن وجد .. ومن غيرها إن لم يوجد وقد ترتب على هذا الانقسام بين الاحزاب الثلاثة اثر تشريعى ، صار للخوارج فقه خاص ، واصبح للشيعة فقه خاص .. واصبح للسنة فقههم الخاص ولقد لجأ الخوارج الى العنف فظلوا اقلية قليلة فى المجتمع الاسلامى

أيضا تميز الشيعة بالغلو وصاروا أكبر الاقليات فى الاسلام

ويبقى السنيون هم اغلبية العالم الاسلامى .

ومن المثير للانتباه أن القوى الثلاثة تتحرك اليوم .

إن ايران من الشيعة ، وثورة ايران الاسلامية نموذج للغلو

والذين اقتحموا المسجد الحرام من الخوارج اذا نظرنا اليهم من زاوية العنف .

ومؤتمر السيرة والسنة النبوية هو مؤتمر السنيين وحركتهم فى اتجاه تطبيق الاسلام

ويمكن القول ان العودة الى الوجدان الدينى فى الشرق الاوسط لدى اغلبية الجيل الجديد فى الدول الاسلامية ، يشكل ثورة على الفشل الذى تحقق عبر الحياة السياسية العربية والاسلامية التي اعقبت الحصول على الاستقلال من النفوذ الاجنبى ..

ويمكن القول ــ ايضا ــ أن الله تبارك وتعالى ــ يدخر للمسلمين نهضة طيبة توحى بها النذر ..

نسأل الله أن يوفق المسلمين لاستعادة دورهم فى قيادة البشرية.

أحمد بهجت

عبد القادر حميدة

السقوط من الذاكرة!



أرثي لصديق
قتلته التخمه ذات مساء !
لم يحفر في ذاكرتي ـ واأسفى ـ قبرا
لم ينبت دمعة حزن ساهمة
في ليل الصحراء المتوهج بالغربة ..
والأنواء .
زهرة صبار واحدة في صدرى
لم تـــزهر
لم تتلاش الألوان
وما اختلطت في باصرتى
ـ حين يموت صديق ـ
كل الأشـــياء !!

● ●

كان صديقى
لا ينهش غير لحوم الموهوبين المهمومين
الشرفاء
يترصد أحلى ما في أعينهم من أحلام الانسان
انكفأت في قدميه المتعبتين الطرقات الوعرة
والأوثان !
يحلو أن يلعق من دمهم
في أوقات اللهـو
وفي أوقات الزهـو
وفي أوقات الشـهوه !
فصديقى يبغض أن يشغل عنه بشىء آخر
يتمسح في أذهان المصلوبين صباح مساء .
يهوى أن يصبح نافورة دمع تمساحى
في آذان المسلوبين المصلوبين

أما الدهماء
فخطايا عبرت عفـوا
بحذاء القدمين اللاهثتين بداخله في كل الأنحاء
وذنوب لا يغفرهـــا غير الله !

● ●

كان صديقى
يزعجه أن يلقاك بشوشا
أو إنسانا من ضوء ومحبه
يكره ألا يلقاك مهيضا وذليلا
يعشى في الوهج إذا ماكان نبيلا وكريما وأصيلا

يتآكل إذ يوقن انك من نور
أو أنك أنقى مما يكمن تحت ردائه .
أصفى من كل براءات الزاهد حتى
فيما يروى شفتين مشققتين
وصديقى يمقت حتى
أن تشتاق لديه
بقايا إنسان
من لحم وعظام ودماء
فصديقى لا يتنفس إلا بغضاء
وإذا ابتسم صديقى
بانت من شدقيه نواياه الصفراء !

● ●

أرثى لصديق
قتلته التخمة يوما
لا أذكر ذات صبح أو ذات مساء
لكنى أتذكر كيف يموت صديق حى
في ذاكرة الأحياء !!

فى الضبــــاب

للشاعر الألمانى : هرمان هسه
ترجمة : د. عبد الغفار مكاوى



ما أغرب التجوال فى الضباب !
كل أيك وحيد
كل حجر
ما من شجرة ترى الأخرى
كل شجرة تقف وحيدة !

●

كان العالم عندى مليئا بالأفراح
حين كانت حياتى لا تزال مضيئة
والآن حيث سقط الضباب
لا أحد عدت أراه !

●

حقا .. لا يعد حكيما
من لا يعرف الظلام
الذى يفصله عن الجميع
كالقدر المحتوم فى هدوء !

●

ما أغرب التجوال فى الضباب
الحياة وجود وحيد
ما من إنسان يعرف الاخر
الكل وحيد !!

د. حافظ الجمالي

بين الذهول عن الآخر والذهول عن المستقبل

● الذين يعيشون لأنفسهم فقط يوصمون بالشذوذ ويعتبرون غير أسوياء..

— ١ —

ذلك الانسان الذي يعيش حاضرا متجددا ، لا ماضي يدعمه ، ولا مستقبل يرنو اليه ، والذي يعيش حياته الخاصة ، منقطعا عن الآخرين، هو حتما انسان غير عادي ، وفي التقييم الاجتماعي أقل من انسان ، والشيء المألوف والعادي أن الانسان قد يكون فرحا جدا بنعمة أصابها ، أو بسعادة رزقها ، وامتلأ قلبه لها حبورا ، وشفتاه ضحكا ، ولكن ما ان يصادف جوا كئيبا ، حتى تتقبض سعادته ، ويتقلص هناؤه ، ويخجل أن يكون سعيدا في موكب التعساء ، أو سليما في جماعة المرضى ، أو غنيا في جمهور الفقراء ، أو الحي الوحيد بين أشلاء الشهداء ، حقا ان ابتسامتنا لتبدو قمة في الوقاحة ، ان كانت الدموع تنهمر من عيون الآخرين ٠

ذلك هو الاس الطبيعي ٠ الا آن المجتمع ، أي « الآخر » جملة ، ارتقى بهذا الشيء الطبيعي الى مستوى القيمة الاخلاقية ، واعتبر أن من يعيش في الحاضر وحده ، قصير النظر ٠ وعندما يقال عن انسان ما ، انه لا ينظر الى أبعد من أرنبة أنفه ، فما من أحد يخطر في باله أننا نمدح هذا الانسان ٠ وكذلك عندما يعيش الانسان لنفسه وحدها دون أي اعتبار للآخر ، فانه يوسم بالشذوذ ، ويعتبر غير سوي ٠ فاذا كان ممن يستخدم « الآخر » لمصالحه وحدها ، مستغلا اياه ، ناظرا اليه كوسيلة ، مجرد وسيلة ، فانه يعتبر أنانيا ، أو استغلاليا ٠

وليس في هذا أيضا ما يشبه المديح ٠ ذلك أن « الآخر » شيء هام في حياتنا اليومية وفي واقعنا النفسي، بمقدار ما هو قيمة أخلاقية ٠ الا أن هذا الآخر ليس مجرد الانسان القريب منا فحسب ، بل هو الآخر الاجتماعي ، الذي وجد منذ الخليقة، ولا سيما قرعه الذي ننحدر نحن منه ، ونعي انتسابنا اليه ، ونعتبر أننا واياه « كل واحد » يضمنا ونضمه معا ، وهذا الكل الواحد هو الأمة بطبيعة الحال ، ان لم نقل الانسانية بوجه عام ٠

— ٢ —

ليس من العبث اذن أن يكون لمثول الآخر في نفوسنا ، قيمة أخلاقية ، وان تشتد هذه القيمة ، وتعلو ، بنسبة ما يشتد حضور الآخر ، كما انه ليس من العبث أن يكون مثول المستقبل في نفوسنا ، قرينة على سلامة عقولنا ، وكلا الامرين من الشروط الاساسية لحياة المجتمع ولهذا أعلا الناس دوما بعد النظر على قصره ، واحترم الغيرية ، واحتقر الانانية ٠ أو ليس من الملاحظ بكل وضوح ، أنه كلما ازدادت أنانية الواحد منا ، وازداد ضيق أفقه ، هبطت قيمته لا في نفوس الآخرين فحسب ، بل في ذاته نفسها أيضا ؟ وماذا عساه أن يكون الكرم ، والاخلاص ، والوفاء ، والشرف ، والتضحية ، والحب ، والمودة ، لولا وجود الآخر ؟ ثم ما هي المخاطر الضخمة التي قد نتعرض لها لو لم نعش الا في حاضر أبدي ، لا يستفيد من ذكريات الماضي ، ولا يأخذ منها العبرة للمستقبل ، فكان البعد الاجتماعي أولا ، وحسن التطلع الى المستقبل ثانيا ، مما لا يستغني عنهما في كل وجود انساني يريد أن يرقى قليلا فوق المستوى الحيواني « الخالص الحيوانية » ٠

— ٣ —

ان هذا كله مقدمة ، أريد الوصول منها الى بيان مدى توفر هاتين السمتين (حضور الآخر وحتى التطلع الى المستقبل) في الانظمة السياسية التي قامت في الوطن العربي ، منذ عهد الانحطاط ، حتى الآن ، في البلاد العربية كلها ، لا في بلد واحد ٠ وأستبق الشروح كلها منذ الآن لألاحظ مباشرة أنه لولا ذهول الانظمة عنهما بدرجة خطيرة ، لما رددنا الى كل هذا التخلف الذي لف كل ما هو عربي ، من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، ولما تفاقم الانحطاط الى المستوى الذي نحن فيه ، بحيث نجد أننا لا نملك الآن ، لا القدرة على النهضة الجادة فحسب ، بل لا نملك كذلك حتى المحافظة على وجودنا القومي ، وسلامة الارض التي نعيش عليها منذ أربعة عشر قرنا على الاقل ، كما لا نملك حتى القدرة على تجاوز التخلف الذي لا يسعنا الا القول : انه — نسبيا ، ورغم كل صور التقدم التي نحققها ، في وجه أو آخر من وجوه حياتنا ، — لا يزداد الا تفاقما ٠

— ٤ —

ولا أقل الآن ان المجتمع ليس متخلفا بالضرورة لانه أكثر فقرا من



● أما أولئك الذين يستغلون الآخرين لمصالحهم وحدهم فهم أنانيون متخلفون

غيره ، اذ أن الارض ، وما فيها من ثروات طبيعية ، هي التي تعين الى حد كبير درجة الغنى التي يمكن أن نملكها ، وهكذا فلابد أن يكون الوطن العربي ، أفقر من الغرب الاوربي ، بحكم أن الاول جملة واحات صغيرة في صحراء كبيرة ، وأن العكس هو الصحيح في الثاني . واذا كنا نملك النفط الآن ، فذلك ثروة عرضية لن يكون لها الا وجود عابر . أما المطر الدائم او الكثير ، فهو ثروة دائمة الوجود ، متصلة الخيرات ، وهكذا استطاع أحد كتابنا أن يقول : آه ، من يبيعنا ماءهم بنفطنا ! » وحقا فان الفقر تخلف ، ولكنه أحيانا لابد منه اذا كانت الارض التي تعيش عليها صحراء قاحلة .

فهل يقال اذن ان المجتمع متخلف لانه قليل العلم ، ضئيل المعرفة ؟ لا ريب ان كمية المعرفة لبثت ١٥٠٠ عام بعد الميلاد حتى تضاعف حجمها ، ثم تضاعفت بين عام ١٥٠٠و١٨٠٠ ، وبين ١٨٠٠ و ١٩٠٠ ، وبين ١٩٠٠ و ١٩٤٥ ، وبين ١٩٤٥ و ١٩٦٠ ، وأخيرا بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٨ ، ولابد أنها تضاعفت مرة أخرى منذ ذلك الحين ، كما تضاعف الانتاج الصناعي ، وبالوتيرة نفسها ، بالتوازي مع تقدم المعرفة . وهنا لا مجال للقول اننا نملك تمثل هذه المعرفة على الاقل ان لم نملك ابتكارها ، فهل نحن متخلفون اذن ، لان أرضنا فقيرة ومعرفتنا ضئيلة ؟ ولهذا السبب وحده ، دون غيره ؟

أما الارض العربية فان فيها ٣ر٤٧ مليون هكتار من الاراضي المزروعة (٥ر٣٪ من مساحة الوطن) ، أو ما يقدر بـ ٢ر٣٪ من مساحة الاراضي الزراعية في العالم . ومن هذه المساحة كلها لا نملك الا ٤ر١٠ مليون هكتار من الاراضي المروية ، أو نحو ٦ر٤٪ من الاراضي المروية في العالم . وبالمقابل فان السكان (١٥٠ مليونا تقريبا) لا يزيدون على نسبة ٧٥ر٣ . وبالتالي فانه لا مساحة الاراضي المزروعة ، ولا مساحة الاراضي المروية ، بحيث يشكو نقصهما بالنسبة الى السكان ، في الوقت الحاضر على الاقل . اما في آخر القرن حيث ينتظر أن يصبح العرب ٣٠٠ مليون فان هذا النقص سيكون واضحا جدا بالقياس الى العالم المتقدم . ولكن الاهم من ذلك هو أن انتاجية الارض العربية ، زراعيا ، هابطة جدا حتى بالنسبة الى البلاد النامية ، فمساحة الارض المزروعة قمحا لدينا تساوي ٤٪ من أراضي العالم ، لكن انتاجها لا يزيد عن ٩ر١٪ من انتاج العالم . وقس على ذلك أكثر المحاصيل .

وبطبيعة الحال فان هذا التخلف انما يرد الى نقص واضح في المعرفة العلمية وتطبيقاتها بالجملة ، ولا سيما في الزراعة . فهل يقال ان شبابنا لا يتعلمون ؟ أو هم غير أذكياء ؟ أو هم ضعفاء الهمة ؟ أو أن التخطيط الصحيح هو الشيء الناقص؟

— ٥ —

الحقيقة أن القضية قضية انحطاط تاريخي ، قلما تساعد الانظمة القائمة أو التي كانت قائمة على التخلص منه رغم المدارس والجامعات ، ذلك أن « الآخر » بالنسبة الى الانظمة موجود كعدد ، لا ككيمة . وهذا الارهاق الذي يعانيه ، والذي أشار اليه الطبيب الفرنسي بريتيبه حتى منذ عام ١٦٧٠ ، هو الذي يقصم ظهر الافراد ، ويقتل الحافز على العمل ، ويسد أبواب المستقبل .

ان كل عمل يحتاج الى زمن والزمن هنا هو المستقبل . وعندما لا يطمئن الانسان الى مستقبله ، بسبب ارهاق الانظمة ، فان الطموح يتضاءل ، والانتاج يهبط ، والتخلف يزداد . فالانسان الذي لا مستقبل له ، لا طموح له ، والذي لا طموح له لا يحسن الانتاج المادي ولا المعنوي .

بين الذهول عن الآخر والذهول عن المستقبل

● والآن .. ألا يصح القول : إن أكثر الأنظمة تشكو كبعض الأفراد الذين تتهمهم بقصر النظر ؟

وابرز ما في هذه الانظمة هو تركزها على ذاتها ، كأنها هي الاول والآخر ، أما المواطن أو الآخر ، فانه كمية مهملة ، انه ليس بقيمة ، أو قل انه مجرد وسيلة •

والزمن بالنسبة الى هذه الانظمة هو الحاضر وحده • لا شك أن هنالك خططا خماسية أو رباعية ، تشير الى أن الزمن يدخل في حساب الدول ، ويلازم عملها •• ولكن هذا «الطلق» ليس وراءه ولادة • فقليلة هي المشاريع التي تنجح فعلا ، وكثيرا ما تصبح عمليات التنمية أعباء جديدة على التنمية •• أولا يلاحظ أن دولنا تنشيء المعامل ، وتوظف لها الاموال الكثيرة ، ثم تعود ، متى عملت ، فتوظف الاموال لتغطية خسائرها ، فكأننا اذن نسير على مبدأ : راوح مكانك أو عد الى الوراء • وكما حذف الفرد كوجود وقيمة ، فقد حذف المستقبل أيضا أو يكاد •

ولكن المشكلة هى أن الماضي أيضا لا يدخل في الحساب ، تماما كما يتضاءل دخول المستقبل • أو ليس ما نلاحظه من قناعة الانظمة بأننا جزء من العالم الثالث ، وأننا لا نساس ولا نحكم الا بمؤسسات العالم المتخلف ، دليلا على أن كل الماضي العربي ، وتراثه ، وأمجاده، وتجاربه الناجحة والمخفقة قد ألغيت منا ، وأصبحنا كالشعوب التي نشأت اليوم أو البارحة ، دون أي ماض غير ذاك الذي نسميه ما قبل التاريخ، بالنسبة الينا ؟

والآن ، ألا يصح القول ان أكثر الانظمة تشكو ، كبعض الافراد الذين تتهمهم بقصر النظر (فقدان حس المستقبل ، بالاعتماد على الماضي) وبالتركز على الذات (أو الغاء الآخر) من عيوب هؤلاء ، نفسها ؟ بل ألا يخطر في بال « هذه الانظمة » أن سلوكها يلاحظ من خلال سلوك من سبقها من القادة ، لا سيما اذا كانت ظروف الطرفين متشابهة ؟ وهل كان في وسع المماليك أنفسهم ، أولئك الغرباء عن البلاد ، أن يقضوا على معاقل الصليبيين في وطننا لو كانوا يتصرفون في قيادة البلاد ، كما تتصرف الآن أكثر أنظمتنا الوطنية ؟

ولقد يمكن القول : ان ملاحظاتنا هذه ، أخلاقية المنحى ، وان مجرد تشابه الانظمة العربية ، بنيويا ، يجب أن يكون شيئا آخر ، غير مجرد التوافق والانسجام بين مختلف الانظمة ، توافقا عرضيا محضا ، أو ليست فترات صعود الوطن العربي حتى القرن الخامس الهجري ، وفترات انحطاطه ، واحدة ، متشابهة، بدأت معا وانتهت معا ، وان هذا الذي يسمونه نهضة الآن ، يكاد أن يكون قد بدأ في آن واحد ، في أكثر الدول العربية ، واذا هو لم يبدأ في آن واحد ، فتقدم هنا تارة ، وتخلف هناك أخرى ، فانه ، حيثما كان ، أزهر نفس الازهار ، وقدم ذات الثمار ، كما لو أن ذلك كله يعكس مستوى عاما من التطوّر أو مرحلة من مراحله ، لا تملك من الوجهة الاجتماعية ، أن تفرز غير هذه الصورة من الانظمة والمؤسسات، ذات الانتاجية الواحدة ، مهما تعددت فيها الاسماء ؟ لئن قلنا ذلك ، على طريقة الحتميات العلمية ، فقد جعلنا الانسان أداة ، مجرد أداة ، حاكما كان أم محكوما ، وأخضعناه لحتميات خارجية ، ليس لارادته عليها من سلطان ، ولكن كما أن سقراط كأنه القابلة ، لا يزيد على أن يساعد الافكار الموجودة في الانسان بصورة قبلية ، أو فطرية ، على الولادة ، فكذلك أقطاب الاشتراكية العلمية ، كانوا يعرفون أن شخصية الزعيم هي التي تساعد الظروف القائمة على أن تلد ما هي حبلى به ، وحتى ان تعجل بهذه الولادة • أفنكون اذن ملكيين أكثر من الملوك ، وعلميين أكثر من العلماء ؟ وهل يكون لكل ظرف وشرط أثره ، ويحرم على الانسان وحده أن يكون له أثر ؟ أو لا ينبغي القول ان ضعف نجع الانظمة العربية ، أو عجزها عن حرق مراحل التطور ، انما ينشأ عن دخولها في التطور كعامل سلبي ، بسبب ذهولها عن « الآخر » ومن الشروط التي يمكن أن ينتج معها أعظم الانتاج ، والشروط الاخرى التي يتدنى فيها انتاجه الى الحد الادنى ؟ ثم بسبب من ذهولها عن الاستفادة من تجارب الماضي ، وحسن التطلع الى المستقبل ، أو لانها تعيش في حاضر مفرط الضيق ، يبدو وكأنه مقطوع عن كل ما عداه ، وما حوله ؟

ولقد تكون أقوالنا هذه كلها فرضيات ، مجرد فرضيات • ويسعدنا أن تكون ذلك • لكن ألا يجب ، اذا نحن استبعدناها ، أن نجد بديلا عنها ؟ وهل نعود من جديد لنقول : ان الاستعمار وحده هو سبب كل العلل ؟ يا لها من فرضية مريحة ، تعفينا من كل المسؤوليات ، ولكنها في الوقت نفسه تخلد علينا التخلف الى الابد •

د • حافظ الجمالي

العدد القادم

وجه مدينة من فلسطين :

الخليل

مدينة الأنبياء

استطلاع ملون

بقلم : نبيل خالد الآغا

على أبواب القرن الخامس عشر

أنور الجندي

تحديات الغزو الفكري الغريب كيف نواجهها؟

● كان ذلك بعد هزيمة الحروب الصليبية في الحملة السابعة على المنصورة
● الإسلام يعطي مفهومه الجامع كمنهج حياة ونظام مجتمع وعلاقة بين الإنسان وربه
● بفضل النفوذ الأجنبي استطاعت القلة أن تسيطر وتتسلم أعلى المناصب القيادية

اذا كان للمسلمين والعرب على أن يلتقطوا أول الخيط ليحققوا المسيرة الصحيحة نحو الاصالة والحق والايمان بما يؤهلهم لبناء المجتمع الاسلامي الجديد القادر على تأكيد ذاتيتهم القرآنية ومنهجهم الرباني ، فان عليهم أن يذكروا ذلك المنطلق الواضح الذي انطلقت منه تلك المحاولة الخطيرة لتغريب المجتمع الاسلامي بالغزو الثقافي والفكري لتحويله عن طريقه وأسلوب عيشه ومنطلقه ومفهومه الاصيل ٠

كان ذلك بعد هزيمة الحروب الصليبية في الحملة السابعة على المنصورة والتي قادها لويس التاسع والتي أسر فيها لويس في دار ابن لقمان وفيها راجع أبعاد تلك المحاولة التي قامت بها الكنيسة الغربية على الاسلام في دياره وكتب في مذكراته هذه التوصية الخطيرة التي طالب فيها بأن تتوقف الحروب العسكرية على عالم الاسلام لانها لم تستطع أن تحقق شيئا وأن تبدأ حرب الكلمة بتحويل المسلمين عن مفهومهم الاصيل وخاصة بالقضاء على مفهوم الجهاد الذي يعطي المسلمين هذه القوة القادرة حين يرون أن من مات دون أرضه فهو شهيد ٠ ودعا الكنيسة الى العمل على تحريف مفهوم الاسلام الصحيح واخراجه من أصالته وتكامله الجامع الى شبيه بمفهوم المسيحية الغربية القائم على أن الدين هو اللاهوت أو العبادة أو العلاقة بين الله تبارك وتعالى والانسان ٠ مع تجاهل علاقة الانسان بالانسان وهو الجانب الذي يعطي الاسلام مفهومه الجامع كمنهج حياة ونظام مجتمع الى جانب انه علاقة بين الانسان وربه ٠ ومن هنا ظهرت بذور الاستشراق والتبشير تحمل تلك الدعوة المسمومة « العلمانية » التي استطاعت القوى الغربية عن طريق الاستعمار العسكري والسياسي أن تفرضها على أغلب المجتمعات الاسلامية فتحول بينها وبين تطبيق منهج الله ومن هنا كانت مخططات الغزو الفكري تحمل معها أخطر التحديات :

اولا :

اخراج المسلمين من الشريعة الاسلامية الى القانون الوضعي ٠

ثانيا :

اخراجهم من الاقتصاد الاسلامي القائم على الرحمة والعدل الى الاقتصاد الربوي ٠

ثالثا :

اخراجهم من مفهوم التربية الاسلامية الى أسلوب التعليم الغربي المنفصل عن الدين والاخلاق ٠

رابعا :

اخراجهم من مفهوم الشورى الى الاسلوب الديمقراطي والليبرالي الذي ثبت فشله وزيفه ٠

خامسا :

تزييف مفهوم « الجهاد » القائم على المرابطة في الثغور والاعداد للعدو الى مفهوم الجهاد النفسي على النحو الذي زيفته البهائية والقاديانية ٠

سادسا :

دخول مفهوم الاشتراكية الماركسي الفاسد في محاولة لان يحل محل مفهوم العدل الاجتماعي الاسلامي ٠

ولقد مضت خطة تنفيذ هذا المخطط في أسلوب من العمل الماكر الخبيث وجندت له جماعات من المسلمين والعرب الذين احتضنتهم الثقافة الغربية والاستشراق فكانوا أداة الغزو الفكري في بلاد المسلمين وهم ممن تخرجوا من مدارس الارساليات أو سافروا في بعثات الى بلاد الغرب (وان كان كثير من هؤلاء قد عصمهم الله تبارك وتعالى من خطر الاضواء والتبعية) ٠

تحرير الشخصية الاسلامية

ولكن القلة استطاعت بفضل النفوذ الاجنبي أن تسيطر وتعود وتتسلم أعلى مناصب القيادة والتوجيه في بلادها فكان خطرها شديدا ٠

ولكن الله تبارك وتعالى اراد ان

حركة اليقظة الإسلامية مطلوب منها أن تتنبه للخطر
جميع الحركات الوطنية والقومية استمدت قوتها من مصادر الإسلام

كارل ماركس


فردريك إنجلز

نابليون بونابرت

يكشف للمسلمين هذه الصفحة فقدم اليهم هذه الحقائق :

أولا :

وقف الدكتور زويمر في احدى مؤتمرات التبشير فقال :

« ليس المطلوب أن تدخل المسلم في المسيحية ولكن المطلوب هو أن تخرج المسلم من الاسلام » .

ثانيا :

وقف رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم البريطاني وهو يحمل المصحف الشريف ويلوح به للاعضاء ويقول : انه مادام هذا الكتاب باقيا في الارض فلا أمل لنا في السيطرة على المسلمين بل انه لخطر على وجودنا في بلادنا أيضا .

ثالثا :

نشر المستشرق الانجليزي الكبير (هاملتون جب) تقريرا خطيرا عام ١٩٣٠ تحت عنوان « وجهة الاسلام » كشف فيه لاول مرة تلك المحاولة الخطيرة التي أطلق عليها بمهمة « تغريب الشرق » ودرس مع أربعة من المستشرقين خطة التغريب في مصر والشام والمغرب والهند واندونيسيا وعرض للخطوات التي تم انجازها وتساءل عن الوسائل الكفيلة باتمام هذا التغريب .

وكان لابد لحركة اليقظة الاسلامية أن تتنبه الى هذا الخطر كله وأن تعرف ما يراد بها فكانت دعوتها الى (الاصالة الاسلامية) والى (تحرير الشخصية الاسلامية) من الاحتواء والتبعية وكان ذلك العمل الضخم الذي قام به أولئك الابرار في مجال الكشف عن تلك الزيوف وايضاح تلك الشبهات المثارة التي امتدت الى مجالات كثيرة من الفكر الاسلامي ومنها :

أولا :

الدعوة الى هدم الاديان عن طريق علم الاديان المقارن والقول بأن الامم بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد بعد ذلك .

وهو قول معارض للحقيقة التي جاءت بها الكتب المنزلة والتي تثبتها كل الدلائل التاريخية والكشوف الأثرية . والحقيقة أن البشرية بدأت موحدة ثم أصابتها الوثنية وظلت بين التوحيد والوثنية على ذلك المدى الطويل وقد كان آدم عليه السلام أبو البشر نبيا وكان موحدا .

ثانيا :

الدعوة الى هدم الاخلاق عن طريق مذاهب الوجودية والفرويديه وهدم الاسرة عن طريق مذاهب دور كايم وليفي بريل .

وتحاول هذه المذاهب أن تشكك في ثبات القيم الاخلاقية وارتباطها بالانسان والدعوة الى أخلاق متطورة تختلف باختلاف البيئات والعصور .

ثالثا :

الدعوة الى التماس مفهوم واحد للتاريخ ، هو التفسير المادي الذي طرحه انجلز وماركس بالنسبة لتاريخ الغرب وهو مفهوم ناقص لانه يتجاهل عوامل كثيرة وأخرى لها أثرها في توجيه التاريخ .

رابعا :

الدعوة الى اثارة العصبية والعنصرية واعلاء الاجناس البيضاء وذلك في محاولة لفرض النفوذ الاستعماري الغربي على الامم الملونة والقول بوصاية زائفة للجنس الابيض على العالم والبشرية .

خامسا :

محاولة اخراج اللغة العربية من مفهومها الذي تختلف به عن اللغات قاطبة بوصفها لغة القرآن الكريم وفرض مناهج من علم اللغات الغربي للتحكم فيها وتصويرها بأنها لغة قومية فحسب ، أي لغة أمة . واذا كان هذا كقانون تخضع له كل لغات العالم فانه يعجز عن اقرار ذلك بالنسبة الى اللغة العربية لانها الى جانب أنها لغة أمة فهى لغة فكر وثقافة وحضارة ودين وانها تتصل بألف مليون من المسلمين بالاضافة الى انها لغة أهلها العرب . ولا ريب أن هدف الحملة على اللغة العربية هو خلق عامية تقضي على لغة القرآن وتمزق الامة والفكر جميعا .

سادسا :

الدعوة الى احياء الحضارات التي سبقت الاسلام واعادة عرض الوثنيات والفلسفات والخرافات والاوهام .

وتلك محاولة ماكرة مضللة ولكنها فاسدة ، فقد استطاع الاسلام خلال أربعة عشر قرنا أن يقيم منهجا عقليا وروحيا وأن ينشيء مزاجا نفسيا وذوقا خالصا مرتبطا بالتوحيد

- من أخطر محاولات النفوذ الاستعماري إيجاد تضارب بين العروبة والإسلام
- في مطلع القرن ١٥ الهجري علينا أن ننظر في الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي

والقرآن ، ومتصلا بأسباب الايمان بالله تبارك وتعالى له ضوءه الباهر الذي لا تستطيع الظلمات أن تقهره .

سابعا :

الدعوة الى ما يسمى بالادب العربي المعاصر أو الفكر العربي المعاصر أو الثقافة العربية المعاصرة على أن تبدأ هذه الدراسات منذ حملة نابليون وربطها بالارساليات والنفوذ الاجنبي كأنها هي من معطياته .

وهذه محاولة ماكرة الى اجتثاث الفكر عن أصوله والفصل بين حاضر العرب والمسلمين وبين ماضيهم وخلق ثقافة « لقيطة » لا جذور لها وهي محاولة مضللة تهدف الى الحيلولة دون ربط الادب أو الفكر أو الثقافة بتاريخها الاسلامي المتصل وماضيها العريق .

اليقظة الاسلامية

ومن الحق أن يقال ان « اليقظة الاسلامية » المعاصرة في الفكر والادب والثقافة جميعا بدأت من دائرة القرآن الكريم وأن جميع الحركات الوطنية والقومية انما استمدت قوتها من مصادر الاسلام وانه لا سبيل الى بناء أدب حديث أو فكر أو ثقافة منفصلا عن اللغة العربية والاسلام .

ثامنا :

محاولة الادعاء بأن منطقة البحر الابيض المتوسط شهدت حضارة واحدة هي التي بدأها الفراعنة والفينيقيون ونماها الاغريق والرومان ثم أتمها الاوربيون المعاصرون وان دور العرب في هذه الحضارة كان دورا ثانويا .

والحقيقة أن هناك حضارتين لكل منهما طابعه المميز هما : حضارة التوحيد وحضارة الوثنية وان الاسلام هو صانع الحضارة التي اتسمت بهذا المفهوم في مواجهة حضارات بدأت بمفاهيم الوثنية وانتهت بمفاهيم المادية وكانت في مختلف مراحلها معارضة للحق والعدل والرحمة والاخلاق فكانت تضرب واحدة بعد أخرى وتسقط لانها تعارض سنن الله في الكون .

تاسعا :

محاولة القاء بذور الشبهات حول صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق في العصر الحديث والادعاء بأنها شريعة صحراوية موقوتة بعصرها وبيئتها وكل الدلائل العلمية والتاريخية ، تكذب هذا الادعاء وأقربها مؤتمرات القانون الدولي ١٩٣١ ، ١٩٣٧ ، ١٩٥٢ وكلها أشارت الى أن الشريعة الاسلامية شريعة مستقلة لها كيانها الخاص وانها تحمل منهجا انسانيا لم تصل اليه البشرية بعد .

وتجرى المحاولة التي يفرضها النفوذ الاجنبي بالدعوة الى ما يسمى بتطوير الشريعة ووضعها موضع الاحتواء من القانون الوضعي ولقد كان من أعظم المعطيات التي حققتها الامة العربية انها اتخذت من التشريع الاسلامي مصدرا أساسيا للقانون ونصت على ذلك في دساتيرها وميثاق الوحدة ..

وانها تخطو الان خطوات واسعة نحو تطبيق الشريعة واخضاع كل القوانين لمفهوم الشريعة وروحها .

عاشرا :

استطاعت القوى الاستعمارية فرض نظام الاقتصاد الغربي على أغلب أجزاء العالم الاسلامي وهو نظام قائم على أساس الربا ومعارض أصلا لمنهج الشريعة الاسلامية ، ولقد قامت في الامة العربية محاولات طيبة لاقامة المصرف الاسلامي على غير أساس الربا والعمل على وضع نظام أصيل يحرر المسلمين من قيود النظام الاقتصادي الوافد .

حادي عشر :

كان من أخطر محاولات النفوذ الاستعماري ايجاد تضارب بين العروبة والاسلام ومحاولة اقامة مفهوم العروبة على أساس النظريات الوافدة والقوميات الاوربية ولقد تنبه المفكرون العرب والمسلمون الى هذا التحدى الخطير الى أن الاسلام هو الذي شكل مفهوم العروبة الحق ، وان العرب قبل الاسلام كانوا يؤمنون بالقبلية وان الاسلام هو الذي شكلهم كأمة ودفعهم الى الآفاق وكتب لهم أعظم صفحات تاريخهم والعروبة ليست عنصرية وانما هى قيمة ذاتية في مواجهة الخطر الصهيوني ولكنها مفتوحة بالثقافة والفكر والعقيدة على العالم الاسلامي كله وملتقية معه .

ثاني عشر :

تحريف الحقائق بالمبالغة أو الانتقاص كالادعاء بأن المسلمين لا يتجاوزون الآن ٥٠٠ مليون بينما تقرر الاحصائيات المتواضعة أنهم يزيدون على الف مليون مسلم وكما نجد في كتب التاريخ من محاولات لتصوير البلاد العربية بصورة مصغرة أو مهينة أو اثارة الشبهات حول مقدراتها وثرواتها أو الادعاء بأنها منقسمة الى مذاهب وكل تتعارض أو تختلف أو تحول دون قيام وحدة فكر عامة بينما الحقيقة غير ذلك وأن الخلافات المذهبية الاسلامية هى خلافات في الفروع أما القيم الاساسية فانها واحدة بين المسلمين .

ومن هنا فان علينا أن ننظر في مطالع القرن الخامس عشر الهجري في الشبهات المطروحة في أفق الفكر الاسلامي وان نكشف زيفها ونبين وجه الحق .

وهذا ما نود أن نتعرض له في بحثنا القادم باذن الله تبارك وتعالى ..

انور الجندي

د. محمد جابر الأنصاري



دراسات في شئون الخليج

بحثا عن ..... إبداع الوطن والإنسان

مطلوب مركز للدراسات الإبداعية في الخليج
جلب الأرشيف الأوربي لن يدلنا على الحقيقة كاملة

مع تقدير الاهمية البالغة لمراكز البحث القائمة حاليا في الخليج ، فاني أتمنى لو اضيف اليها ، على كثرتها ، مركز جديد آخر ٠٠وذلك ، لا رغبة في زيادة عددها كميا ، ولكن رغبة في ايجاد نوعية خاصة غير متوفرة حتى الان ٠

فلقد تقاسمت المراكز القائمة الاهتمام بالتاريخ والاجتماع والنفط والاقتصاد والتنمية ، وبقى جانب الدراسات الانسانية : الادبية منها والنقدية والمسرحية والفنية والفكرية ، في حاجة الى مركز متخصص يتولى جمع وثائقها المتفرقة والمجهولة والضائعة ، ثم يعكف على درسها نقديا وفنيا لملء الفراغ في ناحية هامة ما تزال مهملة في حقل الدراسات الخليجية ٠

وهي ناحية يمكن أن نطلق عليها « الناحية الابداعية » ، أي كل ما اتصل بابداع الانسان في حقل الادب أو المسرح أو الفن الشعبي أو المعماري أو ما الى ذلك من جوانب العطاء الذاتي الانساني ، وهو الجانب الذي يقاس به ابداع الحضارة وتميزها في كل زمان ٠

عوامل ٠٠ أعاقت

هذه الناحية في تاريخ الخليج وشرق الجزيرة تضافرت عوامل عديدة على طمسها ، أو اهمالها على أقل تقدير ٠

فهذه المنطقة ظلت لعصور طويلة ومنذ القدم منطقة صراع محلي ودولي متواصل الحلقات ، كما كانت بعيدة عن مراكز الخلافة والحكم القادرة على الاهتمام بالآداب والفنون ورعايتها ٠

كما لم تقم في المنطقة ذاتها دولة كبيرة ترعى هذه الشئون ، بل ظلت على العكس في حالة تجزئة لا تساعد على ازدهار أدبي ٠

هذه العوامل مجتمعة أدت الى طمس معالم التاريخ الادبي والفكري لهذه المنطقة ٠

فعلى كثرة ما ظهرت من دراسات أدبية عن أدب الشام أو الحجاز أو نجد أو المغرب أو الأندلس لم نجد دراسات مماثلة عن أدب شرق الجزيرة في العصور الاسلامية مثلا ٠

وعلى كثرة ما توفرت من مصادر شعرية ونثرية عن تلك الآداب العربية ما يزال من العسير علينا أن نجد خمسة دواوين شعرية مطبوعة تمثل الشعر الاسلامي في هذه المنطقة ، مثلا ، وقس على ذلك ٠٠

وحتى أدب المنطقة في العصر الحديث ما يزال بعضه ضائعا ومجهولا وغير متصل الحلقات ٠

هذه المصاعب والمشكلات ادركنا أبعادها منذ أن بدأنا البحث والنقد في أدب الخليج قبل أكثر من عشر سنوات ٠

مركز للدراسة الابداع

وعلى الرغم من أن الصورة قد تغيرت وتطورت نسبيا الى الاحسن بظهور عدة رسائل جامعية في هذا الموضوع وصدور نتاج ابداعي جديد في النثر والشعر ، وتحقيق عدة آثار قديمة ونشرها ، الا أن الحاجة ما زالت ماسة الى تحقيق تقدم نوعي، وذلك بانشاء مركز للاهتمام بالجوانب الابداعية في تراث المنطقة وحاضرها يجمع وثائق الماضي ومستنداته ، ويتابع نتاج الحاضر ثم يدرس الجانبين تاريخا وعرضا ونقدا ٠

هذه مشكلة قد تبدو سهلة الحل نظريا ٠٠

ولكنها في الواقع ليست كذلك ٠٠

فنحن يمكننا بالمال والتنظيم أن نجلب الارشيف الاوربي عن الخليج كله ، وأن نجمع أوراق شركات البترول منذ البداية ومعها جميع الدراسات الاستراتيجية ، المنشورة وغير المنشورة ، عن الخليج ، في عواصم الغرب ٠٠

ولكن تراثنا نحن شيء غير هذه الاوراق والوثائق ٠٠

وهو يعاني وضعية أخرى بحكم ما مر به من مؤثرات التخلف ومعوقاته ٠

العمر الضائع

ويكفي أن نتذكر – مثلا – أنه بينما كانت الوكالات الغربية في الخليج تحتفظ بكل ورقة عما يهمها، ويهم مصالحها ، من شئون ، كان كل من شاعر الكويت فهد العسكر وأديب البحرين عبد الله الزايد يضطران – لأسباب عديدة – الى حرق أو اتلاف أوراقهما الشعرية أو الصحفية التي تمثل حصيلة العمر ٠٠

ومتى كان ذلك ؟٠٠

في النصف الاول من القرن العشرين ٠ قرننا هذا ٠٠

وهذا المثل نورده كدلالة وكرمز فقط ٠ ولو أحصينا الامثلة والتواريخ

عبد الله زيد



فهد العسكر



- كانوا يجمعون كل ورقة بينما كان تراثنا يتلف !
- المطلوب ما يشبه التنقيب عن حضارة ضائعة
- مخطوطات الزايد والعسكر والفيحاني .. هل نكتشفها ؟

لتبين لنا أن ما ضاع من تراثنا ، وفي القرن العشرين ، هو أكثر بكثير من ديوان فهد العسكر ومذكرات عبد الله الزايد ، وأوراق محمد ابن عبد الوهاب الفيحاني · وازاء مشكلة كهذه ، فالحل لا يكون بعمل بحثي مكتبي ، بل بعملية تشبه الحفر والتنقيب عن معالم حضارة ضائعة بين كثبان الرمال وتراكم طبقات الصمت والنسيان · هذه ناحية ··

الانسان ·· لا الاقتصاد

وناحية أخرى نود لفت الانتباه اليها ، وهي أن الالتفات والانشغال بما مر على الخليج من صراع استراتيجي وتنافس بترولي وتسجيله تاريخا وتحليلا ، هو على أهميته ، يمثل قصة خارجية بالنسبة لانسان هذه المنطقة وأوطانها ·

ولا نقصد بهذه الاشارة التقليل من أهمية العوامل الاقتصادية والسياسية في التأثير على المجتمع والانسان تطويرا وتغييرا · لكننا أردناالقول انه ما لم يتحول درس العوامل الاقتصادية والسياسية الى صميم وعي الانسان المواطن في المنطقة ، وما لم يصبح جزءا من ادراكه ومعاناته ، فانه يبقى في أحسن الاحوال سجلا مصنوفا بمراجعه ووثائقه في مكتبات الجامعات وعلى أرفف مراكز البحث يقرؤه الدارسون الاجانب وقلة من الدارسين المختصين من أبناء المنطقة ، دون أن تتحول العملية كلها الى عملية استيعاب وهضم وتأثر وتأثير في دائرة الرأي العام والوعي الجماعي والعقل الكلي للمجتمع الاصيل في هذه المنطقة ·· وبالتالي فهي اضافة خارجية ، مهما بلغت من الاجادة والاحاطة ·

ذلك اننا عندما نقرأ اليوم ما كتب من تاريخ عن الخليج ، فاننا نقرأ في الحقيقة : تاريخ النفوذ الاوربي في الخليج ، أو تاريخ التنافس الاقتصادي الدولي في الخليج ، ونادرا ما نسمع عن الوطن والانسان في هذه المنطقة ·· أي تاريخ لهما ، وأي معاناة ·· وأي تطور ·· وأية تطلعات ؟

ولان الجانب الاستراتيجي والاقتصادي ، حتى الماضي القريب ، وتحديدا حتى رحيل الاستعمار قبل عشر سنوات لا اكثر ، كان جانبا خارجيا ·· فلا يبقى من شاهد ذاتي — اذن — على الوجود الوطني والانساني غير صوت الادب ، وصوت الفكر ، وصوت الغناء البحري النابع من كدح الغواصين ، وصوت التراث الشعبي والمأثورات المتوارثة عن حياة البحر والبادية ، ثم صوت الصحافة المحلية الاصيلة الرائدة ، على ندرتها ·

أين هذه الصحف ؟

وعلى ذكر الصحافة المحلية ، فيكفي أن نتذكر أيضا ان جريدة « البحرين » لعبد الله الزايد — وهي أول جريدة في تاريخ الخليج — وان مجلة « صوت البحرين » الادبية الفكرية — وهي أول مجلة ثقافية في تاريخ الخليج أيضا — هاتان الصحيفتان لا أظن حسب علمي ان مركزا من مراكز البحث الخليجي ، على كثرتها ، قد حصل على نسخ كاملة منهما ، ووضعها تحت أيدي الدارسين· وأرجو مع هذا أن يكون ظني هذا مخطئا ··

فهل مما يحتمه استقصاء البحث العلمي وتوازنه ، أن تجمع احصاءات شركات النفط ودراسات معهد السلام السويدي عن الخليج ، ونترك دواوين فهد العسكر والفيحاني والزايد ، واعداد « صوت البحرين » بكل الاقلام الرصينة التي أسهمت فيها ، عرضة للضياع والاهمال ؟

هذه هي أهم الاسباب التي تجعل من الضروري أن تضطلع جهة أو جهات خليجية وعربية بانشاء مركز للدراسات الادبية والفنية لمنطقة الخليج وشرق الجزيرة ·

هذا هو الجهاد الاكبر والاصعب في ميدان البحث والتوثيق ·

وبدون قيام مثل هذا المركز الابداعي ونجاحه في جمع المصادر والوثائق المهمة عبر العصور ، فان أية دراسة لاستكشاف تاريخ الانسان وتراثه وابداعه في هذه المنطقة ستكون دراسة ناقصة ·

نحو تجميع الضوء

وأنا على يقين أن هناك « نقاط ضوء » صغيرة متفرقة في أرجاء عديدة من المنطقة تسلط شعاعها البسيط على درب الرحلة الطويلة ومعالمها الكثيرة والمتفرقة والمتباعدة ·· ولكن من يجمع هذه البقع الضوئية المتناثرة ليحولها الى قنديل متوهج يكشف المسار الشائق للانسان والوطن في معراج التاريخ ؟

ذلك ما عنيته بمركز الدراسات الابداعية ···

دكتور محمد جابر الانصاري

صلاح خليفة

قضية التعريب فى الوطن العربى

حوار مع مدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي

التقيت فى الرباط بالاستاذ عبد العزيز عبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى ، ذلك المكتب الذى يقوم بدور بارز من اجل ان تصبح اللغة العربية هى لغة التلقين الوحيدة للمواطن العربى فى الشرق والغرب ..

ـ يلاحظ أن الخط العربى فى بعض الاحيان مختلف فى المشرق

● الواقع ان الخط العربى هنا فى المغرب العربى مازال محافظا ، اى انه مازال يستعمل الخط القرانى الاصيل ، ولذلك تجد شبها قويا بين الكتابة العربية فى المغرب الاقصى وبين المخطوطات القديمة للقران.

ـ لكن هناك صعوبة لتداول الكتاب المغربى فى المشرق العربى اذا كان مطبوعا بهذا الشكل .

● كان هناك ما يسمى بالمطبعة الحجرية ، كانت تطبع المخطوطات فى المغرب بخط اليد . وكانت بفاس ، ومعظم ما نشر فى المغرب نشر بالخط العربى بفاس . وهو لايقرأ وأصبح لقلته وندرته يعتبر من المخطوطات . ولكن من حسن الحظ ان المطابع المغربية ، بدأت تطبع كالمطابع المشرقية . والشباب الان فى المدارس بدأت معرفته للخط العربى ككل ، ولكن هناك تعويض للمغاربة من ناحية اخرى ، فالارقام العربية المغربية ، وهى ارقام أصيلة ، بدأت تغزو المشرق . فالعراق مثلا عدل تماما عن الارقام الهندية ، وفى سوريا .. بل أصبح الرياضيون والفيزائيون فى مصر وبعض الاقطار الاخرى يفضلون الارقام العربية المستعملة فى المغرب الان ، والتى كانت تستعمل فى الاندلس . هناك مشكلة الصفر . وهى مشكلة عظيمة وقد أبدع الفكر العربى الصفر فى شكل دائرة فى حين ان الصفر فى الارقام الهندية هو عبارة عن نقطة ، وهذه النقطة تختلط أحيانا بالنقطة فى الحساب ، وهذا خطير جدا فى العلوم والحساب .

مشكلة اللغة

ـ هناك مشكلة اللغة العربية المستعملة فى المحافل الرسمية وفى الجامعات والمدارس ، ولغة الشارع .. نلاحظ أن ابن الشارع يتكلم بلهجة اخرى غير اللغة العربية المفروض ان تستخدم ..

● فى الواقع ، هذا كان بسبب الاستعمار .. لانه كانت هناك بين شقى العروبة حواجز مفتعلة ومصطنعة . وما يصنف فى الشرق لايدخل المغرب . ولكن بعد استقلال الشعوب العربية لم تعد هناك عوائق .. وحواجز . واصبح المواطن العادى يستمع الى اذاعات الشرق العربى ، ربما اذاعات لم يفهمها فى الاول ، ثم اصبح يفهمها تدريجيا .. وهذه كانت فرصة لتقريب العاميات من الفصحى .. ويمكن القول بأن وسائل الاعلام ساعدت التقارب بالعاميات التى ارتفعت للفصحى .

لغة القرآن

ـ لكن هنا اريد أن استوضح أيضا مرة ثانية . نلاحظ أن تعليم اللغة العربية قاصر فقط داخل المدارس أو الجامعات . وعندما يخرج الطالب إلى الحياة يستعمل اللهجة العادية لدرجة أن استاذ اللغة العربية داخل المدرسة يشرح الدرس باللغة العامية .

● هذا صحيح .. وخطير . وهم انفسهم يلومون انفسهم وينادون بضرورة العودة الى اللغة العربية الاصيلة .. وانه لا يمكن أن تكون هناك زعامة لعامية من العاميات العربية على حساب اللغة الفصحى ، بل يجب أن نكتل الجهود لتصبح الزعامة للغة القرآن التى هى لغة موحدة . وهذه اللغة العامية سواء كانت قطرية أو اقليمية يجب القضاء عليها .. ولذلك كان من أول ما وضعته فى هذا الباب دراسة دقيقة مقارنة عن مختلف العاميات فى الوطن العربى .. واصدرت معجما سميته « نحو تصحيح العامية » ابرزت فيه اصول العربية للعاميات العربية.. وان كان هناك خلافات فى النطق فقط ..أما الاصل فعربى . ويجب أن نعود الية .

حلول جذرية

ـ هل هناك حل يطرحه مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى للقضاء على هذه المشكلات التى طرحناها .. أو مشاريع مستقبلية للمكتب غير نشر الكتب أو المعاجم التى لاتصل بسهولة الى أيدى العربى العادى ؟.

مشكلة الامية

● الواقع ان حل هذه المشكلة هو نفس الحل لمحو الامية . هناك جهاز لمحو الامية ، وجهود لمحو الامية .. اظنها كلها عبث فى عبث ... لأنه لايمكن ان ترفع الامية عن شخص يقضى كل وقته فى البحث عن لقمة العيش . واذا لم يتابع هذا العمل فى فترات متعدده فى حياته فقد يصل الى الاربعين او الخمسين فلا يجد الوقت لهذا ، وربما ينسى ما حفظ . اذن القضية فى نظرى قضية وقت . بتعميم التعليم ستصبح اللغة العربية التى هى لغة التلقين الوحيدة هى اللغة الوحيدة للمواطن العربى فى الشرق والغرب . ثم بتوحيد المصطلح العلمى والانسانى وفى مختلف بقية القطاعات الحضارية ستصبح كلمة واحدة بالنسبة لكل عربى في الوطن العربى . بهذه الصورة ستصبح الكلمة المستعملة هى الفصحى ، وتقضى على المقابلات المحلية العامية .

● كان هنالك مايسمى بالطبعة الحجرية وكانت تطبع المخطوطات بخط اليد

● الأرقام العربية المغربية بدأت تغزو المشرق



● عبد العزيز عبد الله



● مخطوطات قرانية

تزايد الامية

الغريب ان الامية المنتشرة في الوطن العربي لم تكن منتشرة من قبل . لماذا ؟ . اولا : لانه لم تكن هنالك حواجز استعمارية من ناحية ، ومن ناحية اخرى وهي في نظرى اهم لانه لاينبغى ان نتهم الاستعمار اكثر مما يلزم . الواقع اننا نحن مسئولون ايضا لقد قمت بدراسات لبعض القبائل في المغرب الاقصى هنا كانت القبائل في الشمال مثلا فيها الامية كانت لاتتعدى ٥ ٪ أما الان أصبحت الامية تتعدى ٩٥ ٪ لماذا ؟ لان المواطن المسلم انذاك كان يشعر بان ايمانه لايكتمل الا اذا حفظ القران وحفظ الاحاديث والدعوات . فبماذا يحفظها ؟ باللغة العربية . اذن يجب ان يتعلم .. اليوم لايهمه .. اليوم الوازع الدينى قل فاليوم هنالك وازع اخر . وازع وطنى وازع المواطنة وازع اجتماعى وهو طبعا اقل بكثير من الوازع الاخر . وكذلك المراة في بعض القبائل كانت المراة مثقفة ١٠٠ ٪ واصبحت المراة الان رغم التعليم ورغم تطور المراة اصبحت تصارع الرجل وتسايره في اميته ايضا .

الجامعة العربية

ـ ماذا عن جهود الهيئات الاخرى غير مكتب التنسيق ؟

● الواقع ان هناك عمل المجامع . فالمجامع تعمل ولكن فى الاطار المتئد لان الاعمال الاكاديمية هي دائما اعمال متئدة علمية رصينة . فهم لا يسايرون سرعة دولاب الحياة . في حين اننا في مكتب التعريب نعرف ان هنالك دولاب يدور بسرعة . وحسب احصائية اليونسكو هنالك عشرات الكلمات التى تتجدد كل يوم بتجدد المفاهيم الحضارية . ونحن وراءنا اربعمائة عام فى التخلف اللغوى بعد الاستعمار والتتريك بعد الاستعمار الاسبانى والبرتغالى فى المغرب الاقصى بالاضافة الى التخلف الحضارى القائم الان لانه اذا كانت فرنسا نفسها تشعر بانها متخلفة فى هذا الباب وانها فى عام ١٩٦٩ كانت امامها آلاف الكلمات سنويا لم تتمكن من حلها او بدء حلها على الاقل إلا بتشكيل لجان متخصصة تعمل ليل نهار على حل هذا المشكل كيفما كان الامر هنالك ايضا محاولات مثل وحدات البحث العلمى فى مصر وقد زرت هذه الوحدات وعددها ١٢٠ وحدة عام ١٩٦٧ وهى تزج فى السوق بمصطلحات . وكان معى انذاك وزير البحث العلمى وسالته عن علاقتهم مع مجمع القاهرة . فقال ان مجمع القاهرة مجمع علمى رصين يعمل بتؤدة ولكن نحن نواجه مايتطلبه السوق يوميا ونحن نزج فى هذه السوق عشرات الكلمات منها مايعيش ومنها مالا يعيش ولكن دولاب الحياة يدور بكلمة عربية وهذا هو الشىء الجديد الان الذى تنبهت اليه جامعة الدول العربية وتوحدت الجهود والتنسيق بين هذه الجهود والتنسيق بين الجامعات بين المجامع بين الهيئات العلمية المتشابة فى العالم العربى بين جهود الافراد العلميين فى نطاق مكتب تنسيق التعريب الذى يشكل الوكالة المتخصصة التي تصب كل عملها فى مؤتمر التعريب كهيئة تشريعية .

المواد العلمية

ـ ما رأيكم فى تدريس المواد العلمية باللغات الاجنبية فى جامعاتنا العربية

● هذا مشكل خطير واظن ان القضية قبل اليوم هى قضية عاطفية لان بعض العرب كانوا يدعون على أن اللغة العربية ستصبح هى لغة التلقين للعلوم فى التعليم العالى ولم يكونوا يحاولون التدليل على ذلك علميا . ففى عام ١٩٦٧م قمنا بالبحث فى الوطن العربى وأصدرنا العدد السادس من مجلة اللسان العربى خصصناه كله للجواب عن سؤال واحد : هل اللغة العربية صالحة للتدريس فى التعليم العالى ؟ . واخذنا اراء اقطاب الفكر فى الوطن العربى وخارج الوطن العربى من رجال المهجر فى امريكا فى اوربا وصنفنا هذه الاجوبة فتبين انه بقدر ما اللغة العربية قادرة لانها تحتوى على مقدرات وعلى كوامن ذاتية بقدر ما نحن مقصرون، ولهذا بدأنا نخطط تخطيطا دقيقا لهذا . ونلاحظ انه لن يأتى عام ١٩٩٠ م قبل أن نكون قد وحدنا المصطلح التكنولوجى والعلمى فى التعليم العالى فستبقى القضية انذاك قضية سياسية قضية ارادة عليا للحكام والمديرين . والمسالة ليست عدم قدرة اللغة العربية فاللغة العربية قادرة ولكن نحن يجب أن نخطط لذلك تخطيطا علميا

ليصبح المصطلح العربى موافيا مستكملا متقصيا للمفاهيم التكنولوجية والعلمية . ويقوم مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي بهذه المهمة فى الوقت الحالى . وسيعقد مؤتمر فى عام ١٩٨٠ م ومؤتمر خامس ١٩٨٣ م وبالتوالى كل ثلاث سنوات حتى ١٩٨٩ م لنستكمل توحيد المصطلح العلمى بشرط أساسى وهوالا تتقاعس اللجان الجامعية عن اجابة المكتب عما يطلبه منها وما طلبناه هو شىء بسيط جدا نحن نقوم بكل العمل ، فمثلا طلبنا من الاستاذ فى الجامعة ان يوافينا بقائمة بالالفاظ التى يستعملها فى مادة اختصاصه سواء مستعملة باللغة الانجليزية وحدها او بالعربيةوحدها او بالفرنسية او باية لغة اخرى وعندما نتلقى كل هذا نجمعه ونصبه ونفرغه فى معجم ثم نرده اليه مرة ثانية ليستفيد منه وليجربه ويطبقه سنة أو سنتين حتى نخرج فى نهاية المطاف بكلمة موحدة فى العالم العربى . وحتى الان توصلنا الى عدة امور . فقد كتبنا الى الجامعات نحدد فيها ما نطلب وبعد ذلك تاتى المرحلة الثانية التى بدات فيها الجامعات توجه الينا فيها قوائم الاساتذة المتخصصين فى كل قطاع ثم كتبنا الى اساتذة الجامعات مرة ثانية نطلب فيها موافاتنا بالكلمات التى يستعملوها فى مادة اختصاصهم وسنوافيكم بجميع ما يوجد فى العالم العربى من أجل ابداء الراى وهذا شىء دقيق واضح موقوت فى زمان ونحن لاننتظر من خمسين جامعة فى الوطن العربى ان تجيبنا فاذا اجابنا ثلث هذا العدد أو ربعه يكفى هذا للقيام بعمل اولى فى هذا المجال.

التعريب والترجمة

ــ دعنى هنا أسأل الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله مدير مكتب التنسيق والتعريب فى الوطن العربى هل هناك فرق بين كلمتى التعريب والترجمة ؟ وما الفرق اذا كان هناك ؟

● الواقع قبل اليوم الدول العربية لم تفهم تماما أهداف المكتب فكان المكتب قد أسس ليهتم بالتعريب والترجمة فى ان واحد فحذفت الترجمة وبقى التعريب لانه اذا تم التعريب فقد تم كل شىء التعريب هو وضع الكلمة العربية التى تقابل المصطلحات الاجنبية وهذا أساس الترجمة . فالترجمة فن يتعلق بكل اللغات وهى تقريبا واحد اما التعريب فله علمه الخاص .. التعريب اساسا توليد الكلمة الاجنبية ووضعها فى قالب عربى .. انما تقريبا سمينا كل ما وضع من مصطلحات عربية مصطلحات معربة فحتى الان هنالك منهاجيات عديدة مثلا معجم القاهرة ــ الجامعات المصرية تقرب أكثر مما تولد ، الجامعات السورية تولد اكثر مما تعرب . ولكن نحن اضفنا أشياء اخرى نحن اضفنا منهجيتنا علاوة على ماأشرت اليه ان لا نوافق على وضع كلمة جديدة الا اذا بحثنا ونقبنا فى تراثنا عن كلمة اصيلة يمكن أن تعبر عن نفس المفهوم .

ــ هنا ياأستاذ عبد العزيز يحضرنى سؤال فى هذه المناسبة مدى انتشار الكلمات التى يوافق عليها مكتب تنسيق التعريب ؟ هل تنتشر بسهولة وبسرعة فى انحاء الوطن العربى ككل ؟ أم يقتصر استعمالها فقط على الكتب التى فيها

● هذه القضية هى قضية الالزام . إننا حتى الان لم نتجاوز وضع الكلمة والتصديق عليها فى مؤتمرات دولية فى مؤتمرات التعريب التى تعتبر هى الجهة التشريعية فى الوطن العربىلماذا ؟ لأن المجامع والجامعات والوزراء المتخصصين ممثلون فيها . توضع موحدة بالوطن العربى ولكن تبقى حبرا على ورق تبقى معاجم فوق الرفوف فيجب أن ندخل مرحلة الالزام لهذا أثرنا منذ عام ٧٧ فى مؤتمر الجزائر هذه القضية والتزم انذاك وزير التربية أى الدولة المضيفة الجزائرية بأن يستعمل كل مايصدر عن مؤتمرات التعريب السابقة ثم أن رئيس الجمهورية نفسه المرحوم هوارى بومدين التزم انذاك بان ياتى القضية فى مؤتمر قمة الملوك والرؤساء من اجل استصدار مرسومين على أسماء قمة من اجل الزام العرب



جميعهم باستعمال ما يصدر عنهم من الفاظ موحدة . ولكن الواقع لم يتم أى شيء . ولذلك فى مؤتمر الخرطوم ، مؤتمر وزراء التربية والتعليم والثقافة الذى انعقد فى الخرطوم فى الصيف الماضى طلبت من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كرئيس لأحد اجهزتها أن تثير القضية واتفق على أن توصى الدول العربية باستعمال كل مايصدر عن المؤتمرات والواقع اننا لانكتفى بهذا ولهذا عمدنا بطريق غير مباشر الى وسيلتين اخريين هما :

وسائل الاعلام

اننا نضع كل ما يوجد فى العالم العربى فى قوائم ونوجهه على الجامعات وعلى وسائل الاعلام فى جميع انحاء العالم العربى ، خمس كلمات فى كل يوم لنشرها والتعريف بها .

من ناحية اخرى لم نكتف بالعمل على الصعيد العربى بل اصبحنا نملأ الخانات المخصصة للغة العربية فى البنوك الدولية للكلمة. وعندنا الان إتصالات بجمعية العلوم الفضائية بروما وبسيمانز بالمانيا ونفس الهيئات فى كندا وفى اتحاد الجامعات الفرنسية وفى المجلس الدولى للغة الفرنسية نمدهم بالمقابلات بملء الخانات العربية المخصصة للغة العربية وقريبا تبدأ الدول العربية تلقى مراسلات من امريكا باللغة العربية بمصطلحاتهم

— هنا سؤال اخر بالنسبة للمصطلحات لبعض الاسماء التى تجد وخاصة فى عالم الصناعة التكنولوجيا المزدهرة فى عالمنا الحاضر ماذا عنها وماذا عن مكتب التعريب ؟

● الواقع ان هذا لايشكل مشكلة اولا : نحاول ان نستوثق إن كانت هنالك كلمة عربية عبرت عن هذا المفهوم من قبل- ثانيا : إذاكانت القضية قضية ترجمة فهذه قضية بسيطة . ولكن احيانا يقع ما اسميناه فى المكتب بالترجمة من العربية الى العربية . هنالك كلمات عربية اصيلة تقنية اخذها منا الغربيون عندما كانوا يعتبرون اللغة العربية فى العصور الوسطى هى لغة العلم والتكنولوجيا واستعملوها محرفة لأنهم حرفوها ثم جئنا نحن فاخذنا هذه الكلمات على انها اجنبية وحرفناها تحريفا ثانيا دون ان نعرف ان اصلها عربى من مثل كلمة (طار) الطار هى الطار فى المغرب الاقصى والطارة هى معناها الوزن الفارغ . الوزن الفارغ الذى نضعه فى احدى كفتى الميزان التى تعادل الثقل هذه تسمى طارة بالايطالية وطارة بالاسبانية وطارة باللغة الفرنسية واصلها طرحه اى ما يجب ان يطرح .

المخترعات الحديثة

ماذا بالنسبة للالفاظ التى تستخدمها حاليا للمخترعات الحديثة مثل الراديو والتليفزيون رغم ان أصلها غير عربى ؟

● هذا لايضر لان هنالك كلمات أصبحت الان دولية مثل التليفون . فبعض الدول العربية أصرت على استعمال كلمة الهاتف وانا افضل كلمة تلفزه وافضل كلمة تليفون والسلف الصالح استعملوا كلمات اجنبية كما هى وهذا لم يمنعهم من ان اصبحوا سادة العالم وان تكون اللغة العربية فى العصور الوسطى هى لغة العلم والتكنولوجيا والحضارة بحيث قالـــوا (ارثما تيقا) وقالوا (فيزيقا) هما كلمتان شديد تان على السمع العربى ومع ذلك استعملها العرب وقالوا رياضيات وقالوا فيزياء . اذن الفكرة هى أن كل ما استعمل وكل ما سمى باسماء مكتشفه وأصحابه نستعمله كما هو .

العربية فى اللغات الاجنبية

— اذا فتحنا الباب لمثل هذا التعريف أو لهذا المنطق ، الا يضر اللغة العربية ؟

● لا..لا..لايضر لاننا نجد ان ثلث القاموس الاسبانى عربى ونجد فى القاموس البرتغالى (٣٠٠٠) كلمة عربية ونجد فى التكنولوجيا سواء فى اللغتين الفرنسية أو العربية عددا كبيرا من الكلمات عربى الاصل وهذا ليس التبادل بين اللغات ليس معناه التاخر بالنسبة للغة الانجليزية فاللغة الانجليزية هى اللغة الاولى فى العالم اليوم فى حين ان هنالك كلمات ابرز ما يمكن أن يركز عليه كمنطلق تكنولوجى ومع ذلك يمكن ان يقتبس من اللغة العربية وهذا لايضر والواقع انه ينبغى بدلا من أن نتجاذب حول اشياء تافهة جدا فنضع كلمات عربية لكلمة (فرملة) فهناك (١٥) كلمة فى العالم العربى تعنى نفس المعنى . الفرملة — والحصار — والكابح — والمكبحة .. الخ فى حين ان كلمة واحدة تغنى عن هذاكله . فى حين ان هنالك فراغات تعد بعشرات الآلاف بالنسبة لمقومات التكنولوجيا المعاصرة

● عندما تقرأ كتابا ، فترتفع معنوياتك ، وتحس بانك ملهم بافكار نبيلة ، فذلك شهادة بجودة الكتاب وامتيازه ، وصدوره عن عقل عارف ومجيد •

« جن دى لابرديري »

● ان اكثر الكتب خدمة لك ونفعا هو ذلك الذي يقودك الى التفكير ، واصعب الطرق الى التعلم هي تلك التي تعتمد على القراءة السهلة • فالكتاب العظيم الذي يصدر عن مفكر عظيم هو سفينة للفكر محملة بالحقيقة والجمال •

« تيودور باركر »

د. محمد كامل

ضرورة التعاون العلمي والتكنولوجي بين الدول

● مشكلة استنزاف الموارد الغذائية والطاقة هي أكثر المشكلات العالمية أهمية
● الدول النامية تملك من المقومات الطبيعية ما يكفي احتياجاتها من الغذاء

ان من اهم مشكلات الانسانية في عصرنا انقسام العالم إلى دول متقدمة تملك الثروة والتكنولوجيا ، ودول نامية تتطلع إلى التقدم وتحسين ظروف حياة شعوبها . وقد اصطلح على تسمية هذه المشكلة في المحافل الدولية « التناقض بين الشمال والجنوب » .

وعلى الرغم من التباين الكبير في مصالح ومواقف هاتين المجموعتين من الدول تواجه الانسانية جمعاء مجموعة معقدة من التحديات والمشاكل يتطلب حلها تضافرا وتعاونا بين جميع شعوب الأرض سواء كانت متقدمة او نامية

ويتصل بعض هذه التحديات بامور تتعلق بالكوكب الذي يعيش عليه البشر جميعا وهو الأرض مثل التغير في الطقس ومشاكل تلوث البيئة والكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وعواصف مدمرة ، ومشاكل تنظيم استغلال مياه الانهار ـ وثروات المحيطات ومشاكل الاراضي الجافة والصحارى . كما يتصل بعضها الآخر بمسائل اجتماعية ذات طابع عام مثل مشاكل الصحة العامة والانفجار السكاني ومشاكل تحويل الريف إلى حضر والكوارث الاجتماعية مثل ادمان المخدرات والتدخين والبطالة والتفرقة العنصرية .

وبالاضافة إلى ذلك هناك نوع ثالث من المشاكل يتصل إلى حد ما بالاحوال الاقتصادية العالمية كمشاكل نقص الغذاء والطاقة والثروات المعدنية .

واذا كان التعاون بين الدول المتقدمة والدول النامية ضروريا للقضاء على الفجوة الاقتصادية والتكنولوجية الهائلة الموجودة بينها فان تعاونها للتغلب على المشاكل السابقة هو اكثر الحاحا حيث تؤثر هذه المشكلات عليها جميعا بلا استثناء وحيث يتضح ايضا هذا التكامل في الرغبة في حل هذه المشاكل اساسا سياسيا متينا للتعاون بينها في مجالات العلم والتكنولوجيا .

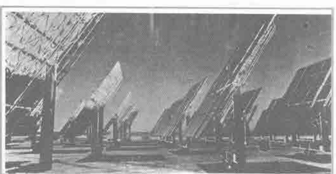
وتتطلب مواجهة هذه المشاكل تطوير القدرات العلمية والتكنولوجية في البلاد النامية حتى تستطيع المشاركة بفاعلية مع الدول المتقدمة في التصدى لهذه المسئولية العلمية .

اهم مجالات التعاون العلمي والتكنولوجي العالمي

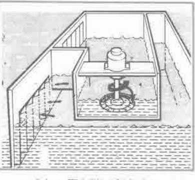
ان مشكلة استنزاف الموارد وعلى الخصوص موارد الغذاء والطاقة هي اكثر هذه المشكلات العالمية اهمية على الاطلاق . ومن المعروف الآن في الدوائر العالمية المطلعة أنه إذا لم تحدث زيادة عاجلة في موارد الغذاء في الدول النامية فان هذه الدول سوف تعاني في القريب العاجل من النقص الشديد في الحبوب وسوف لا يكون امام العالم من وسيلة لتعويض هذا النقص سوى التوسع في مناطق زراعة الحبوب في امريكا الشمالية رغم ما قد يصاحب هذا الحل من مشاكل بيئية ومشاكل اخرى كثيرة . إن التكاليف المرتفعة لانتاج هذه الكميات الاضافية من الحبوب في امريكا الشمالية سيؤثر على جميع البلاد متقدمة كانت او نامية على حد سواء .

وبالاضافة إلى ذلك فان على الدول النامية ان تدرك انه ليس من مصلحتها الاعتماد على مصدر واحد في غذائها إذ ان هذا المصدر كما هو معروف معرض للتأثر بالظروف المناخية والسياسية معا .

ان الدول النامية تملك من المقومات الطبيعية ما يكفي احتياجاتها المتزايدة من الغذاء بالمستوى الحالي للاسعار العاصية وسوف يسهم التعاون العلمي والتكنولوجي بين الدول النامية والدول المتقدمة في المجالات الزراعية المختلفة في اتاحة تكنولوجيا الانتاج الزراعي المتقدمة لفلاحي البلاد النامية . ان توجيه مثل هذا التعاون إلى زيادة انتاجية المزارع الصغيرة



● تسخين المياه عن طريق استغلال الطاقة الشمسية



● احد الطرق لاستغلال الطاقة من مياه البحر



● المحاصيل غير الغذائية من أهم مصادر الثروة أيضاً

● من الضروري إكمال الابتكارات التكنولوجية بابتكارات اجتماعية

ومشاكل الاراضى الجافة سيزيد من عوائد الارض التى يملكها فقراء الفلاحين مما سيقلل بالتاكيد من التدهور الحادث حاليا فى الاراضى الزراعية فى عديد من البلاد النامية اذ ان من المعروف عالميا ان معظم المشاكل الخطيرة التى حدثت فى التربة تنشا من استغلال الفلاحين الفقراء للاراضى الضعيفة مما يقضى عليها تماما ويحولها إلى اراض غير صالحة للزراعة .

ومن اخطر القضايا التى يواجهها العالم ايضا هو النقص الشديد فى الطاقة المتمثلة فى احتياطات البترول والغازات الطبيعية والفحم ومساقط المياه واحتياطات الوقود النووى . ويتضاعف الطلب على البترول والغازات الطبيعية مرة كل عشر سنوات اى بمعدل يزيد ثلاث مرات عن معدل النمو السكانى العالمى . وعلى جميع الدول التعاون فى ترشيد استهلاك الطاقة والاتجاه إلى أشكال الطاقة البديلة واهمها فى الوقت الحاضر الفحم والطاقة النووية . وحل مشكلات البيئة المتصلة بالاستخدام الواسع لهما . كما ان عليها التعاون فى بحوث استغلال التكنولوجيات الجديدة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الاندماج النووى وطاقة الايدروجين وطاقة الكتلة الحية وطاقة الغاز الحيوى وطاقة الرياح وطاقة المد والجزر .

ومن المؤكد ان من اكبر المعوقات لترشيد مصادر الثروات الطبيعية العالمية هو استمرار انماط الاستهلاك الحالية فى الدول المتقدمة وكذلك انتقال هذه الانماط إلى الدول النامية . إن ترشيد هذه الانماط التى تعتمد على اساليب انتاج تستنزف مصادر الطاقة والثروات العالمية الاخرى يجب ان يكون موضوعا للحوار العالمى المفتوح فى الثمانينات على المستويين القومى والعالمى .

ومن الضرورى ان يركز هذا الحوار على البحث عن تكنولوجيات اكثر اقتصادا فى استهلاك الثروات الطبيعية وموارد الطاقة كما يجب ان يؤدى إلى قرارات تنفيذية تصدرها الحكومات المسئولة لترشيد الاستهلاك وتغير فى انماط الحياة المبذرة .

ومن اهم مصادر الثروة الطبيعية التى تحتاج إلى اهتمام عالمى ايضا المحاصيل الزراعية غير الغذائية كالجوت والسيسال وغيرها . إذ تعانى هذه المحاصيل فى الوقت الحاضر من المنافسة الشديدة من البدائل التركيبية كما تعانى من عدم اهتمام العالم بالبحوث العلمية وكذا جهود التسويق الخاصة بها مما تسبب عنه الذبذبة الكبيرة فى اسعارها ونقص الثقة فى مستقبلها فى حين تتمتع منافساتها من البدائل التركيبية بثبات الاسعار وبتكامل جهود التصنيع والتسويق والمساندة العلمية والتكنولوجية من البلاد المتقدمة المنتجة لها .

ان هذا التنافس غير المتكافىء قد ترتب عليه فقد ثقة المنتجين والمستهلكين فى مستقبل هذه المنتجات سواء فى الدول المتقدمة او النامية وتاكل اسواقها .

ولا ينطبق ذلك على المطاط الطبيعى والصوف والى حد ما على القطن .

ويمكن اعتبار صمود كل من المطاط الطبيعى والصوف امام منافسة البدائل التركيبية نموذجا عظيما عن امكانية صمود منتجات اخرى امام منافسة البدائل التركيبية وقد تحقق لهذين المنتجين هذا النجاح عن طريق المساندة العلمية من بحوث انتاج واستخدام نهائى واعمال التطوير والتسويق على اعلى مستوى فى المستويين الوطنى والعالمى . وعلى حكومات الدول النامية والمؤسسات الدولية والاطراف المعنية فى الدول المتقدمة ان تسلك نفس هذا الاتجاه فى مساندة عديد من المنتجات الطبيعية الأخرى التى تجد منافسة شديدة من البدائل التركيبية . ولعل الزيادة المستمرة فى اسعار الكيماويات والطاقة يعتبر حافزا جديدا على ذلك اذ سوف يترتب على هذه الزيادة تغير فى القدرة التنافسية لصالح المنتجات الطبيعية فى القريب العاجل .

إن أحد المجالات المشتركة الأخرى للتعاون بين دول الارض جميعا هو العمل معا فى الحفاظ على البيئة والاثار والتراث وعلى سبيل المثال المحافظة على الغابات والحيوانات المهددة بالانقراض والتكوينات الجيولوجية النادرة والاثار والتراث الانسانى وتحويل كل ذلك الى مصادر اضافية للدخل للبلاد المختلفة دون المساس بها .

وسائل التعاون لحل المشاكل العالمية

لقد ادى الاحساس العالمى بوجود ازمة فى الغذاء الى عقد مؤتمر الغذاء العالمى عام ١٩٧٤ وكذا انشاء مجموعة من المنظمات العالمية بالاضافة الى منظمة الزراعة والغذاء التابعة للامم المتحدة وكان من نتيجة ذلك ايجاد نظام عالمى شبه متكامل للتصدى لمشاكل الغذاء .

وتشمل مجموعة هذه المنظمات العالمية المنظمات الاربع التالية :

● المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية العالمية .

وتحدد هذه المجموعة الاحتياجات العالمية من برامج البحوث الجديدة كما تمول شبكة من المعاهد البحثية الزراعية الدولية .

● المعهد العالمى لبحوث السياسة الغذائية .

ويقوم باجراء بحوث السياسات الاقتصادية فى المجالات الخاصة بمشاكل الغذاء العالمية

● الصندوق العالمى لتطوير الزراعة .

ويختص بالعمل فى مجال الاستثمار فى الزراعة فى الدول النامية

● مجلس الغذاء العالمى .

وهو تجمع سياسى لمناقشة سياسات الغذاء .

إن نجاح المجتمع العالمى فى تاسيس وتطوير هذه المجموعة من المنظمات والمعاهد لادارة مشاكل الغذاء العالمى يمكن اعتباره نموذجا للمحاولات العالمية لتصميم اطارات متشابهة لادارة بعض المشاكل العالمية الاخرى وبالاضافة الى ذلك فالعالم فى حاجة الى بذل المزيد من الجهد لتقييم تاثير اى تكنولوجيا جديدة قد تنتج من التعاون داخل هذه المنظمات وذلك فى ضوء المعوقات الاقتصادية وغيرها التى تواجه المستفيدين من هذه التكنولوجيا .

ومن الضرورى كذلك ان نكمل الابتكارات التكنولوجية بابتكارات اجتماعية وعمل مؤسسات وسياسات تدعم هذا المجهود .

ويجب ان تعمل الاجهزة العالمية على الارتباط بالاجهزة المحلية فى الدول النامية وتدعيمها واشتراك اجهزة وعلماء العالم الثالث اشتراكا نشطا فى وضع خطط المجهود العالمى

كما ان هناك حاجة ايضا الى التقييم المستمر واعطاء المشورة الفنية الاقتصادية المستقلة لادارة وتقييم البرامج الموجودة ، وتشخيص الفجوات وكذلك دعم الصلات بالمجتمع العلمى والتكنولوجى العالمى (بما فى ذلك العلوم الاساسية) وكذلك تشخيص مجالات جديدة واقتراح التعاون التكنولوجى لحلها .

ويقتضى التعاون الدولى الناجح فى ادارة المشاكل العالمية تقوية القدرات المحلية فى الدول النامية ويجب ان يكون هناك تعاون تام على قدم المساواة من العلماء والتكنولوجيين

ضرورة التعاون العلمي والتكنولوجي بين الــــــدول

وغيرهم من الخبراء والمؤسسات فى العالم الثالث فى تشخيص المشاكل العالمية، وفى تصميم خطط الحل والتنفيذ الفعلى لهذه الخطط وهذا الاسلوب يضمن تعاون الدول النامية فى مساندة الحلول والتوصيات التى تصدر

وبالاضافة إلى ذلك سوف تتمكن البلاد النامية باتباع هذا الاسلوب من تقوية قدراتها الذاتية على حل المشاكل كما انه من الضرورى ازالة اى قيود على استخدام التكنولوجيات المتاحة فى البلدان المتقدمة اذا كانت تلك التكنولوجيات هى انسب التكنولوجيات لحل هذه المشاكل .

ومن الضرورى أن تقوم البلاد المتقدمة بتدعيم القدرات المادية المحلية فى الدول النامية وعليها ايضا ان تشجع علماءها على الاشتراك فى البرامج العالمية مثل برنامج بحوث امراض البلاد الحارة الذى تتبناه منظمة الصحة العالمية وبرنامج الجو العالمى لجمعية الارصاد العالمية وعليها أيضا إنشاء المؤسسات التى تدعم البحوث الوطنية فى الدول النامية .

وبالاضافة الى ذلك يجب إنشاء صناديق مستقلة تساهم فيها مؤسسات غير حكومية فى الدول النامية على أن تتلقى مثل هذه الصناديق المعونات من حكومات الدول المتقدمة والنامية وغيرها من المصادر الخارجية الثنائية ومؤسسات المعونات الدوليةومن القطاع الخاص والمؤسسات العلمية ، وتقوم مثل هذه الصناديق بتدعيم البحوث التكنولوجية رفيعة المستوى وتساعد على إيجاد الحلول المبتكرة لمشاكل الدول النامية ويمكن لهذه الصناديق أن تكون حلقة اتصال بين القدرات المحلية وبرامج التعاون الدولى .

إن البعد عن البيروقراطية التقليدية والاعتبارات السياسية قصيرة المدى ضرورى لفاعلية المؤسسات التكنولوجية سواء فى الدول النامية او المتقدمة على السواء ، على أن نضع فى اعتبارنا من ناحية اخرى أن الاستقلالية فى حد ذاتها سوف لاتضمن بمفردها توجيه انشطة مثل هذه المؤسسات لخدمة احتياجات المستفيدين من نتائج البحوث .

إن المجتمع العالمى مطالب بالبدء فورا فى تنظيم برامج علمية وتكنولوجية رئيسية طويلة المدى تتعاون فيها الدول المتقدمة مع الدول النامية تبعا لمصالحها المشتركة ويجب أن تستفيد مثل هذه البرامج من الامكانــات العلمية والتكنولوجية اينما وجدت خاصة تلك الامكانات الكبيرة المتوفرة فى الدول المتقدمة ، على أن يكون من الاهداف الرئيسية لهذه البرامج العالمية تدعيم قدرات الدول النامية واتاحة الفرص امام علمائها لتحمل اكبر قدر من المسئولية التنفيذية التى تمكنهم من القيام بها .

إن مثل هذه البرامج سوف تسهم بلا شك فى تقليل الفجوة العلمية والتكنولوجية بين الامم المتقدمة والامم النامية

على انه يجب ان نتذكر ان القضاء التام على هذه الفجوة يتطلب جهودا وبرامج عالمية اكثر شمولا ولهذا حديث اخر .

دكتور محمد كامل
ــ القاهرة

- الرجل العظيم هو من لم يفقد قلب الطفل •

« مينكوس »

- لا يمكن ان يكون شيء ما في صالحك اذا كان يضطرك الى الحنث بكلمتك او اذلال نفســـك •

« ماركيوز ادريبلوس »

- خذ العمل الذي تحبه وانجزه رغم الصعاب • وكن معتدلا في كل شيء ، في طعامك وشرابك ، وكل ما ترغب فيه نفسك • واخدم نفسك بخدمتك الناس • ولا تدع احدا يقول عنك انك لم تحسن معاملة مخلوق حي • ولا تدع المـال يستعبدك • وليكن هدفك الدائم ادخال بعض ضياء الشمس في حياة كل من تقابله • ولا تدع القلق يساورك • واضحك كثيرا ••
وفي ذلك السعادة لك •

« رالف امرسون »

- عندما تغلق ابوابك ، وتطفىء المصباح في غرفتك ، تذكر ألا تقول أنك وحيد • فالله معك ، وكذلك عبقريتك • فما حاجتهما للنور لريا ما أنت فاعله ؟

« ابيكتيتوس »

- ان أهم فكرة كانت تشغلني هي مسئوليتي الفردية أمام الله •

« دانيال وبستر »

- اصبر على نواقص وعيوب الآخرين أيا كانوا لأنك انت نفسك لا تخلو مما يعيب •

« توماس كمبيس »

- افسح مكانا في نفسك لمـا هو غامض ، ولا تقلب كل تربتك بمحراث امتحـان النفس • اترك ركنا بوارا في قلبك للبذور التي قد تحملها الريح اليك ، وظـلا للطائر العابر ، ومكانا لزائر غير منتظر •

« هنري فريدريك أميل »



لا نجاة إلا بالإسلام حقا...

منذ أن دحض جابر بن حيان الأزدي (٧٢٢ ـ ٨١٣م) خرافات الاغريق التي كانت مبنية على نظرية أن مادة الكون أساسها عناصر اربعة هي (التراب ، والماء ، والنار ، والهواء) طفق العلماء والباحثون يتقصــون أسرار ملكوت الله في معاملهم ومختبراتهم بالتجــريب والتمحيص والتدقيق ، حتى توصلوا الى أن مادة الكون قوامها بضعة وتسعون عنصرا ، لكل عنصر صفاته الثابتة السرمدية ، فزيائيا وكيمائيا ، وانه مصــداقا لقول ابن سينا (١٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م) لا يمكن ان تحــول العناصر الخسيسة الرخيصة الى ذهب ابريز مهما بذلنا من المال والجهد وطقوس الشــعوذة والخزعبلات ٠٠ وظل العلماء ردحا من الزمن يفرقون بين المادة ، والطاقة (الضوء ـ الحرارة ـ الصوت ـ المغناطيسية) حتى أثبت (على مصطفى مشرفة) عليه رحمــة الله (١٨٩٨ ـ ١٦ يناير سنة ١٩٥٠) ان الفرق بين المادة والطاقة انما هو فرق في (السرعة) وان معادلة (البرت اينشتاين الالمــاني) في العلاقة بين المادة والطاقة صحيحة ٠٠ وكان العلماء على اتفاق تام في تصور أن ذرات كل عنصر محصنة ضد الهدم والتفتيت ، حتى اكتشف العــلامة الفرنسي (بيكريل) (١٨٩٦م) للصفات الاشــعاعية لأملاح اليورانيوم واثبت بذلك ان مجموعة من العناصر تتفتت ذراتها بنظام ثابت لا يعتوره فتور أو اضطراب ، تفتتا تلقائيا ، وان كمية من الطاقة الحرارية تنبعث في (صمت وهدوء) من جراء ذلك التفتت التلقائي الخفي ، الذي توصل العلامة الباكستاني الالمعي (عبد الســلام محمد) ـ مد الله في عمره ـ بدراسته له ، الى أن مكونات الذرة ليست فقط (الكترونات ، وبروتونات ، ونيترونات) ولكنها تحوى عديدا من الجزئيات الاصغر التي لم يك عددها ليخطر على بال أولئك الذين صــنعوا قنبلتي (هيروشيما ونقازاكي) في اغسطس سنة ١٩٤٥ ، ممن فتحوا باب استخدام نعمة العلم التي أفاءها الله عليهم ، لتكون نقمة على خلق الله ٠٠ وفي غضون انشغال علماء الكيمياء والفيزياء ، بدراسات تركيب الذرات والعلاقة بين المــادة والطاقــة ، كان علماء الجيولوجيا (علم الارض) يتلفتون متلهفين ، بحثا عن معين يستندون اليه في تفسير السر الذي أودعه الخالق في كرة الارض ، (ذلك الكوكب الضئيل الحقير في خضم تلك المجرات والسدم التي لا تحصى) ، وهو السر الذي يؤدى عــلى فترات ، يمكن حسابها ، الى زلازل وهـــزات في قشرة الارض ، عنيفة القوة ، ترتفع من جرائها قيعان المحيطات فتصبح جبالا شامخات الذري ، وتهبط بفعلها ، من خشية الله ، أطواد سامقات ، فتصير صفصفا ، لا ترى عوجا فيها ولا أمتا ٠٠ وجد العلامة البريطاني (جوللي) الضالة التي يمكن بها تفسير حدوث الهزات والزلازل ، في العناصر المشعة تلك التي تتفتت ذراتها تلقائيا ٠٠ فقال ان من اسرار فطرة الله تعالى لهذه الارض التي نعيش عليها ، ان ما في مادتها التي تزن بالكمال والتمام زهاء (٦٥٩٥ × ١٠ على ١٨) (أي ذلك الرقم وعلى يمينه ثمانية عشر صفرا ، من الاطنان) كمية ضئيلة من (العناصر المشعة) لا تفتا خلال ملايين السنين ، تنبعث منها الطاقة ، حتى تضيق الارض ذرعا بتلك الطاقة ، فتنتفض وتهتز وترتج ، كما يفعل البعير حينما يتكاثر الذباب والقراد على جسمه ، ينهشه بلا ادب ولا رحمة ولا عفة ولا خوف او حياء ٠٠ وشان الناس على سطح الارض ، تماما ، كشان الارض ، حين تختل قياساتهم ، فيزيفون قيمهم ، وما استامنهم الله عليــه واستخلفهم فيه ، وتزيد الهوة بين شمال وجنوب ، وزارع وصانع ، ونائم ومستيقظ ، ويعبد المال والمتاع ، وتصبح مجموعات من العناصر (المشعة) سادرة في غيها لا تلوى على شيء ، تبذر ذات اليمين وذات اليسار في (الطاقة) بحثا عن اللذات واتباعا للاهواء ، ويصبح الرادع الاوحد هو (عزرائيل) لا خالق عزرائيل ، مادت الارض واهتزت واتاها امر الله ليلا أو نهارا ، كان لم تغن بالامس ٠٠ وجاء الاسلام على فترة من الرسل ، ليضــع (مكارم الاخــلاق) سمة مميزة لبني آدم وحــواء على بقيــة الحيوانات ، وليتخــذ الناس من فلسفته منارات تكبح جماح (الاشباع) المسعور ، وتحد من انطلاق الانسان في الاسراف والترف والركون الى المتعــة الذاتيــة ، والتطلعات البهيمية الهوجاء التي لا تحسب حسابا للارض ان تمور وتهتز فيحترق الاخضر واليابس ولا تقتصر الفتنة على الذين ظلموا خاصة ٠٠ والعالم كله اليوم على شفا جرف هار ، وقاب قوسين أو ادنى من هزة مدمرة تتهاوى فيها الرءوس النووية عبر المحيطات والقارات والغابات والصحاري ٠٠ والاسلام دواء قادر على شفاء أدواء الافراد والجماعات ولا تزال نظريته (رغم كل الاحوال الظاهرة من الفوضى والخمــول والتبعية التي رانت على اتباعه) بخير وعافية ، بحيث لو اخذ سكان الارض ، مسلمين وغير مسلمين ، بقاعدتين اثنتين منه لتداركوا الأمر قبل فواته ، ولانقذوا بني البشر من تراكمات (اشعاعات) احقاد الجوعى تجاه المتخمين ، وخطرها الماثل امام كل ذي بصيرة ، تينك القاعدتان همــا :

١ ـ لا يؤمن الذي يبيت شبعانا ويعلم أن جــاره (فردا أو جماعة او دولة أو اقليما) جوعان ٠٠

٢ ـ برئت ذمة الله من قرية (أو مدينة أو حي او قارة) يبيت بها امرؤ جــائع ٠٠ وبتطبيق هاتين القاعدتين الاسلاميتين (فقط) يمكن (للامم المتحدة) أن تقيد ما تنتجه المصانع والمزارع والمناجم تقييــدا لا يترك الحبل على الغارب (للعناصر المشعة) أن تصنع ما تشاء ، من الهراء ، بالأهواء ٠٠

درويش مصطفى القار





تعرض تليفزيونات المنطقة بين حين واخر ما يسمى بالتمثيليات التاريخية .وتعتمد هذه التمثيليات على المادة التاريخية حينا ، وعلى الحكايات الشعبية او الأساطير حينا اخر . وللأسف أن معظم ما قدم من هذه الاعمال ابعد ما يكون عن المقاييس الدرامية المتعارف عليها . بدليل عدم تركها اى اثر فنى على المشاهدين بعد انتهائها مباشرة!!

فمعظم هذه الاعمال تتحول فى النهاية إلى سرد مشوه للتاريخ وللحكاية الشعبية او الاسطورة . كان يكفينا العودة اليها فى الكتب او فى جلسات السمر ، بدلا من هذا العناء وصرف الأرقام الخيالية التى تذهب مع الريح .... !!

إن معظم المقدمين على اعداد هذه الاعمال يتصور أن الكتابة التى تعتمد على التاريخ والاسطورة هى من اسهل الاعمال التى يمكن تناولها وطرحها .. فهم يعتمدون على حقائق جاهزة من التاريخ نفسه وشخصيات قد اكتملت ونضجت . وهناك الخلفية التاريخية التى يمكن الاستفادة منها فى الاثارة والبهرج التليفزيونى . ويتصورون أن العملية لا تحتاج إلى خلق او إبداع او استخدام العضلات الفنية فيسافرون فى كتب التاريخ هذا إذا جاءوا على انفسهم قليلا وبذلوا جهداً يستحقون عليه ذلك الرقم الخيالى او يكتفون بمصدر واحد للقصة التاريخية حتى وإن كان مصدرا غير علمى ويقطعون هذه القصة إلى حوار ومواقف متسلسلة دون اى جهد إبداعى ... وهذه العملية تشبه إلى حد كبير ما يقوم به المسرح المدرسى من مسرحة للمناهج المدرسية لتبسيطها وتقريبها للطلبة .. فهم ايضا يقومون بمسرحة الاحداث التاريخية وتقديمها للناس فى صورة دراما تاريخية .

هل هى فعلا دراما تاريخية ؟ ! ولنناقش الموضوع على اساس إنه يتعرض للدراما وللتاريخ فى نفس الوقت .

من الناحية التاريخية ، من حق الكاتب الدرامى ان يتناول التاريخ بالزوايا وبالرؤية التى يراها مناسبة ومتوافقةمع الشىء الذى يريد أن يطرحه . فالتاريخ والاساطير إرث مشروع لكل الناس لا سلطة لأحد عليه إلا ضمير الكاتب نفسه ، وهو بهذه الحرية الممنوحة له من التاريخ باختيار ما يشاء من الاحداث التاريخية والاسطورية عليه ايضا ومن الطبيعى كذلك ان يتمسك بالحقائق التاريخية المتعارف عليها ولا يحق له التجنى او التزوير او فرض حقائق مخالفة لمجريات التاريخ او الاسطورة .

ومن حق الكاتب الدرامى ان يستشف من الحقائق التاريخية الرؤى والحقائق الفنية ليقدمها لنا فى قالب درامى وهذا هو دور الفنان المبدع ... لا يكتفى فقط بدور ناقل التاريخ وإنما دوره هو الغوص فى الحقائق التاريخية ليستشف منها البعد الانسانى ...

فهاملت الأمير الدنماركى كان حدثا فى سياق التاريخ ولكنه أصبح بطلا دراميا تجسدت لنا كل أبعاده التاريخيةواصبح نموذجا إنسانيا عند شكسبير.

وهذه هى مهمة الكاتب الدرامى : البحث عن الشخصيات التاريخية او الأسطورية وتحويلها إلى نماذج إنسانية رائعة بعد استقطاعها من التاريخ او الاسطورة وهذا ما فعله كتاب الدراما على مر التاريخ مع ابطالهم ابتداء من اوديب .. إلكترا .. ماكبث .. وهاملت .. الخ

هل ما يقدم من تمثيليات تاريخية فى تليفزيونات المنطقة هى دراميات حقيقية . !

هى بالفعل تحتوى على احداث تاريخية والشخوص لها أسماء كما كانت فى الواقع التاريخى وكانوا يقومون بنفس الافعال التى كانت سائدة حينذاك – ولكن ثم ماذا .. لاشىء .. سرد ممل وثرثرة .. واحداث متوقعة عند كل الناس ... اين دور الفن هنا ...؟! الدراما هى الصراع الدرامى .. وهى تطور الاحداث وهى البداية والوسط والحل الخ ... وليس من واجب الكاتب الدرامى الذى يتعرض للتاريخ أن يستخدم كل فترات التاريخ ... هناك فترات معينة فى حياة الابطال هى التى يجب التعرض لها وهذه الفترات هى التى تسبق حالات التحول المصيرى فى حياة الابطال وفى حياة كل منا فترات او لحظات نتحول فيها إلى شىء مختلف عما كنا عليه قبيل هذه الفترة. وفترات التحول هذه هى اكثر الفترات اثارة وديناميكية فهى لحظات تطور ونماء تدفع بالشخصية وبالحدث الدرامى إلى نقطة التأزم. كما ان اختيار فترات معينة من تاريخ الشخصية لا يكون عشوائيا . فيجب ان تفيدنا هذه الفترة ببعديها الزمانى والمكانى فى نمو الشخصية ودفع الحدث إلى الامام .

ومؤلفو الدراما التاريخيةلتليفزيونات المنطقة يصرون على اختيار فترات ساكنة ومملة قد تجرى فيها تحولات نفسية للشخوص، ولكنها تحولات لا تبرز لنا صراعات فعالة . ومعظم هؤلاء المؤلفين يعمدون إلى ذلك لاطالة وقت المسلسل ... لان المحاسبة تتم على اساس الساعات وليس على اساس القيمة الفنية للعمل .

على مؤلف الدراما التاريخية ايضا ان يكون حاسما فى بعض المواضع التى قد يكون هناك اختلاف عليها فى الواقع التاريخى . وهذا الحسم يأتى من خلال المقدمة المنطقية او انطلاقة العمل الدرامى ، ومن خلال رؤية الكاتب الابداعية . فالتدخل الابداعى فى حسم القضايا التاريخية والاسطورية امر ضرورى وهام .

وعند تناول فترة معينة من التاريخ لتدور فيه احداث التمثيلية فيجب على الكاتب الدرامى ان يدرك ان تلك الفترة ما عاد لمنطق التاريخ اى دخل فيها . فلقد اصبحت فى قانون المنطق الدرامى تتأثر به وتتفاعل معه .

قد لا يكون فى التاريخ مثلا موقف للبطل يقف فيه ليتحدث مع نفسه فى مونولوج طويل . ولكن المنطق الفنى يمنح هذا البطل مثل تلك الفرصة .

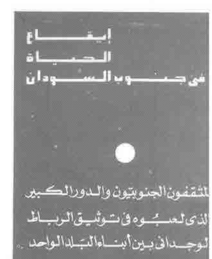
ايضا قد يتطلب الموقف الدرامى إضافة شخصيةما فى موقف ما ولكن التاريخ لا يمنحنى تلك الفرصة . هل اخضع لمنطق التاريخ او للمنطق الدرامى .. بالطبع المنطق الدرامى هو الذى يحكمنى الآن .

إذا كما لاحظنا : التعرض للتاريخ وللاسطورةوالحكاية الشعبيةمن خلال الاعمال الدرامية ليس بالامر السهل او كما يتصوره البعض عبارة عن مسرحة للتاريخ وهذه هى الخطورة .. ملايين تصرف على اعمال تعرض لمرة واحدة ثم تركن فى الارشيف ، لأن الناس استنفذتها من العرض الاول، واكتفت بالعودة إلى التاريخ والاساطير من خلال الكتب وجلسات السمر .. فهل من إعادة النظر فى الدراما التاريخية التى تقدم الآن من خلال وجهة نظر خليجية ؟ .



كمال سعد

إيقاع الحياة في جنوب السودان



الحياة في جنوب السودان اصبح ايقاعها سريعا ..

الكل هنا يسعى بكل جهده لتعويض سنوات التخلف الطويلة التي تسلل من خلالها ـ يوما ـ الاستعمار ليحول ابناء البلد الواحد في السودان إلى اعداء يقاتلون بعضهم البعض في حرب اهلية استمرت ١٧ عاما وتوقفت بعد اتفاقية « اديس ابابا » عام ١٩٧٢ التي اكدت الوحدة الوطنية بين الجنوب والشمال ، واسقطت كل دعاة الانفصال الذين استعاروا لمنظمتهم « انانيا » اسم حشرة سامة تعيش في مديرية اعالى النيل ، ونادوا بدولة انفصاليةسموها « ازانيا » تهاوت بسرعة فائقة لانها كانت ضد حركة التاريخ التي اكدت منذ القدم ارتباط الجنوب بوشائج ومصالح لا يمكن ان تنفصم في اي يوم من الايام عن الشمال !

ومن يصل إلى الجنوب اليوم سيتاكد بصورة قاطعة ، ان كل بذور الاستعمار التي غرسها قديما قد انتهت وذهبت بلا رجعة .. وان معظم ما ترسب في الأعماق اصبح في خبر كان .. بل وتسمعه من الاهالى وكانهم يروون لك نكته او قصة غريبة !

فمن منا يتصور انه في ذات يوم كانت هناك اوامر تحرم على تجار الشمال الدخول إلى الجنوب ، وتبيح التجارة بلا حدود امام القبارصة واليونانين !

ومن منا يصدق هذه المجموعة من المحرمات التي كان ممنوعا تعاطيها من الجنوبيين مثل التدريس باللغة العربية وتسمية الابناء بالاسماء العربية وارتداء الجلابية والزواج من شمالية والصلاة في صورة علانية خارج البيت !

كل ذلك وغيره من المحرمات القديمة أصبح يثير الاستغراب عندما يروى لك الأهالي تفاصيله على طول وعرض الجنوب البالغ مساحته ربع مليون ميل مربع ، وان كانوا في نفس الوقت يؤكدون لك ابعاد اللعبة التقليدية للاستعمار الذي كان يهدف — في المقام الأول — إلى غرس بذور الشقاق بين ابناء البلد الواحد ، حتى يتمكن من تحقيق احلامه ومخططاته الرامية إلى السيطرة والتبعية !

لغة التفاهم

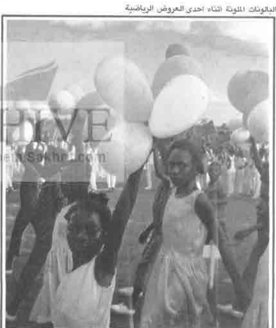
وقد أعد معهد البحوث والدراسات العربية دراسة عن العلاقات العربية الافريقية ، جاء فيها ان الاستعمار لجا إلى اضعاف الوجود الشمالي في الجنوب بمختلف الوسائل ، بمنع ابناء شمال البلاد من الدخول إلى الجنوب بمختلف الطرق ثم تصفية الوجود الشمالي في الجنوب ، وفي هذا الصدد لجا إلى اصدار قوانين « المناطق المغلقة » التي تستهدف اغلاق البقاع الجنوبية امام الشماليين ، وجاء وقت اصبح فيه من السهل على السوداني ان ينتقل في سائر بلاد العالم مما لو تنقل في ارجاء بلاده !

وقالت الدراسة ايضا ، ان غرس بذور عدم الثقة نبتت من الاختلاف الثقافي الذي صنعته سياسة خبيثة طويلة المدى هي سياسة « لا تعريب » جنوب السودان ، إلا أن تلك السياسة تهاوت الآن بعد أن أصبحت اللغة العربية تدرس في جميع المدارس ، واصبحت لغة التفاهم بين سكان الجنوب الذين يتالفون من ١٥ قبيلة رئيسية وعشرات القبائل الصغيرة ، وقد فرضت هذه اللغة نفسها نتيجة لوجود خمسين لهجة محلية تجعل من ابناء القبيلة الواحدة لا يفهمون غير لهجتهم ويجهلون لهجات بقية القبائل !

وهكذا نرى أن بذور التفرقة التي غرسها الاستعمار واجهت الدولة عقب القاء السلاح ، فكان لا بد بداية من اعادة الجسور إلى أصولها الطبيعية .. وقد لعب المثقفون الجنوبيون دوراً كبيراً في توثيق الرباط الوجداني بين ابناء الشمال والجنوب ، وخاصة هؤلاء الذين هجروا الجنوب أيام الأحداث ، وعادوا عقب الاستقرار من الشمال وهم يحملون تفاصيل الحياة التي عاشوها في حب وود مع اخوانهم الشماليين .

وساعد على زيادة تلك الروابط الدور الذي لعبه المعلمون الشماليون وغيرهم من كوادر الخدمة المدنية التي كان لها

البالونات الملونة اثناء احدى العروض الرياضية



فستان حديث ورمح من اعماق الغابة





الالوان والبهجة التي تميز الاحتفالات في جنوب السودان



الانتقال في القوارب عبر النهر





تأثير كبير على تطور صور الحياة بايقاع سريع في مناطق الجنوب الحيوية ..

الرباط الوجداني

ولا ننسى – في غمرة ما نراه من تطور – ما حدث من تمازج بين القبائل الرعوية كقبيلة الرزيقات التي تعيش على طول الحدود الجنوبية لمحافظات كردفان ودارفور ، وبين سكان المناطق الشمالية من الجنوب .. وكيف ان ذلك التمازج أفرز مصاهرات ونقلات حضارية متمثلة في الزى القومي كارتداء الجلابية للرجال والثوب للمراة ، وانتقلت بالتالي مكونات التراث الشعبي ، واصبح من المالوف أن تجد الأسماء العربية يحملها الكثير من ابناء الجيل الجديد في الجنوب !

وقد شهد الاقليم الجنوبي لاول مرة – ومنذ الحكم التركى بالسودان في القرن السابق – قيام أول جامعة وهي جامعة جوبا لتخريج الكوادر التي يحتاجها الاقليم في بناء نهضته الجديدة ، وشهدت المنطقة ايضا قيام مشاريع طموحة للاسكان ، وقيام العديد من شبكات الطرق ، وتحديث المطارات بما فيها مطار جوبا العالمي الذي يربط بشرق افريقيا بشمالها ، والاهتمام بالملاحة النيلية وتحديث الخطوط العاملة السابقة التي تنظم السفريات بين كوستى في الشمال وملكال وجوبا في الجنوب لنقل المواطنين والمواد التموينية !

واذا كان الاهتمام بتنمية الجوانب الصناعية القائمة على الانتاج الزراعى في الاقليم تحتل الاهتمام الأول ، فان البرنامج الضخم الذي أعد لاستكمال قناة جونجلي سيلعب دورا رئيسيا في تطوير المنطقة ، فهذه القناة التي تاخذ المياه من بداية المستنقعات لتصب في نهر السوباط على النيل الأبيض ، سيصل تكاليفها إلى ٨٠ مليون جنيه ، بحيث يتم انشاء عدد من القرى النموذجية والمدارس والمستشفيات وكذلك عدد من القناطر والاهوسة على مدخل ومخرج القناة للانتفاع الكامل من النهر وتسخير موارده وطاقته لصالح الانسان الذي تحررت ارادته وقدراته ..

عندما توقفت الملاحة

وعندما تصل إلى مدينة جوبا عاصمة الجنوب وحاضرته سيتضح لك انها من اكبر المراكز العمرانية في المنطقة ، وتتركز فيها المصالح الحكومية والشركات التجارية والمؤسسات العامة ، وبها شبكة طرق واسعة تربطها بالدول الافريقية ..

وقد اختيرت كعاصمة للمديرية الاستوائية في عام ١٩٣٠ لموضعها الجاف الذي يصلح لقيام المباني المستديمة .. والمعروف الآن أن المديرية الاستوائية أصبحت مديريتين : مديرية شرق الاستوائية ، ومديرية غرب الاستوائية ..

المهم ان مدينة جوبا تحيط بها الأشجار من كل مكان ، وتتجه في انحدار نحو الجبل ، ومعظم مبانيها جديدة لا يزيد عمرها على الخمسين عاما ، وشوارعها نظيفة ، ودكاكينها مكدسة



رقصة شعبية وسط الطبيعة الخلابة



بالاقمشة المزركشة ، ومطاعمها الشعبية ذات حوش كبير تتناثر فيه المناضد والكراسي الخشبية ، ومساكنها الشعبية عبارة عن اكواخ قصيرة تشيد من الأشجار وانواع خاصة من القش تمنع تسرب المياه إلى داخل المنزل ، ولها سقوف مخروطية حتى يمكن للمياه أن تنحدر إلى الأرض عقب الأمطار الثقيلة !

ولا يشارك مدينة جوبا في الحركة الادارية ومجال الخدمات إلا مدينة واو عاصمة بحر الغزال ، التي زادت اهميتها بعد وصول الخط الحديدي إليها في عام ١٩٦٢ ، وهو الخط الوحيد الذي يربط الشمال بجنوبه ، والذي ظهرت اهميته عندما توقفت الملاحة النهرية في النيل الأبيض عام ١٩٦٣ بسبب تراكم أعشاب النيل ، وتعطل النقل بين كوستي وجوبا ، فاصبح امداد المديريات الاستوائية وبحر الغزال بالمواد التموينية وغيرها متوقفا في الأساس على السكك الحديدية !

قبيلة الأذكياء

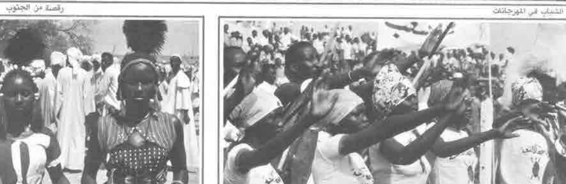
وعدد السكان في مدينة جوبا يزيد على اي مدينة جنوبية هامة مثل ملكال وواو وياى وكاتري ، ويشتد فيها موسم الأمطار ما بين شهرى ابريل واكتوبر ، وحرارتها ترتفع في بعض الأيام إلى ٣٧ درجة مئوية ، والرحلة اليها بالطائرة من الخرطوم تستغرق في المتوسط ساعتين وعشر دقائق !

واهمية مدينة جوبا تاتى في المقام الأول لكونها ميناء نهرى لمعظم البضائع والسلع القادمة من الشمال إلى الجنوب، وايضا لكونها مركزا لخدمة المشروعات الزراعية في اراضي المنطقة الاستوائية ، وخاصة مشروع الزاندى الزراعي في جنوب غرب المديرية !

وفي المدينة يمكنك ملاحظة اندفاع الشباب نحو تعلم الخبرة في العمل بكل الوسائل والطرق ، وستلاحظ ايضا التغير الذي حدث في حياة المراة بعد أن تخلصت من العرى واصبحت ترتدى احدث الأزياء !

وبمناسبة الحديث عن المراة في المديريات الاستوائية ، فان نساء قبائل الزاندى اجمل من غيرهن في القبائل الأخرى ، ويرجع ذلك إلى ان بعض العناصر العربية التي هاجرت قديما من الجزيرة العربية وعبرت البحر الأحمر ،

اكواخ القش ذات الطابع المميز وسط مساحات هائلة من الخضرة



فرحة الشباب في المهرجانات

رقصة من الجنوب

إيقاع الحياة في جنوب السودان

حكاية القبيلة التي لا يقتل أفرادها الثعبان .. وكيف يتعرف أبناء قبيلة الباري على المذنب؟

وصلت إلى هذه المناطق وا ختلطت باهلها وتزاوجت من بينهم !

وافراد قبيلة الزاندى في مجموعهم يمتازون بخفة الحركة ومتانة البنية والذكاء والقدرة على العمل وحب النظام والطاعة ، ولهم مهارة واضحة في الأعمال اليدوية وخاصة صنع الحراب والأسنة ، كما انهم يزينون مساكنهم الواسعة بالألوان من الداخل !

وبخلاف قبائل الزاندى ، فان اهم القبائل التي تسكن المناطق الاستوائية قبائل البارى في الشمال التي لا يحب ابناؤها اكل اللحوم رغم انهم رعاة مواش ، ولا يتزوجون من داخل العشيرة الواحدة .. وأيضا هناك قبائل المندارى واللاتوكا التي يمارس افرادها حرفة الصيد في الغابات والسهول ويصطادون الأسماك بوفرة من الانهار !

قصص التحدى

وكل ابناء هذه القبائل يجرى الرقص كالدم في عروقهم ، وعندما تدق الطبول تراهم مندفعين وكانهم في سباق ، إلى حلبة الرقص ، ليعبروا عن كل ما في أعماقهم من حزن وفرح وافكار وفلسفة خاصة !

ويقف كبار السن من الرجال والنساء للتمتع بحركة الشباب المتدفقة اثناء الرقص ، واغلب هؤلاء المعمرين اذا ما انفردت باحدهم فانه يروى لك قصصا لا أول لها ولا آخر من واقع احداث التمرد ضد القوات البريطانية في الجنوب !

وانا ــ عن نفسي ــ سمعت منهم قصة الجنوبي « جويك وندنج » الذي استطاع أن يجمع حوله في أواخر العشرينات مجموعة من المقاتلين بالقرب من قرية نيرول ولم يستسلموا إلا بعد أن

ما أن يبدأ الايقاع على الطبلة حتى يخرج الجميع للرقص



هاجمتهم الطائرات في قسوة بالغة .. وسمعت أيضا قصة مقتل الكابتن الانجليزي فيرجسون على يد افراد من قبيلة النوير ، وكيف تحدي هؤلاء الافراد كل القوات المتواجدة واعلنوا التمرد **واختباوا** في المستنقعات ، ورفضوا الاستسلام إلى ان قضت الطائرات المغيرة على مقاومتهم المستمية !

وقطعا ستذكرنا تلك القصص وغيرها بتاريخ الغزو الاستعماري لافريقيا السوداء ، الذي ارتبط بالمحاولات التي قامت لاكتشاف منابع النيل ، وكلنا نعرف تفاصيل هذا التاريخ ، إلا أن صورة النهر عند دخوله أرض السودان تظل دائما في مخيلتنا لاننا نعشقه ونجد دائما على شاطئيه اقصر طريق للتعرف على مختلف صور الحياة السكانية !

النهر العظيم

وقبل أن نلتقي بصور الحياة على جانبي ذلك النهر في مديريات الجنوب الست وهي جونقلي ، والبحيرات ، وأعالي النيل ، وبحر الغزال ، وغرب الاستوائية ، وشرق الاستوائية .. لا بد أن نتعرف ــ ولو بصورة عاجلة ــ على النهر الذي يصبح عنيفا سريع الجريان بمجرد دخوله إلى أراضي السودان عند نيمولي أو بمجرد لمسه للمديريات الاستوائية ، ويغير اتجاهه في الحال نحو الشمال الغربي ، ليعود إلى هدوئه قبل دخوله إلى شلالات « فولا » بسبب اعتراض الصخور والجنادل ومساقط المياه لطريقه .. وعندما يصل لهذه الشلالات يضيق مجراه إلى درجة الاختناق وتحاصره على جانبيه الصخور المرتفعة وتنفجر منه الينابيع الحارة التي في درجة الغليان ، ويصبح اسمه نهر الجبل لمئات الكيلومترات ، ولا يتخلص من هذا الاسم إلا في الشمال ، عندما يلتقي بنهر السوباط ، فيحمل اسم النيل الأبيض الذي تعترضه مجموعة من الجزر من بينها جزيرة ابا وتشق مجراه إلى قسمين ، ليمضي بعد ذلك في رحلته الشاقة الطويلة ، التي يخرج فيها من سهول السودان هادئا وقورا ، ليلتقي عند الخرطوم مع النيل الأزرق ليواصل رحلته إلى مصر !

هذا هو النهر الذي تستمد منه قبائل الجنوب حياتها وتعتبره مصدر الرزق لها ولماشيتها واغنامها وزراعاتها المختلفة !



السوق في مدينة جوبا



كوبري جوبا



الثروة الحيوانية

لا تقتل الفهد

واشهر قبائل الجنوب هم افراد قبيلة الشلك الذين يضعون على وجوههم علامة مميزة للقبيلة عبارة عن دوائر تحيط بالجبهة فوق الحاجبين وتنحدر على شكل حبات مستديرة على الخدين ، وقد عرف عنهم انهم أهل حرب وشجاعة الا أن البعض يصفهم بالبخل !

وقبيلة الشلك تعيش في أعالي النيل، ومن عاداتهم الغريبة أنهم لا يقتلون الثعبان ،، ويستخدمون في تنقلاتهم « الكنو » وهو مركب صغير مصنوع من جذع شجرة واحدة !

ومن القبائل الهامة في الجنوب قبيلة الدينكا وهي اكبر قبيلة مالكة للابقار في السودان ، وابقارهم معروفة بطول قرونها ، ويسكن اغلبهم بمديرية بحر الغزال والباقي في مديرية أعالي النيل ، ويمتازون بالقامة الفارعة ويدخنون التمباك بكثرة ، ولا توافق الفتاة على عريسها قبل ان ياتيها بابرة وخيط كرمز لادراكه بأنها ماهرة في صنع الثوب !

اما قبائل الباري ، فاغلبها لا يقتل الفهد ولا يقطع نوعا معينا من الاشجار وبعضها لا يشرب مياه **الامطار** ويجيدون استعمال الرمح والقوس ويعرفون الكاذب أو المذنب بالقفز فوق الحربة فاذا ادمت قدميه تأكدوا من اتهامه !

وغير هذه القبائل هناك قبائل النوير التي تسكن بين بحر الغزال ونهر السوباط ويشتهر افرادها بالشجاعة وعزة النفس !

وهناك أيضا في أعالي النيل قبيلة الأنواك التي تعطي لأفرادها صفات النبلاء ، وقبيلة المورلي العاشقة للصيد طوال السنة ، وقبيلة البرون التي يمارس بعض افرادها السحر ولديهم عادة خطف العروس إلى قرية الزوج بمجرد اتمام مراسيم الزواج !

وفي ارض بحر الغزال تجد قبائل البنقو التي عرفت استخراج الحديد واشتغلت به ، وقبائل الجور الماهرة في الحفر على الخشب وصناعة التماثيل ، وقبائل الشيرى المتميزة بسماحة الخلق والقدرة على تحمل المصاعب والمتاعب !

ويتمتع ابناء جميع قبائل الجنوب بثروة ضخمة من الحيوانات البرية والطيور ، فارضهم اغنى مناطق للصيد في العالم ، والمنطقة الرئيسية للصيد تقع في مديريات بحر الغزال وأعالي النيل والمنطقة الاستوائية التي تعد نموذجا لمناطق الصيد في العالم لما بها من غابات كثيفة تتخللها سهول خضراء ومستنقعات وجبال عالية تنحدر منها مياه النيل العظيم !

ولايمكنك ان تحصر انواع وأعداد الحيوانات والطيور فى تلك المناطق بداية من الفيل الذى يعيش قرنا من الزمن ولايبدأ الانجاب إلا إذا بلغ العشرين من عمره ، حتى تمساح النيل الذى يولد قويا قادرا على التهام الغذاء منذ خروجه للحياه !

فنبض الكائنات هنا حار متدفق .. واعظم هذه الكائنات هو الانسان الذى اصبح لحياته ايقاع سريع ، يسعى به **إلى تعويض** مافاته من سنوات .

كمال سعد

أول مرسم حر في قطر

ابو هشام

- ماهى الخطة التى وُضِعَت لتفريخ جيل جديد من الفنانين على أساس من الدراسة والرؤى الفنية
- الشباب يقبلون على التجربة بحماس شديد.. لكي يمارسوا هواياتهم تحت إشراف فني سليم



هذه التجربة الوليده لأول مرسم حر فى قطر ماهى حكايتها ؟ .. وما هو المشوار الطويل للفنان الذى أصبح مسئولا عن ثانى تجربة من نوعها فى دول الخليج بعد الكويت ؟ . . وما هى الخطة التى رسمتها ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام فى دولة قطر لتفريخ جيل من الفنانين الجدد الذين يعتمدون على الدراسة والرؤيا الفنية ذات الأبعاد ؟. . بل وما قصة المراسم الحرة وكيف نشأت فى تاريخنا العربى وتاريخ العالم الحديث؟. .

كل هذه الاسئلة وغيرها دارت فى مخيلتى وانا فى طريقى إلى أول مرسم حر فى مدينة الدوحة . .

الدراسات المستفيضة

وقصة المرسم الحربدات فى الواقع منذ بضع سنوات ، عندما قدم عدد من المسئولين والمهتمين بشئون الثقافة والفنون فى دولة قطر عدة مشروعات وابحاث تهدف الى إنشاء منتدى فنى يجتمع فيه هواة الفن تحت اشراف أكاديمى لتنمية مواهبهم الكامنة ، وخاصة ان البلاد تزخر بعدد وفير منهم .

وعرض المشروع على سعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام ، الذى رأى ان تسرع ادارة الثقافة والفنون في التنفيذ الفورى للمرسم الحر ..

وعلى الفور اهتم مدير ادارة الثقافة والفنون الأستاذ ناصر العثمان بالتنفيذ ضمن تخصصات ادارته ، واختار فنانا له سمعته وممارسته الفنية في العالم العربي ودراساته الأكاديمية وهو الفنان جمال قطب ..

وفي العام الماضي وصل الفنان ليمارس مسئوليته ويضع التخطيط الشامل بعد دراسات مستفيضة للمراسم الحرة في مختلف العواصم العالمية المماثلة ..

وبمجرد الاعلان عن افتتاح المرسم

مجموعة لقطات للدارسين من الشباب القطري في المرسم الحر





الحر في الدوحة ، هرع اليه ما يربو على الخمسين شابا من الشباب القطري ، من ذوي الميول الفنية ، ومن الذين لديهم الرغبة الجارفة في تعلم الفنون الجميلة ..

ورصدت الامكانيات اللازمة لانجاح هذا المشروع ، وخصص له مبنى من اجمل المباني في الدوحة بفريق بن محمود ، حيث يضم العديد من القاعات والحجرات المعدة اعدادا خاصا للممارسة الفنية ، وزود بكل الأدوات والخامات الفنية التي نجدها في اي مرسم متطور في العالم ..

تدريب الحس

وبدأت الممارسة العملية في المرسم الحر منذ اربعة شهور .. واقدم الشباب بحماس منقطع النظير على ممارسة هوايتهم تحت اشراف فني سليم ..

وأصبح المرسم الحر ، يضم بجانب خبير الفنون مجموعة من الشباب القطري ، ممن لهم دراسات فنية سابقة أو ممن حصلوا على بعض الشهادات الأكاديمية من الخارج مثل الفنان حسن الملا والفنان يوسف الشريف .

ويجرى الآن تدعيم جهاز التوجيه بخبرات اضافية من جيل الشباب في قطر ، حتى تجابه استعدادات المرسم لاستقبال الأعداد المتزايدة من المنتسبين ..

وفي الوقت الحاضر ، تقتصر نشاطات المرسم على الدراسات الأكاديمية الأولية التي لا بد منها لكل دارس للفنون الجميلة كالتدريب على النماذج المجسمة والطبيعة الصامتة ، دون التعرض حاليا للموديلات الحية كما هو الحال في المعاهد الفنية ..

وبجانب الممارسة العملية ، هناك بعض الدراسات النظرية كلمحات من تاريخ الفنون وسير الفنانين ومعلومات

ولكن: لماذا لم يفتح المرسم الحر قسما خاصا بالفتاة ؟ ..

هذا ما يجرى دراسته الآن ، خاصة بعد وصول العديد من الرسائل والرغبات التي تنادى بتدريب الفتاة على الفنون الجميلة ، واذا تم ذلك فسيكون في حدود المحافظة على التقاليد والظروف البيئية التي تتناسب مع واقع المجتمع المحافظ .. أي أن تخصص مشرفات مؤهلات للدراسة والتوجيه ..

المراسم العالمية

وقد يجعلنا المرسم الحر في قطر نطرح سؤالا يقول : ما هي قصة المراسم الحرة في التاريخ ؟

والاجابة على هذا التساؤل تتلخص في أن المراسم شيء مألوف في الدول الغربية منذ قرون طويلة ، أيام كان الفنانون يتتلمذون في مراسم من سبقوهم من الرواد .. وكثيراً ما تفوق التلاميذ على أساتذتهم كما نرى في فناني عصر النهضة والعصور التي تلته حتى القرن الثامن عشر ، حيث بدأ انشاء الأكاديميات الفنية في أوربا - المملكة البريطانية ، والأكاديمية الفرنسية - التي قامت بدور معامل التفريخ للفنانين .. وشهدت فرنسا مثلا عصراً ذهبيا في القرنين الماضيين ، حيث التقت جموع المفكرين من شعراء وأدباء وسياسيين تربطهم صلة وثيقة بالفنانين التشكيليين .. وظهرت تبعا لذلك المذاهب العقلانية والفلسفية في الفن ..

ولكن بجانب الأكاديميات نجد المراسم الحرة تتسع لممارسة الهوايات دون أي قيد ، فوجدنا انتشارها بصورة واسعة تتزايد باستمرار مع اقبال أصحاب المواهب وتزايدهم باضطراد ..

أما في عالمنا العربي فنجد أن حركة الفن نشطت في القرنين السابع عشر والثامن عشر في مصر ، واقيمت أيام الحملة الفرنسية عدة مراسم مشهورة مثل الخرنفش وبيت السناري ووكالة الغوري في القاهرة ، كما كان بعضها في الاسكندرية ..

وما أن افتتحت اول مدرسة عليا للفنون الجميلة في القاهرة عام ١٩٠٨



الموهبة الصغيرة ممثلة في الطالب احمد عبد الرحمن

أول مرسم حر في قطر

عن علم التشريح ومحاضرات مبسطة في علم الجمال .. والهدف من تلك الدراسات بالطبع هو رفع مستوى التذوق الفني عند الشباب .. وكما نعلم فالفن والثقافة العامة كل لا يتجزأ ، والتذوق الفني هو حصيلة تاتي من تدريب العين والحس والعقل على مستويات حضارية متشابكة وسلوك اجتماعي مهذب ، وهذا ما نسميه بالبصيرة او الاحساس المعنوي للشعور بما يحيط بنا من معان وقيم جمالية !

الواقعية والحداثة

نعود إلى الخطة التي وضعها المسئولون للمرسم الحر لكي يقوم برسالته خير قيام ، فنجد اننا امام تنظيم دقيق ذي مراحل متعددة : ففي المراحل الأولى تكون الدراسات النظرية والممارسة العملية مبسطة بهدف الترغيب ، فالدراسة حرة في كل جوانبها ، الحضور والانتظام ليس مقيداً الا بالقدر الذي ينسجم مع الجهاز الاداري في المواعيد الرسمية ، والدراسة النظرية حرة تخضع لرغبات المنتسبين وظروف تقدمهم في تدريباتهم ، كما أن الخامات التي ينفذون بها لوحاتهم تخضع أيضا لرغباتهم وميولهم الشخصية ، والحرص كل الحرص في هذه الفترة بالذات على عدم الانزلاق في متاهات الأساليب الفنية الحديثة الا بعد الحصول على قسط وافر من التدريب على الأسلوب الأكاديمي الجاد ، فالالتزام بالموضوعية والواقعية في هذه المرحلة هو التمهيد للانطلاق عقب ذلك إلى تكوين شخصية الفنان حسبما يريد !

وبحثوا مسالة الحوافز لتشجيع الشباب على الانخراط بجدية في التدريب وموالاة الحضور ، ووجدوا ان المقابل الأدبي ممثلا في جوائز او شهادات تقدير او اشتراك في معرض أو غير ذلك من التقدير الرمزي هو أنسب الحوافز ، حتى لا يتحول المرسم الحر إلى ما يشبه الوظيفة التي ينتظر الطالب راتبها آخر كل شهر ، وحتى يأتي طالب الفن برغبة فنية صادقة مبعثها الهواية وحب الفن !

أصغر فنان

ويتسع المرسم الحر - حتى في ظروفه الحالية - لتبني اقامة المعارض واعداد الندوات والمحاضرات الفنية لكل من يطلب ذلك .. كما أن بالمرسم مكتبة فنية تضم مجموعة من الكتب الفنية باللغتين العربية والانجليزية .. وستشمل أقسام المرسم مستقبلا تخصصات التصوير والحفر والديكور والنحت في أشكاله الزخرفية والرسم الصحفي ، وذلك بعد الانتهاء من مرحلة الدراسة التدريبية العامة ..

وقد اعترضت المرسم مشكلة ان معظم المنتسبين من الطلبة في الجامعة والمدارس ، فعدلت المواعيد لتكون فترة واحدة بعد الظهر ، تبدأ من الرابعة ، ليظل المتدرب إلى أي ساعة يريد !

ونتيجة التعديل الجديد ، أصبح المرسم الحر لا يقف عائقا أمام الطلبة في دراساتهم ، وظهرت من بينهم نماذج مبشرة ، من بينها أصغر المنتسبين سنا وهو « أحمد عبد الرحمن » ابن الثلاثة عشر عاما ، الذي تفوق على الكثيرين من اقرانه ، انجز اعمالا تؤكد انه لو توفرت له الرعاية الدائمة ويسرت له ظروف الاستمرار في ممارسة الفن بدون عوائق لأصبح من أهم فناني الخليج والعالم العربي ..

حتى كان روادها هم من خريجي هذه المراسم المنتشرة وقتئذ في مصر ..

وكذلك بدأ انشاء المعاهد الفنية في العالم العربي وارسال البعثات الفنية ، ليتسع نطاق الحركة الفنية في مختلف العواصم العربية ..

وفي الكويت انشىء أول مرسم حر في الخليج منذ بضعة سنوات ، وان كان قد اهتم بذوى الكفاءات المتقدمة المتبلورة ، واصبح اشبه ما يكون بمراسم للمتفرغين ..

ولذا وضع في الحسبان عند تأسيس المرسم الحر في الدوحة أن يهتم بكلا الجانبين ؛ مهمة التدريب والاعداد الفنى للمنتسبين من القاعدة ، ثم افساح المجال في المستقبل لذوى الكفاءات المتبلورة ليحصلوا على المراسم الخاصة داخل هذا المرسم الحر ..

وهكذا نرى أن المرسم الحر في دولة قطر ، قد أخذ في اعتباره التجارب السابقة ، وبنى كل خطته على أساس تنمية المواهب الشابة تحت اشراف فنى سليم بحيث يساير الركب الحضاري في البلاد .

أبو هشام

عندما يتفرغ الفنان





الفنان جمال قطب خبير الفنون

احدى لوحات متحف الملك عبد العزيز .. من اعمال الفنان جمال قطب بمدينة الرياض

والآن .. وبعد أن تعرفنا على معالم المرسم الحر ، ألا يحق لنا أن نتوقف عند الفنان الذي يشرف على هذا المشروع الجديد ..

ومشوار الفنان جمال قطب مر بمراحل النمو منذ دراسته في المرحلة الثانوية ، ويحدثنا زملاؤه عن انه كان يقيم معارض خاصة وهو في هذه السن المبكرة ويفتتحها كبار المسئولين بوزارة التربية والتعليم في ذلك الوقت

وكانت فترة الدراسة بالنسبة له فرصة ذهبية للاستمتاع الروحى والوجدانى !

والجدير بالذكر ان الفنان جمال قطب بدأ ممارسته العملية في الصحافة والاشتراك في المعارض منذ بداية دراسته في كلية الفنون الجميلة ، وما أن تخرج حتى كان الرسام الأول لجميع مجلات دار الهلال التي أصبح مديراً فنيا لمجلاتها وبرز نشاطه في معظم دور النشر العربية في انحاء الوطن العربي ..

واقام عدة معارض فنية في تخصصه ، وهو الفن التسجيلي المتحفى ، وفن اللوحة المطبوعة ، وفن الغلاف ..

ثم ذهب إلى ايطاليا في زيارات دراسية وتأثر بالفنان العالمى الكبير « والتر مولينو » وتعددت رحلاته إلى الخارج حتى أصبح السفر وزيارة المحافل الفنية والمتاحف والتعرف على كبار الفنانين العالميين هو هواياته المفضلة ، وكان أحدث زيارة فنية له هى زيارة اليابان في أول العام الماضى لدراسة المتاحف الكلاسيكية اليابانية الشهيرة ..

ولعلنا نتذكر متحف الملك عبد العزيز بالرياض بالمملكة العربية السعودية الذي أنجزه بين عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ والذي يضم العشرات من اللوحات التسجيلية التي تمثل الملك الراحل مؤسس الدولة الحديثة في مختلف معاركه وبطولاته ...

كما اننا نلاحظ أن معظم أعمال الروائيين الكبار ممهورة بأعماله التي تزين واجهات المكتبات في انحاء العواصم العربية ..

ولذا فقد جاء إلى قطر بهذه الخبرات العديدة حتى يعمل على اعداد جيل من الفنانين من ذوى المواهب الفنية والتي تعمل الدولة جاهدة على تنميتها ضمن مختلف النشاطات الاجتماعية والثقافية والفنية ..

على هامش الاحتفال بمرور ١٤٠٠ سنة على الهجرة

كيف اتسعت رقعة الفن الإسلامي وامتدت في الزمان والمكان

خليل صفية

تقديم :

لا شك بان قراءة الفن في تراثنا العربي والاسلامي تختلف من باحث إلى اخر وتتنوع بتباين المواقف والحاجات والدوافع ، وتلك مسالة مشروعة ومبررة ، لكن ان تتجه معظم البحوث والدراسات إلى جانب معين دون غيره في هذا الفن . ثم تعمم النتائج التي وصلت اليها في هذا الجانب ، على الفن بشكل عام ، متناسية عن قصد او غير قصد الجوانب الاخرى المضيئة في تراثنا ، فهذا يعني ان الحقائق التي كشفت عنها هذه الدراسات لا يمكن ان تمثل جوهر هذا الفن في ميادينه المختلفة ، الرسمية والشعبية ، وعلى صعيد اخر نرى ان العديد من الدراسات التي تبحث في التراث الفني ينطلق اصحابها من مفاهيم النقد الاوروبي المعاصر ، المفاهيم التي تكونت مفاتيحها النقدية من الفن الغربي وعلاقته بواقعه . واذا كان هناك ثمة علاقة بين الفن والنقد والواقع ، فكيف نعالج تراثنا الفني بمفاهيم نقدية مستعارة .



لماذا نعالج تراثنا الفني بمفاهيم نقدية مستعارة ؟

لقد ميز النقد الاوربى المعاصر بين التصوير والزخرفة ، وفصل العمل الفني عن الجدار ، وولدت لوحة الحامل « اللوحة المسندية » التي تعرض في صالات مغلقة ، وبالتالى ادخل النقد الأوربي اللوحة سوق الاحتكارات والمزادات وحولها إلى سلعة يقول احد مشاهير النقد الأوربى المعاصر « هربرت يد » : « ان الدافع الجمالى متاصل فى الانسان ، لكن إلى اي مدى يربى الدين او يمنع ذلك الدافع ؟ ان تحريم تصوير الاشكال البشرية كان نافذ المفعول في العالم الاسلامى اجمع وهذا التحريم لا يفترض ضمنا افسادا تاما للدافع الجمالى ، وان الدافع الجمالى الذي يكبح فيما يخص الاتجاه البشرى يلح على ايجاد مخرج ، هذا المخرج اتخذ في الفنون الاسلامية شكل الفن الزخرفي واللا تشكيلي » .

وياتى من كتابنا العرب من ياخذ بهذا الراى ، ويذهب البعض إلى ابعد من ذلك ، إلى نفي وجود فن تشكيلى في تراثنا ، وحصر هذا التراث بالادب ، يقول الدكتور ميشال عاصى في تقديمه لكتاب « الجمالية عبر العصور » : « ان ارثنا الفكري الجمالي هذا محصور في نطاق الفكر الادبى وحده ، وليس فيه من



معطيات الفكر الفنى خارج حدود الادب ما يغني بقليل او كثير لان معظم النتاج الفني في تراثنا العربي ، ان لم نقل كله ، لم يتوزع على غير الادب من انواع الفنون الجميلة الاخرى ، كالرسم والنحت والرقص والموسيقى ، مما ادى إلى حصر الفكر الجمالي في قطاع الفكر الادبي وحده » .

ان عملية الفصل بين الزخرف والتشكيل هي نتاج مرحلة من مراحل تطور النقد الأوربي المعاصر ، والفصل بين الزخرف والتشكيل لم يكن قائما في تراثنا الاسلامي والعربي ، وفي مجمل الحضارات الانسانية القديمة ، ومن جهة اخرى تبدو عملية الفصل بين التشكيل والتطبيق ـ ايضا ـ نتاج مرحلة محدودة في النقد الأوربي .. ذلك أن هذا النقد يعود الآن لمراجعة حساباته ، فالدعوات الحالية القائمة في اوربا تتجه إلى ربط الفن بالعمارة والصناعة « فازاريلى ـ مثلا » ... اي تتجه إلى تراثنا الفنى الذي سبق الغرب بمئات السنين في ربط الفن بالصناعة والعمارة ، لقد تجسد الفن الاسلامي في مختلف اشكال العمارة في المساجد والقصور والحمامات والمباني العامة ، كما تجسد في الصناعات اليدوية « الخزف ـ النسيج ـ النحاس ـ الزجاج ... الخ » وفي الكتب .

لقد عرف الفن الاسلامي التصوير لكن من خلال العمارة والكتب والخزف والنسيج والزجاج « التصوير على الجدران ـ الفسيفساء ـ التصوير في الكتب والمخطوطات ـ التصوير على الزجاج ـ التصوير على الخزف .. » والشواهد على ذلك اكثر من ان تحصى ..

ان الآراء التي نفت التصوير عن الفن


وكاد يزعزع الجمال الشمر وأنشد
ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ولا اختيارك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تبغي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا







كيف نعالج تراثنا الفني بمفاهيم نقدية مستعارة؟

● الفن الإسلامي عرف التصوير من خلال العمارة والكتب والخزف والنسيج والزجاج

الاسلامي وحصرته ضمن نطاق الزخرفة قد انطلقت من ركيزتين . الاولى : التصوير بالمفهوم الأوربي « لوحة الحامل » ، والثانية : النقد الأوربي المعاصر . وهذه الركائز تتناقض تماما مع طبيعة الفن في تراثنا ، حيث الجانب الوظيفي النفعي للتشكيل والتطبيق معاً – فلا معنى للفن الا في نطاق استخدامه – وعبر هذه الفلسفة تنامى الفن الاسلامي في الحياة الشعبية وعرف طريقه إلى الحياة اليومية عبر الصناعة والعمارة . ولعل السمة التشكيلية للتصوير الاسلامي تكمن في استخدام الوحدات الزخرفية ، النباتية والهندسية ضمن عناصر مشخصة « حيوانية وانسانية » إلى جانب استخدام الكتابة العربية كقيم تصويرية .. ولعلنا نجد صدى لهذه السمة في بعض نتاجات الفن الأوربي الذي تأثر بالفن الاسلامي فقد استخدم « بول كلي » الكتابات العربية والزخارف في لوحاته ، كما استخدم « ماتيس » مختلف الزخارف الاسلامية في لوحاته ، فهل ننفي صفة التصوير عن « بول كلي » و « ماتيس » ؟!

التصوير في الفن الاسلامي

في حديثنا عن التصوير في الفن الاسلامي لا بد من التنويه باننا لا نتحدث من منظار النقد الأوربي أو مادته « لوحة الحامل » ، لكن نتحدث من خلال مفاهيم التصوير في الفن الاسلامي التي ربطت وبمنتهى الانسجام بين المتعة الجمالية والمنفعة . وذلك من خلال تجميل العمارة والادوات التي يستخدمها الانسان في حياته اليومية .



لقد بدأ التصوير على الجدران مع بداية الدولة الاسلامية وملك تمايزه في العصر الأموى ، التمايز الذي انتقل بعد ذلك إلى الأندلس ، وقد استطاع النقد أن يميز بين عدة مدارس للتصوير في الفن الاسلامى ، ولعل أهم هذه المدارس ما انجزه التصوير العربي في بغداد ، حيث ظهرت أولى مدارس التصوير الاسلامى « وكانت المنمنمات هي مجال ابداع فناني العراق الذين غمسوا مراقمهم وخلصوا إلى خصوصية ، واهم ما قدمته مدرسة بغداد هى تصاوير مقامات الحريرى للفنان يحيي بن الواسطي » .

ويرى بعض النقاد « بأن صورة الجزر الشرقية للواسطي تعتبر علامة لبداية مرحلة هامة جداً في تطور رسم المناظر الطبيعية في الفن الاسلامي » .. ان الوثائق والآثار المتبقية حتى الآن في بعض متاحف العالم تؤكد أن الفن الاسلامى عرف التصوير وبصورة متمايزة وهذه بعض الأمثلة « هناك بعض الرسوم الجدارية الباقية التي كانت تزين قصير عمرا في بادية الشام والذي ينسب إلى الوليد بن عبد الملك وتمثل الرسوم موضوعات الصيد والرقص والاستحمام وقد كشفت هذه الرسوم بعثة علمية كان يراسها الدكتور موزيل عام ١٨٩٨ – عثر في قصر الجوسق الخاقاني بسامرا « انشاه المعتصم ٨٣١ م » على رسوم كثيرة اهمها ما عثر عليه في جناح الحريم – وقد أورد المقريزي قصصاً عن التنافس بين كبار الفنانين الذين يصورون على الجدران ، ومنها قصة من العصر الفاطمى عن المنافسة بين « قصير » المصري ، و « ابن عزيز » العراقي » . ان القاسم المشترك لمختلف اشكال وعناصر الفن الاسلامي يكمن في خصائص الارابسك « الخط اللا متناهى – الحركة اللا متناهية » التي جمعت بين أساليب التصوير الاسلامي ومدارسه ..

خصوصية الزخرفة الاسلامية

هل كانت الزخرفة حكراً على الفن

الاسلامي ؟ من المؤكد أن مجمل حضارات العالم قد عرفت الزخرفة عبر فنونها المختلفة في النحت والخزف والتصوير الجدارى . لكن الزخرفة أخذت في الفن الاسلامي صيغة متميزة وايقاع موسيقى خاص ، وقد توصل الفنان المسلم إلى نظام هندسي معقد ، متداخل ، متشابك من خلال وحدات زخرفية بسيطة في تكوينها ، معقدة في تشكيلاتها .. وكما تميز التصوير بخصوصية الارابسك كذلك تميزت الزخرفة بالارابسك ، وتحققت عبر قيم حركية عكست الجانب الروحى والحسى في الفن الاسلامي ، كما ربطت بالعقيدة .





إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت
الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح
بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

بسم الله الرحمن الرحيم



لكن ماذا عن خصائص الزخرفة ؟ هنا يمكن ان نميز بين قيمتين مختلفتين فالثبات والاحكام والاستقرار في الوحدة الزخرفية الهندسية يقابله الحركة والرشاقة والليونة والانسيابية في الوحدة الزخرفية النباتية ، وقد وفق الفن الاسلامي بين هذه الخصائص المتباينة للوحدات الزخرفية واستطاع ان يقنعنا بانسجامها وتالفها . ومن ثم ربطت الزخرفة بالحركة اللامتناهية وتحاورت مع الكتابة العربية وطبعتها بخصائصها ، الزخرفية الهندسية في الخط الكوفي ، الزخرفية النباتية في الخط النسخي . وقد دخلت الزخرفة إلى مختلف ميادين الفن الاسلامي . دخلت التصوير الجداري في المساجد والمباني « فسيفساء المسجد الاموى ـ فسيفساء المسجد الاقصى ... الخ » واستخدمت في التصوير في الكتب ثم انتشرت في الحياة اليومية من خلال الأواني والادوات الخزفية والزجاجية والنحاسية . وكان لها روعتها في المنسوجات « سجاد ـ ازياء » .

الكتابة العربية من الدلالة الأدبية إلى القيمة التشكيلية

« هناك حقيقة تؤكد انه قد وجد خط يقال له ـ الخط النبطي ـ نسبة إلى الانباط ـ الشعب العربي الذي أسس في قرون سبقت ميلاد المسيح وامتدت به ـ مملكة تتسع من شمال الحجاز إلى دمشق ، وان هذا الخط « الخط النبطي » يحمل في صوره قديمها وحديثها جمهور العناصر التي تالف منها الخط العربي في رسمه واملائه واتصال حروفه وانفصالها ، فيه كل ما يتسم به خطنا من سمات ، كما يشهد بذلك ما كشف عنه من الواح قديمة في جهات مختلفة »

وعلى صعيد الفن الاسلامي هناك نمطان من أنماط الخط ، « النسخي » و « الكوفي » وقد ارتبط الخط منذ البداية بالدلالة الأدبية « المعنى » والتشكيلية « تصوير » حيث اعتمدت الآيات القرانية كمادة أساسية ، وهذه الدلالة الأدبية أحيطت بشيء من القدسية ، وقد تنوعت مجالات وميادين الكتابة ، كتطبيق وتشكيل ، فهناك الأعمال الفنية التي تعتمد الكتابة كعنصر تعبيرى أساسى « النحت البارز على الخشب » . وهناك الكتابة إلى جانب الزخرفة في التصوير الجدارى والرسم على الزجاج والحفر على النحاس ، أي أن الكتابة العربية كعنصر جمالي قد استخدمت في مختلف ميادين الفن الاسلامى . وقد تحولت في بعض استعمالاتها إلى قيمة رمزية تحمل إلى جانب البعد الأدبى « المحتوى » والتشكيلي « تصوير » والجمالي « التكوين ـ الحركة » بعداً آخر فلسفيا يعكس علاقة الفنان المسلم بالعالم الخارجي المحيط ، العلاقة الحسية الأكثر حضوراً في نتاجات الفن الاسلامى فالفن الاسلامي لم يكن روحانيا بمجمله بل ارتبط بالحياة وقام بتجميلها أي ربط الفن بالجانب الوظيفي « المنفعة » .

نقول ان الوظيفة الأكثر انتشاراً في الفن الاسلامى تكمن في ربط القيم الجمالية بالمنفعة من حيث تجميل كل الادوات التي يستخدمها الانسان من الاناء المزخرف الذي يشرب منه إلى السيف المزخرف الذي يقاتل به وهذا الانتشار الواسع للفن الاسلامى عبر الصناعة والعمارة كان العامل الاساسى في تنوع القيم الخطية واللونية ، وقد ملك هذا الفن امكانية التطور واتسعت رقعته في المكان وامتدت في الزمان حتى يومنا هذا .

● دمشق : خليل صفية

نبيل خالد الأغا

نابلس

جبل النار يلتهب

- إنها رئة الجهاد ونبض البطولات، والحرف البارز في موسوعة النضال الفلسطيني
- يضم قضاء نابلس "عمورية" التي صرخت منها المرأة الهاشمية: وامعتصماه.. وامعتصماه
- إنها مدينة عربية صميمة، بناها أجدادنا الكنعانيون منذ ثلاثة آلاف عام تقريبا

ايها الغادي على نابلس
جئت خيرَ الأرض والناس الكراما
الفناء الرحب والعيش الرَّضِيِّ
والهواء العذب والماء الجماما
بوركَتْ ارضا ولا زال بها
يتوالى السحب وَجْدًا وغَراما

انها رئة الجهاد والاستشهاد ، ونبض الثورات المتلاحقة ، والعنوان البارز فى موسوعة النضال الفلسطيني .

انها موطن ثر لمئات الشخوص في شتى قنوات المعرفة ، والحياة .

انها منبع الماء ومنبت الخضرة ، وموئل الوجه الحسن !

انها نابلس .. إلتى اقترن اسمها بجهادها الطويل ، ومقارعتها الغزاة على امتداد تاريخها الموغل بعداً وعمقا .

عندما قصدتها في الصيف الفائت كانت تداعب خاطري نسمات حياتها بماضيها وحاضرها ، وتتراءى أمامي اضخم مزارع الزيتون في فلسطين برمتها ، وفي جذوع الزيتون البعيدة العمق ، العميقة البعد كنت امعن النظر .. ولعلني كنت استقرؤها شهادة الميلاد ، واخذت اردد مقولة استاذنا مصطفى مراد الدباغ : ان الديار النابلسية هى أرض الشخصيات البطولية الاسطورية ولكنها في الوقت نفسه ارض الفقهاء والعلماء والمثقفين .

شهادة الميلاد

لقد قُسمت فلسطين في أواخر عهد الإنتداب البريطاني إلى ستة الوية هى : الجليل ، حيفا ، السامره ، القدس ، اللد ، غزة ..

وكان لواء السامرة يتألف من ثلاثة اقضية هي : نابلس ، وجنين ، وطولكرم ، وتمتد جبال منطقة نابلس من جنوب « مرج بن عامر » لتنتهي في جبال القدس جنوبا ، واعلى قمم هذه الجبال هي قمة « جبال عيبال » والتي ترتفع عن سطح البحر ما يقرب من الف متر ، وفي مواجهته يقع « جبل جرزيم » ، وفي الوداى المنحصر بين هذين الجبلين تقع مدينة نابلس العربية الفلسطينية المحتلة .

وقد عرف لواء السامرة (بمثلث الرعب) او (المثلث الحديدى) نسبة إلى الشكل الهندسى لخطوط المواصلات


أعمدة - سبسطية - من عصر الإحتلال الروماني .

القائمة بين مدنه الثلاث التي تاخذ شكل المثلث ، اما الصفة فقد اطلقت عليه بالنظر لما اظهره ـ ويظهره ـ أهله من الآيات البينات في ميادين البطولة والبسالة والفداء .

ويضم قضاء نابلس اكثر من (١٣٠) قرية عربية من اشهرها : عمورية التي لها ذكر مع الخليفة المعتصم ، ومنها المرأة الهاشمية التي صاحت : وامعتصماه ، بلاطه ، حجه ، حواره ، كفر قدوم ، سبسطية ، سلفيت ، طلوزه ، طوباس .

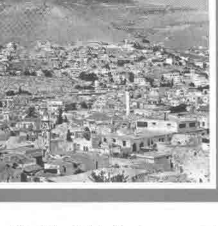
ونابُلُس ـ بضم الباء واللام ـ بلدة عربية بناها أجدادنا الكنعانيون قبيل اكثر من ثلاثة آلاف عام ، وكانت تعرف حينئذ باسم « شكيم » وتعنى المنكب ، او الكتف .

من التاريخ

ويقال بانه قد نزلتها طائفة من قبيلة « ثمود » فى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.

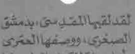
بينما كان « الجرزيون » العرب يسكنون فيها خَيَّمَ بالقرب منها سيدنا ابراهيم الخليل بعد ان هاجر من العراق فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ويقال ايضا بان الجبل الذى عزم سيدنا ابراهيم عليه السلام ان يقدم ابنه اسماعيل ضحية عليه كان جبل « جرزيم » وليس جبل « موريا » فى القدس كما يقول اليهود

وعندما انتشرت الديانة المسيحية فى البلاد دخلت نابلس ، واشتهر منها عدد من القديسين من بينهم القديس





حدثت بمنطقة نابلس عدة حروب فاصلة من بينها : «مجدو» - «عين جالوت» - «صانور»



لقد لقبها المقدسي : بدمشق الصغرى ، ووصفها العمري بأنها مدينة لا تحتاج الى غيرها

« بوستينوس » . وفى القرن الرابع صارت مركزا لاحدى الاسقفيات الشهيرة

ويحدثنا التاريخ بان اشهر المعارك التى حدثت فى منطقة نابلس معركة « مجدو » فى العصور القديمة ، ومعركة « عين جالوت » فى العصور الوسطى ، ومعركة « صانور » فى العصور الحديثة ، وكذلك حروبها مع البريطانيين واليهود فى السنين المعاصرة .

نابلس والفتح الاسلامى

بعد ان فتحت جيوش المسلمين غزة وماجاورها فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه توجهت الى سبسطية ونابلس ، وتم فتحها بقيادة عمرو بن العاص بعد أن طمانهم على انفسهم وأموالهم كما حدث فى القدس.

وقد اشتهرت نابلس منذ القدم بمياهها وخيراتها الكثيرة حتى لقبها المؤرخ المقدسى « بدمشق الصغرى » .

اما المؤرخ العمرى فقد وصفها بانها « مدينة يُحتاج اليها ولا تَحتاج الى غيرها » وذلك نظرا لوفرة خيراتها .

وقد جاء فى « الانس الجليل » روى المشرف بسنده عن كعب قال :احب البلاد الى الله الشام ، واحب الشام الى الله تعالى القدس ، واحب القدس الى الله تعالى جبل نابلس ، ليأتين على الناس زمان يتماسحونه بالحبال بينهم .

وقد زارها الرحالة ابن بطوطة عام ٧٢٥هـ . ومن قبله زارها وذكرها الرحالة محمد بن حوقل عام ٣٦٧هـ - ٩٧٧م فقال « ليس بفلسطين بلدة فيها ماء جار سواها ، وباقى ذلك شرب اهله من المطر ، وزرعهم عليه ، وبها البئر التى حفرها يعقوب ، وهى مدينة السامرة » .

وقد ذكرها يعقوب الحموى فى معجم البلدان فقال عنها : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها. كثيرة المياه لانها لصيقة فى جبل ، وبظاهر نابلس جبل ذكروا أن ادم عليه السلام سجد فيه .

وقد ذكر المؤرخون العرب بانه كان بنابلس ٢٢ عينا ثرة بالماء ، وقد شبهها المؤرخ الدمشقى بقصر محاط بحدائق غناء .

بئر يعقوب (السامرية)

تعتبر هذه البئر من اشهر اثار نابلس، وتقع وسط السهل الفاصل بين جبلى عيبال وجرزيم في طرفها الغربي ، ويقال بأن هذه البئر هى التى حفرها النبى يعقوب عليه السلام عندما حضر إلى « شكيم » .

وعند هذه البئر أيضا التقى السيد المسيح بالمراة السامرية عندما جلس ليستريح من عناء رحلته التى غادر فيها القدس متوجها إلى الجليل ، وعندما شعر السيد المسيح بالظما طلب من السامرية ان تسقيه ماء ، فدهشت لطلبه وردت عليه قائلة : كيف تطلب مني ماء وأنت تعلم باني سامرية ؟

وبالقرب من البئر يوجد قبر يعتقد الكثيرون بانه قبر النبى يوسف عليه السلام .

نابلس والصليبيين

لقد استولى الصليبيون على نابلس في أواخر تموز عام ١٠٩٩ م بقيادة الضابط تنكرد واقام (بلدوين) الأول قلعة لحمايتها على رأس جبل جرزيم .

وقد تعرضت نابلس لاذى الصليبيين عند احتلالهم لها ، لانها لم تكن محصنة ، وقد عاملوا سكانها بقسوة بالغة نظرا للغارات الليلية التي كان يشنها الاهالى على معسكرات الصليبيين .. وامام هذه النقمة اضطر البعض للهجرة إلى مصر والشام .

ولم يقف الأذى بالنابلسيين عند هذا الحد ، ففي عام ٥٩٧ هـ تعرضت المدينة لزلزال عنيف هز جميع اركانها ، ولم تسلم منه سوى حارة « السمرة » ، وقد توفي على اثر هذا الزلزال حوالى ثلاثين الف نسمة كما ورد في « النجوم الزاهرة » .

وبقى المسلمون والصليبيون يتداولون نابلس فيما بينهم إلى أن استقرت نهائيا في أيدى المسلمين زمن السلطان الظاهر بيبرس .

شموع نابلسية

لقد أعطت نابلس للمجتمع الاسلامى كثيرا من الشخصيات البارزة التي

نابلس

● لقد ساهم كثير من الشخصيات النابلسية في إضاءة دروب المعرفة الانسانية



ميدان الساعة في نابلس







صورة ناطقة في غنى عن كل تعليق !!

احد الشوارع القديمة في نابلس

ساهمت في اضاءة دروب المعرفة الانسانية من شعراء وعلماء وفقهاء ، ومحدثين ، ووزراء ، وقضاة وذلك على امتداد التاريخ الاسلامي من امثال : الشاعر النابلسي الضرير ، والمصلح محمد بن احمد الرملي الذي كاد له جوهر الصقلي فامر بسلخه وحشو جلده تبنا وذلك عام ٣٦٣ هـ ! ادريس بن يزيد النابلسي ، الشيخ نصر ابو الفتح الفقيه النابلسي الشافعي وكان علامة اماما مفتيا متبتلا ، أبو عبد الله الديباجي ٤٦٢ هـ وكان أماما جامعا بين العلم والعمل ، احمد أبو العباس النابلسي خطيب دمشق عام ٦٢٢ هـ ، والكاتب المشهور احمد بن مظفر النابلسي . وعبد الرحمن رشيد الدين النابلسي الذي مدح صلاح الدين الأيوبي حين فتح بيت المقدس في قصيدة طويلة قال فيها :

الله أكبر صوت تقشعر له
شم الذرى وتكاد الأرض تنفطر
يا مالك الأرض مهدها فما احد
سواك من قائم للعهد ينتظر

اما في العصر المتأخر ونظر لازدياد عدد سكان نابلس وزيادة وعيهم ، فقد ظهرت من بينهم شخصيات قيادية أدت دورها ثم انطفأت حياتها ولم تنطفىء آثارها ، ومنهم :

● ابراهيم عبد الفتاح طوقان شاعر فلسطين بلا منازع (١٩٠٥ ـ ١٩٤١) ، وهو شقيق الشاعرة الفلسطينية المعروفة فدوى طوقان الصامدة في نابلس ، والملهبة حماس الجماهير بقصائدها الثوريـة ، ويروى في هذا المجال ان موشى ديان مجرم الحرب الصهيوني قد قرأ قصيدتها المشهورة «سبع ساعات انتظار» فقال معلقا عليها : ان كل قصيدة كهذه كفيلة بان تنبت عشرة فدائيين !!

● عادل عمر زعيتر (١٨٩٧ ـ ١٩٥٧) كان عضوا بالمجمع العلمي العراقي ، وقد ترجم إلى العربية اكثر من ٣٦ كتابا فرنسيا لألمع كتاب فرنسا وفلاسفتها .

● فائق فريد العنبتاوي (١٨٩٦ ـ ١٩٦٠) وكان علما بارزا من اعلام الوطنية .

● عوني عبد الهادى (١٨٨٨ ـ ١٩٧٠) ارتبط اسمه بالحركة الوطنية بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ وهو احد مؤسسى حزب الاستقلال الفلسطيني ١٩٣١ م ، وقبيل وفاته كان يشغل منصب رئيس اللجنة القانونية في الجامعة العربية .

● نهاد القاسم (١٩٠٥ ـ ١٩٧٠) اشتغل فترة طويلة في القضاء ، ثم اصبح مسئولا عن هيئة التفتيش فيه ، وقد شغل عدة مناصب وزارية في الجمهورية العربية السورية .

● من أبناء نابلس : إبراهيم طوقان .. عادل زعيتر .. عوني عبد الهادي .. نهاد القاسم .. قدري طوقان !
● عندما هبّ اللواء العراقي الباسل لنجدة أهل جنين ، ودحر القوات اليهودية .. !



بعض افراد الطائفة السامرية في نابلس

● الحاج عادل حماد – العلامة قدري حافظ طوقان – عبد اللطيف صلاح – أمين التميمي – روحي عبد الهادي – سليمان طوقان – عبد الرحيم الحاج محمد – عبد الرحيم محمود .

وهناك شخصيات اخرى كثيرة لا تسعفنا الذاكرة لاستحضار اسمائها .

طولكرم

هي ثاني مدن « مثلث الرعب » موقعها متوسط من جميع الجهات ، فهي نقطة اتصال بين السهول الساحلية والمرتفعات الوسطى ، اذ تبعد عن البحر المتوسط ١٥ كم شرقا ، كما انها في موقع متوسط بين اعظم ميناءين في فلسطين حيفا ويافا ، وقد تاسست فيها أول مدرسة زراعية في فلسطين هي مدرسة خضوري الثانوية .

ويروى العلامة العربي (ابن خلدون) ان مدينة طولكرم هي نفسها (اجنادين) التي نشبت فيها معركة اجنادين الشهيرة بين العرب بقيادة عمرو بن العاص وجيوش الروم عام ٦٣٨ م .

وفي قضاء طولكرم نحو (٨٠) قرية عربية من اشهرها : قلقيلية التي تتميز بشبابها المتدين – عنبتا – عتيل – دير الغصون – شويكة – بلعا – عزون – كفر قاسم – الطيبة – الطيرة .

جنين

هي ثالث مدن « المثلث الحديدي » تمتد على شمالها السهول الخصبة ، وتحيط بها بعض التلال التي تشكل مراع جيدة ، ومن هنا كانت شهرتها في المنتوجات الحيوانية .

وقد لعبت جنين دوراً مهما في الحرب الفلسطينية عندما هاجمها الصهاينة عام ١٩٤٨ بست كتائب ، واستطاعوا احتلال معظم ارجائها عدا قلعتها الحصينة ، وبها بعض المقاتلين الفلسطينيين ، فهب لنجدتهم اللواء العراقي الخامس بقيادة البطل عمر علي وتمكن من هزيمة المعتدين ودحرهم منها بعد أن اوقع بهم اكثر من ٣٥٠ اصابة .

ولكنها في السادس من حزيران عام ١٩٦٧ هوت في مستنقع الاحتلال ، ولم تجد من يهب لنجدتها من العرب .

يضم قضاء جنين (٧٤) قرية عربية من أهمها : عرابة – دير غزالة – قباطية – الرامه – صانور – الطيبة – يعبد – اللجون – المزار – أم الفحم .

الطائفة السامرية

تتواجد في مدينة نابلس أصغر طائفة دينية في العالم هي طائفة السامريين ، وقد عاشت هذه الطائفة في صراع مستمر مع اليهود من جانب ومع الرومان من جانب آخر ، مما دفع أفرادها للقيام بثورات مستمرة عام ٤٧٤ م ضد الامبراطور زينو ، فاستشاط منهم غضبا وطردهم من مقر اقامتهم في جبل جرزيم ، وبنى على الجبل كنيسة ضخمة ، وتكرر الأمر ثانية زمن الامبراطور الروماني جوستنيان ، فجدد ايذاءهم مما اضطر بعضهم للهجرة ، والبعض الآخر لاعتناق المسيحية تهربا من الأذى . ولم تشعر هذه الطائفة بالدعة والأمان الا بعد الفتح الاسلامي لنابلس ، حيث أصبح افرادها يمارسون شعائرهم الدينية بحرية مطلقة .

ومن الطريف ما يروى بأن عدد افراد هذه الطائفة قد ظل يتناقص باستمرار حتى وصل عددهم في بداية القرن السادس عشر إلى خمسة رجال وخمس نساء !!

أما اليوم فيقدر عددهم بالف نسمة تقريبا .

ويرى السامريون بانهم ورثة بني اسرائيل ، وحماة التوراة الحافظون لوصاياها العشر ، وهم بقية الاسباط العشر .. أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام .

لماذا يتم إعدام أطفال الطائفة السامرية في اليوم الثامن لولادتهم

وخلال وجودي في الأرض المحتلة اطلعت على تحقيق صحفي اجراه محرر جريدة « القدس » مع سكرتير الطائفة السامرية ، وقد جاء فيه بان احد كهنتهم ويدعى « صدقه » قد قام قبل ٣٠٠ عام بجمع شمل العائلات السامرية للاقامة في نابلس حيث كانت موزعة في صرفند وغزة والشام .

وتتكون الطائفة من عائلات خمس هي : الكهنة ـ اللطيف ـ صدقة ـ صداوى ـ مفرجي .

الجبل قبلتهم !!

وترتكز الديانة السامرية على خمسة اركان : ١ ـ الاعتقاد بوحدانية الله . ٢ ـ الايمان بان موسى اعظم الرسل وخاتمهم . ٣ ـ التوراة هي كتاب الله المنزل على موسى . ٤ ـ ان جبل جرزيم هو القبلة ومركز الحج . ٥ ـ الايمان باليوم الآخر .

وعندما سأله محرر الصحيفة عن الفرق بين ديانتهم وديانة اليهود اجاب : ان أهم خلاف هو أنه ليس للسامريين اي ايمان في القدس ، وايماننا ينحصر في جبل جرزيم فقط ، والخلاف الآخر هو اننا لا نؤمن الا بالعهد القديم من التوراة ، وهو الاسفار الخمسة الأولي من التوراة التي نزلت على سيدنا موسى ، والتي كتبت من قبل الكاهن ناجى بن خضر بن هارون اخي سيدنا موسى ، وان هذه التوراة مكتوبة على جلد ماعز ومحفوظة لدينا ، وقد كتبت بعد موت سيدنا موسى بثلاثة عشر عاما .

اما اليهود فيؤمنون بأسفار اخرى غير الاسفار الخمسة التي نؤمن نحن بها .

والسامريون جميعا يتكلمون العربية بلهجتها النابلسية المحببة ، اما لغتهم السامرية فيستعملونها في طقوسهم الدينية . والسامريون لا يتزوجون الا من بعضهم البعض . والسامريات يسفرن على السامريين الا انهن يتحجبن عن غيرهم من الرجال . وهم لا يأكلون من اكلات غيرهم . ولا يجمعون بين اكل اللحم واللبن في وجبة واحدة ، ومن ضمن عاداتهم التي تصل إلى مستوى القانون انهم يحتمون ختان (طهور) الطفل في اليوم الثامن لولادته ، وتقضي شريعتهم باعدام الطفل اذا لم يتم ختانه في اليوم الثامن ، ولا يمكن قبول اي عذر للتاخير !!

وابناء الطائفة السامرية يحملون جوازات السفر الأردنية حتى هذا اليوم ، وقد نعموا بحرية العبادة وحرية التنقل وجميع الحريات التي كفلها لهم الدستور العربي الأردني قبيل الاحتلال الصهيوني لنابلس عام ١٩٦٧ .



جانب من جبل جرزيم يحتضن جزءا من نابلس.



نابلس ... والربيع ... والخير الدائم



مدرسة خضوري الثانوية ـ اول مدرسة زراعية في فلسطين .

● الصابون النابلسي والكنافة النابلسية والزيت النابلسي أسماء معروفة في الوطن العربي

● إن جبل النار يلتهب .. وسيبقى ملتهباً حتى يصدح التاريخ بأغنية العودة الظافرة

اما اليوم فقطعا لا ينعمون بتلك الحريات ، لانهم يشعرون في ظل الاحتلال بانهم في مركز ضعيف من قبل خصمهم الديني والقومي على السواء .

شهرة واسعة

لمدينة نابلس شهرة فائقة في صناعة « الصابون النابلسي » الذي يمتاز بجودته العالمية وباعتماده كلية على زيت الزيتون النقي في تركيبه ، وتطلبه جميع الاسواق في الشرق الاوسط . ويوجد حاليا بنابلس ما يزيد عن ٦٥ مصنعا له . ويرجع عهد اكثرها إلى القرن التاسع عشر .

وقد عمدت سلطات الكيان الصهيوني الى سرقة هذه العلامة التجارية المشهورة واصبحت تسوق الصابون النابلسي في كثير من دول العالم ، وتزهو بان هذه نماذج من مهاراتها الفنية ، تماما كما سرقت التراث الشعبي الفلسطيني برمته ونسبته الى ما تسميه تراثها الشعبي.

ان شهرة نابلس بالزيت والزيتون والصابون قديمة العهد ، وقد كتب الانصاري الدمشقي في القرن الرابع عشر الميلادي « لقد خص الله تعالى نابلس بالشجرة المباركة وهي الزيتون ، ويحمل زيتها إلى الديار المصرية والشامية والى الحجاز والبراري مع العربان ، ويحمل إلى جامع بني امية منه في كل سنة الف قنطار بالدمشقي ، ويعمل منه الصابون الراقي ، ثم يحمل إلى سائر البلاد التي ذكرنا ، وإلى جزائر البحر الرومي » .

وبسبب جودة المراعي في منطقة نابلس جادت بها صناعة الجبن والسمن البلدي الممتاز ، وبسبب مهارة وذوق اهلها تفوقوا وتفردوا في صناعة الكنافة النابلسية ذات الشهرة الواسعة .

وهكذا .. أصبح الصابون النابلسي ، والزيت النابلسي ، والكنافة النابلسية اسماء تجارية معروفة في كافة ارجاء الوطن العربي .

واصبح « جبل النار » علامة مميزة لصلابة النابلسيين في الحق ، ورمز لنضالهم الدءوب ضد الغاصبين والغزاة

واصبحت جامعة النجاح بنابلس ــ كما كانت الكلية من قبل ــ منارة اشعاع للعلم والوطنية . وتمتاز نابلس ايضا بعراقة عائلاتها ذات الجذور البعيدة ، والاصالة القومية .. والدينية .. ونذكر من هذه العائلات : طوقان ــ عبد الهادي ــ الشكعة ــ النابلسي ــ أبو حجله ــ العمد ــ الخالدي ــ المصري ــ النمر ــ كنعان ــ الظاهر ، وهناك عائلات اخرى عريقة ولكن لا تسعفنا الذاكرة ايضا لاستحضار اسمائها !

جبل النار والاحتلال

ان لجبل النار من اسمه النصيب الوافر ، فاهله الذين صدوا جحافل نابليون ، وهزئوا بجيش الجزار ــ وسخروا من قوات ابراهيم باشا .. ودكوا قوات بريطانيا يسطرون اليوم ملاحم نضالية مشرقة في سفر البطولة العربية ضد « جيش الدفاع الاسرائيلي » ويتحدون بصلابتهم كل مشاريع الاستيطان الصهيوني .. وسرقة الأراضي العربية ، ان اهالي « جبل النار » قد بروا بقسم التضحية الذي أخذوه على أنفسهم .. وها هي قضية رئيس بلدية نابلس « بسام الشكعة » تحتل مكانا بارزا على الساحة العربية والدولية .

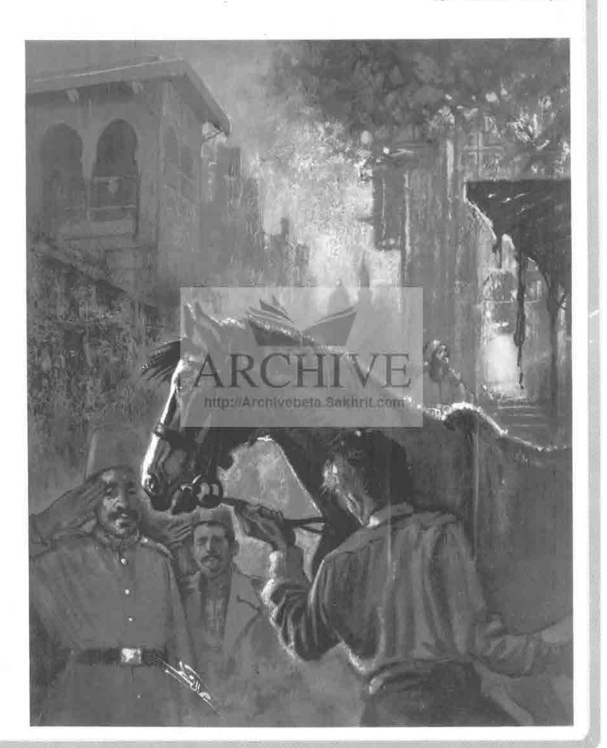
وها هي دولة العدوان اليهودية ترضخ صاغرة الجبين امام صلابة اهلنا في الأرض المحتلة ، وتتراجع عن قرارها بابعاده من وطنه .. وتستقبله نابلس استقبال الظافرين .

ان جبل النار يلتهب ، وسيبقى ملتهبا حتى تعيد الأرض من تحت اقدام الصهاينة ، ويصدح التاريخ باغنية العودة الظافرة إلى فلسطين .

نبيل خالد الأغا



بعض جبال فلسطين .. عنوان انفة وكبرياء


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأخيراً أصبح بطلاً

د. حسين مؤنس

عندما وقعت هذه الحكاية كنت أعمل مدرسا . كنت في مستهل معركتي مع الحياة ، وكنت اقطن في شقة صغيرة في الطابق الارضي من دار متواضعة في شارع صغير متفرع من شارع المنيل بالقاهرة . لم تكن القاهرة قد عرفت زحام اليوم ، وكنت تستطيع التمتع فيها بحياة هادئة معقولة حتى في شقة في الدور الارضي من ذلك الحي الصاخب بالحركة اليوم حتى انك لا تستطيع النوم فيه وان كنت في الدور العاشر من عمارة في المعادي .

وكانت الميزة الكبرى لهذا المسكن انه كان له مدخل خاص به في نهاية ممر طويل . وكانت متعتي أن أغلق الباب الخشبي المهلهل لذلك الممر بعد العشاء فأحس انني أسكن فيلا خاصة بي ، فان هذا المدخل الخاص كان يجعلني بعيدا عن كل سكان البيت وأولادهم الذين كانوا يفوقون العفاريت كثرة وشقاوة .

وفي اليوم الذي بدأت فيه الحكاية كنت اطل من نافذتي على الممر بعد المغيب . كنت متعبا جدا ، فقد كان اليوم في المدرسة حافل بالدروس في المدرسة ، ثم أعطيت ثلاثة دروس خصوصية لثلاثة أولاد في غاية الغباء والنفور من كل ما يقرأ ويكتب .

وفجأة ، والنعاس يملؤ عيني ورأسي حدث ما لم يكن لي في حسبان ..

سمعت ضجة هائلة . خيل لي أن سيارة ارتطمت بشيء ، وتصايح الناس ، ثم تعالى ضجيج الناس من بعيد ، وسمعت أصواتا تصيح : « حوش يا جدع الحصان ! فك وهرب .. دخل من هنا ، من هذه الحارة ! ثم اختلطت الاصوات وتزايد الضجيج ولم اعد افهم شيئا .

بعد لحظات خيل الي انني أسمع وقع جري حصان . كانت ضربات اقدامه تقترب ويعلو صوتها . ثم رأيته مع أن الظلام كان قد هبط ثم ريعت نفسي وأنا أراه يدخل ممر مسكني ويضطرب ويصهل فيه ، لا أدري ما الذي جعلني أجري وأقفز من نافذة تطل على الشارع . ثم أسرعت فأغلقت الباب الخشبي لمدخل الممر . ثم نظرت فاذا عربة يد مركونة الى جانب جدار البيت ، فدفعتها نحو الباب الخشبي لأحققه . أدركت ان الناس ولا شك سيتبعون الحصان فخفت عليه منهم . أحسست انه هارب من ظلم كبير . طول عمري أحب الخيل ولهذا كنت أفهمها . كان الحصان قد كف عن الاضطراب داخل الممر وسكن تنفسه وأصبح عاديا . عدت الى بيتي من نفس النافذة .

ونظرت من النافذة المطلة على الممر في حذر . لم اكن أريد أن أخيف هذا المسكين . كان ظهره في متناول يدي . بكل حذر مددت يدي ولمسته فنفر وعاد اليه الخوف وتعالى تنفسه .. جعلت أمر على ظهره بيدي في خفة مرة بعد مرة . هذه الهدهدة تطمئن الخيل . بعد قليل كانت يدي تمر على ظهره وصوتي يهدئه : لا تخف يا بدر .. لا تخف .. لا تخف .. أنا معك يا بدر .. لا أدري كيف جرى اسم بدر على لساني . كان اسم حصان لي في أرضنا في القرية .

شيئا فشيئا اطمئن الي الحصان . ودار في هدوء لكي يقترب مني بوجهه ويعطيني رقبته لأمر عليها بيدي . ان الخيل حيوانات عاطفية جدا . انها مرهفة الاحساس ويسرها ان تمر بيدك في رفق على رقبتها وجانبي وجهها . كلما طال الوقت اقترب بوجهه مني فمددت يدي على جبهته وانا أكلمه وأداعب غرته . كان شعره ناعما كالحرير . هذا حصان أصيل ، ماذا جرى له يا ترى؟

وأقبل الناس من بعيد باحثين عن الحصان وتعالى صياحهم . لم ينفر ولا خاف بل لعله لم يسمع لهم صوتا . هكذا الخيل اذا وجدت من تأنس اليه لم تعد تخاف شيئا . كان يرفع رأسه ويهزه . تلك علامة طيبة . انه مسرور . بعد أن مضى الناس دخلت أبحث عن طعام له . لحسن الحظ كان عندي في المطبخ خستان . أتيته بهما وناولته واحدة فالتهمها التهاما . المسكين كان جائعا جدا . أطعمته الثانية . ثم مضيت فملأت جردل ماء، وفتحت باب مسكني وأنا أناديه باسمه وأكلمه . الان هو يعرفني بصوتي ولا يفزع ، ووضعت جردل الماء فشرب كثيرا جدا وأنا أربت ظهره وأمر بيدي على رقبته واكلمه . الان هو يقترب مني ويحك وجهه في كتفي .. أصبح حصاني . لابد للحصان من صاحب حنون حتى يستطيع الحياة .

شيئا فشيئا أخذ النوم يستولي عليه . أكل وشرب ووجد مأوى وصاحبا فلم يبق الا أن ينام ، اخذت أجر رأسه الى الارض لكي يرقد ويغرق في النوم . الخيل تنام واقفة ولكنها لا تغرق في النوم الا اذا جلست على الارض . أخيرا جلس وأغرق في النوم وأنا أمر بيدي على ظهره وأخاطبه .

وتركته ودخلت مسكني . تركت الباب مفتوحا . لا يمكن أن يدخل انسان وهذا الحصان هناك .. تركت

النافذة مفتوحة أيضا لكي أنظر الى « بدر » بين لحظة وأخرى ·

وتعشيت وغسلت نفسي وجلست أصحح كراريسي وقلبي مشغول بالحصان · ثم صليت المغرب والعشاء

وأويت الى فراشي بعد أن اطمأننت على الحصان فوجدته في سابع نومة ولكنني أنا لم أنم ··

عندما رقدت في فراشي تبينت خطورة ما أدخلت نفسي فيه ··

ماذا أعمل بهذا الحصان ؟

انني مدرس متواضع ، أسكن في شقة لا تزيد على سكن البواب الا قليلا · وهذا الحصان يحتاج الى مكان يعيش فيه ، ويحتاج الى عناية ، ثم انه ليس ملكي ، ولا أعلم غدا انسانا يدعى انني سرقته ، ثم ماذا أعمل به الغد وبعد الغد ؟ انه الان نائم سعيدا ، فقد وجد مأوى وصاحبا ، ولكنه لا يعلم ان ذلك المأوى سيغلق دونه من الغد ، وان صاحبه الجديد أحوج الى من يعينه على متاعب الحياة من الحصان نفسه ·



وظللت ساكنا في فراشي أقلب الامر على نواحيه ولا أجد حلا · وقد تعلقت نفسي بهذا المخلوق البائس الذي يغلب على ظني انه لم يجد قلبا حنونا الا عندما ألقت به الاقدار في حارتي الضيقة ·

وتردد في سمعي صوت مؤذن الفجر ، فنهضت وصليت ، وعندما رفعت رأسي اتجهت الى النافذة فرأيت « بدرا » متمددا على الارض غارقا في النوم ، فقلت في نفسي : والله لا أسلمنك الى الشقاء ثانيا أبدا وليكن ما يكون ··

وعدت الى فراشي ، فلم يكد ظهري يمسه حتى جاءني الفرج وهتفت : أذهب به الى خالي اللواء محرم ··

وعلى هذه الفكرة نمت بعمق والتقيت في أعماق الاحلام بصاحبي بدر ، ذلك المخلوق الشقي الذي أراد لي الحظ السعيد أن أستخلصه من الشقاء ··

وكان خالي « محرم » باشا هذا ضابطا كبيرا في الجيش محالا على المعاش ، وكان يسكن في فيلا ذات حديقة واسعة في حي الزيتون · وكانت زوجته سيادات هانم سيدة من أكرم من رأيت من النساء · وكانا يعيشان وحيدين في الحياة ، فان ربك الكريم ذا الرحمة لم يرزقهما ولدا وبعد احالته على المعاش قل زواره ، وكنت كثير التردد عليه لانه كان رجلا طيبا كريما صافي النفس ، وكان يحب الكتب والتاريخ ، فكنت أقضي يوم الجمعة عنده مرة أو مرتين في الشهر ، لانعم بعطف سيادات هانم واطعم من ثمرات عبقريتها في الطهو بما لذ وطاب ، ولم يكن يعكر صفو زياراتي له الا انه كان يصر على أن يقرأ علي شعره ، وهو فيما أحس أسوأ شعر في الدنيا : محطم مكسر وسطحي جاف مثل شعر الالفيات ، ومع ذلك فقد كان يزعم ان ضباط مصر لم ينبغ منهم في الشعر الا اثنان : هو ومحمود سامي البارودي، وكنت أداعبه واقول : وحافظ ابراهيم،

فكان يهز رأسه ويقول : فالصو ! اسمع مني هذه الابيات ويأخذ في انشاد أبيات له قالها في مدح اللواء عبد المهيمن باشا بركات البهنساوي قائد القوة المصرية في القضارف بالسودان عندما نقله الانجليز من القضارف الى كردفان عقابا له على وطنيته التي لم يسمع بها أحد وجهاده للانجليز بقصيدة يتيمة عصماء قالها في مدح السلطان عبد الحميد عدو الاستعمار الانجليزي اللدود – في رأيه ·

واستقر رأيي على أن أعتذر عن عدم الذهاب الى المدرسة من الغد لكي

اظل احرس بدرا مخافة أن يسرق أو يصيبه أحد بأذى ، وفي المساء أمتطي صهوته وأمضي به الى الزيتون ٠

وقبل أن أظفر بساعتين من النوم صحوت على طرق عنيف على الباب ٠ كانت الساعة السابعة صباحا ، وفتحت الباب فاذا بي أفاجأ بوجه من أقبح وجوه الخلق : وجه المعلم مبتولي أبو حجر ٠ ودون تحية أو سلام اندفع يقول :

ـ جرى ايه ياسيدنا الافندي ٠٠٠ تريد أن تقلب البيت اصطبلا ٠٠٠ مش كفاية البهايم الذين يسكنون بيتي حتى تضيف اليهم واحدا من أقاربك !

ـ يا معلم ماذا جرى ٠٠ اما تسأل أولا قبل أن تغضب ٠٠

فصاح :

ـ أفهم ايه يا حضرة الخوجه ٠٠ انت كلك لا تساوي ثلاثه تعريفه ، وأنا آويك في هذه المخروبة لوجه الله ٠٠

ـ يا معلم ، انني أدفع ايجارا ٠٠

ـ ايجارا ٠٠ أي ايجار ، جنيه ونصف عمياوان ! ثم تأتينا بحصان ٠٠ من أين سرقته ؟

ـ وهل أنا لص يا معلم متبولي؟

لص أم غير لص ٠٠ لا أدري ٠٠ لك ثلاث سنوات تدرس للولد ابني ومع ذلك فها هو راقد مبلط في الخط في سنة ثانية ابتدائي ، ثم تقول انك خوجه ٠٠

ثم سكت قليلا وعاد يقول :

ـ اسمع ٠٠ هذا الحمار الذي تسميه حصانا يخرج من البيت الآن ٠٠

ـ انه حصان خالي اللواء محرم باشا ٠٠ تركه لي أقاربنا ، وفي المغرب سأمضي به اليه ٠٠

ـ ولا كلمة ! قلت يخرج يعني يخرج أو ألقي بك وبه في الطريق٠

ثم اقترب مني وهمس في أذني وهو يبتسم ابتسامته الشيطانية ٠٠

ـ عندي فكرة ٠٠ أتعرف المعلم حشيش ٠٠٠

ـ أي معلم حشيش ٠٠

ـ الجزار يابني آدم ٠٠ أكبر جزار في المنيل ٠٠ انه ـ بيني وبينك ـ يذبح الخيل التي يقررون ضربها بالرصاص ٠٠ يشتريها من الجنود المكلفين بضربها ويذبحها في سلخانته الخصوصية ويبيعها سرا لأمثالك من عديمي العافية الذين يشتاقون الى النساء ويقعد عجزهم عن بلوغ ما يريدون من المتعة ٠٠٠ ما رأيك في أن نبيعه اياه بعشرين جنيها : لك عشرة ولي عشرة ٠٠

ـ قلت لك انه حصان خالي محرم باشا ٠٠

ـ باشا ٠٠ انت لك خال من الباشاوات ٠٠ قل شاويش بنصف شريط ، قل خفير ترع ٠٠ ومع ذلك فحتى هذا لا أصدقك فيه ٠

ـ لا داعي لهذا كله يا معلم ٠٠ في المساء سأذهب به الى بيت خالي سواء أكان لواء أو جاويشا ٠

ـ طيب يا حضرة الخوجه الكحيان الذي تحول الى سايس خيل في آخر الزمان ٠٠ بعد العشاء سآتي مع المعلم متبولي ، فاذا وجدنا حمارك هذا قائما أن نأخذه الى المسلخ أو نجره الى قسم البوليس ٠

ولم يكد المعلم يخرج حتى أسرعت فخرجت من البيت ٠ كان بدر لازال مستلقيا مستغرقا في نومه ، واشتريت له برسيما وخسا وعدت مسرعا فوجدته قد نهض على قدميه ، وما أن رآني حتى أقبل نحوي يحك رأسه في ذراعي ويمد نحوي عنقه لكي



أمسحه بيدي ٠ ما أرق الخيل وأطيب قلوبها ! هذه المخلوقات الطيبة الجميلة ٠٠ ثم قدمت له الطعام وأتيته بماء جديد ، وبينما كان يأكل كنت أغسل جسده بالماء بفرشاة قديمة كانت عندي ٠ وقد استسلم لي كأنه طفل ٠ وغسلته وجففته ثم لمته ونشفت شعره حتى بدا قامتا حقا ، وأحس هو بجمال هيأته فارتدت اليه كرامته كحصان ، ومضى يأتي بتلك الحركات اللطيفة التي يعبر بها الحصان عن اعتزازه بجماله ٠

وما كادت الشمس تغرب حتى امطتيت صهوته وأمسكته بلجام من حبال ، ووضعت على ظهره خيشتين بصفة سرج أحكمت ربطه بما كان عليه من سيور الجلد ٠٠

ومن يعرف القاهرة يتصور دون جهد متاعبي في هذه الرحلة الطويلة من المنيل الى ميدان السكة الحديد (باب الحديد) عن طريق شارع القصر العيني ثم شارع عماد الدين، ومن ميدان باب الحديد اكتشفت أرضا زراعية من شبرا كانت تصل بين القاهرة وحدائق القبة ٠ ومن هناك الى الزيتون ٠ كان بدر فياضا بالحيوية ٠ كان يريد أن يعدو ولكني كنت أمسكه بلجامه حتى لا أسقط من عليه ٠ في بعض مراحل الطريق كنت أنزل وأجره بيدي ، العجيب أن أحدا في الطريق ٠ عدا بعض الصبيان لم يستوقفه هذا المشهد ٠ عجيب أهل مصر : لا يدهشهم شيء ٠ كل شيء عندهم عادي ٠

وصلت دار خالي حوالي الثالثة مساء ٠ اعترضني بعض خفراء الليل فكنت أقول لهم أن هذا حصان اللواء محرم باشا ٠ لم يكونوا يعرفون من هو ، ولكنه على أي حال لواء وباشا ٠ وهذا عندهم يكفي حتى ان واحدا منهم وقف « زنهار » وضرب تعظيما لحصان سعادة الباشا اللواء ٠٠

وحدث ما توقعت ٠ كانت غرفة نوم خالي مضاءة ٠ هذا الرجل ينام بعد العشاء مباشرة ويصحو في الثالثة صباحا فيمضي الى غرفة مكتبه ويتوضأ ويجلس يقرأ القرآن في انتظار صلاة الفجر ٠

وأخذت بدرا ودرت حتى صرت بازاء شباك غرفة خالي ، فناديته

متني وثلاث ورباع حتى تنبه ، ونهض وفتح النافذة . وما سمع صوتي حتى ذهل وأجفل ، فما يأتي بي اليه في هذه الساعة الا أمر غير سار .. ثم أسرع الى الباب وفتح لي ، وما رأى بدرا حتى أجفل وقال :

ـ ما هذا يا فلان ؟

ـ هدية لك !

ـ هدية لي ..؟ حصان ؟

ـ نعم انه حصان هدية لك .. ونظر الى بدر في خوف فقلت له :

ـ لا تخف يا خالي .. هذا حصان جميـــل ولطيف جـــدا وستحبه .. افتـــح لي أولا فاننا ـ أنا وهو ـ هالكان من التعب .

وفتح بحذر بالغ ووقف بعيدا ، ومضيت بالحصان الى شجرة جميـــز كبـيرة في حديقـــة البيت وربطت حبله فيها ، وجعلت أربت على عنقه وأمسح وجهه حتى هدأ روعه وسكن ، ثم نام واقفا ..

وأغلقنا باب الحديقـــة ، ومضيت مع خالي الى غرفته ، وقصصت عليه القصة كلها فلم تعجبـــه ، ومضيت أشجعه على قبول الحصان فذكرته بأنه ضابط فرسان ، وانه فارس مغـــوار طالمـــا كسب المباريات ، وقلت لـــه ان الحصان سيؤكد أن الجيش المصري لم يخرج الا شـــاعرين : البارودي ومحرم باشا عبد السلام ، فكلاهمـــا فارس وكلاهما شاعر ، أمـــا حافظ ابراهيم فهو فالصو .. أتعرف لمـــاذا ياخالي محرم ؟

ـلـــاذا ؟

ـ لانه ليس فارســـا ، أما أنت والبارودي ففرســـان في الشـــعر والميدان واطمأن الضـــابط الشـــاعر العجوز ومضينا معا فصلينا الفجر ، ثم أويت الى فراشي ـ فقد كانت لي غرفـــة فـــي البيت ـ واغـــرقت في النوم ..

واستيقظنا في السابعة صباحا على استغاثة سيادات هانم زوجة خالي :

ـ محرم .. يا باشا .. الحقني . حصان ميت في الحديقة ..

ـ لا تخافي يا سيادات هانم ... انه ليس ميتا .. انه نائم .

وقصصت عليها القصة ، ولكنهـــا لم تسترح لها ..

ظلت خائفة من الحصان ..

عندما صحا بدر أخذت خالي اليه ومضينا تربت عنقه وظهره ، وأنس الحصان له ، وطرب خالي لانه أحس أن هذا الحصان سيعيده فارسا كمـــا كان ، وأرسل خادمه فاشترى فـــولا وبرسيما لبدر ، وأكل بدر .. وسعد خالي وهو يحفن للحصان حفنة الفول ويمد حفنتيه لبدر فيأكل ، ويلتفت الي خالي محرم باشا ويقول :

ـ ألم أقل لك انني فارس ... أتعرف ما علامة الفارس الحق ؟ ان الخيل تحبه ! ألم يقـــل المتنبي : « الخيل والليل والبيداء تعرفني » فهذه هي الخيل تعرفني وأنا ضابط فارس وشـــاعر ! حقـــا ان الجيش المصري لم ينجب الا شاعرين .. أنا والبارودي .

ولم ينقضي اليوم حتى كان بدر قد أصـــبح أحب شيء لخالي ..

وانست له سيادات هانم وأحبتـــه وصارت تربت عنقه وتقبل وجهـــه والزوجان الماقران وجدا في النهاية ابنا : الحصان بدرا ..

وعدت بعد اسبوع فرأيت العجب!

أصبح بدر قرة عين اللواء محـــرم باشا وسيادات هانم ..

استخرج اللـــواء سرج حصـــانه الجلدي المبطن بالمخمـــل ، واستخرج عدة الفروسية بما فيها بذلة اللواء والسيف !

ومضى يركب الحصان ويخب بـــه حينا ويجري حينا وسيفه في يـــده وبذلته العسكرية كاملة عليه ..

وزوجة خالي سيادات هانم عشقت بدرا عشقا ..

وفي الحق لقد أصبح بدر بفضل عنايتها حصانا أصيلا .

ارتدت اليه عافيته ولمع جلده ونعم شـــعر غرته . وكان في وجهـــه هلال أبيض جميل ، وكان محجـــلا



برجل واحدة فعجله بالثانية . لف على أسفل قادمته اليسرى شاشا أبيض ..

وكما أزهر بدر فكذلك أزهر خالي وارتد الى شبابه ..

لقد أحالوه الى المعاش فجاء بدر ورده الى الخدمة العاملة ، في حديقة بيته فقط ..

وسعد بدر وسعد خالي وسعدت سيادات هانم .

أتدري كيف كانت نهاية بدر ..

انها أعجب ما في هذه الحكاية ..

في سنة ١٩٣٧ تولت حكم مصر حكومة كرهها الناس . كانت حكومة موالية للانجليز والقصر .

وانقلبت مصر نارا ..

وخرج الطلاب من المدارس متظاهرين هاتفين بسقوط الظلم والاستبداد وبسقوط الوزارة ورئيسها ..

وثارت مدرسة الزيتون الثانوية، وخرج طلابها في مسيرة صاخبة الى حلمية الزيتون قاصدة القصر في حدائق القبه ..

وصدرت الاوامر لقوات الحرس الملكي بالتصدي للطلاب عند حلمية الزيتون والضرب في المليان بالرصاص محافظة على مولانا ..

وكان خالي محرم باشا يتنزه بجواده في الطريق بين الزيتون وحلمية الزيتون . كانت هناك حدائق ومزارع .

كان الرجل بكامل ملابسه العسكرية ، حتى سيفه كان في يده !

وأدركه التلاميذ واحاطوا به وهتفوا : يعيش محرم باشا ..

ومحرم باشا ازدهاه الفخر وتحركت في قلبه الوطنية .. فسار في المقدمة وحواليه التلاميذ بالاعلام ..

والفارس العجوز الذي لم يخض في حياته معركة خاضها ذلك اليوم ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧ .

وعند مدخل حلمية الزيتون كان الجنود بكامل السلاح في الانتظار . واندفع محرم باشا وبدر ومن خلفهما التلاميذ يهتفون : يسقط الاستعمار .. يسقط الظلم .. يحيا الدستور ..

وانطلقت الرصاصات تحصد الطلاب ..

وكر خالي وبدر واخترقا صفوف الحرس ..

وأصابهما الرصاص وخرا صريعين ..

وانتهت المذبحة ، ورجع الجند الى ثكناتهم مخلفين تسعة عشر قتيلا وعشرات الجرحى ..

ومن بين القتلى كان محرم باشا وبدرا ..

واليوم عندنا في الزيتون شارع يسمى شارع الشهيد محرم باشا بدر ..

لقد جمع الناس بين الضابط والفرس في شهادة واحدة ، فكلاهما مات في سبيل مصر وفي سبيل الحرية والدستور .

والحصان المسكين ، الذي كان صاحبه يذله ويستخدمه في تهريب الحشيش حتى ضبطه البوليس وفر وانطلق الحصان لاجئا الي ، مات مجاهدا في سبيل الحرية .

والضابط العجوز الذي كانت أعظم مفاخره قصيدة عرجاء غير عصماء قالها في مديح اللواء عبد المهيمن باشا بركات البهنساوي عندما نقله الانجليز - ظلما - من القضارف الى كردفان ، في السودان ، أصبح في النهاية بطلا من أبطال حرية مصر بفضل الحصان الطيب الشهيد بدر .

والشعب الذي يقدس الابطال وشهداءه أيا كانوا جمع بين الاثنين وكتب اسمهما على شارع واحد شارع اللواء الشهيد محرم باشا بدر ..

دكتور
حسين مؤنس

باختصار

اقوالهم ..

الفلاحون في قريتي تمر فوق رؤوسهم الطيور المهاجرة . اما هم فاقدامهم مثل عظام الموتى مغروزة في طين الارض . إذا بعدوا عنها ولو فركة كعب حصدت الغربة ارواحهم قبل ابدانهم . وإذا نعس احدهم فوق ظهر حماره فلا توهان لان الحمار اعرف منهم بالطريق بغير مهماز ولا لجام .

يحيى حقي

سيجموند فرويد لص .. وافكاره عتيقة مثل الدينا صور ..

فرانك سولواي
مؤلف كتاب «فرويد عالم العقل»

ان الفكر العربي لم يستطع أن يقنع سياسي هذه الامة المسكينة بابسط البديهيات .. فهم مازالوا يتجادلون بلا طائل حول دور المراة .. والحرية والديمقراطية .. وفوق كل شيء حول الوحدة العربية ..

سلمى الخضراء الجيوسي
الشاعرة والناقدة الفلسطينية

قررت ان ارفض لقب « اللورد » ولكن زوجتي صرخت في وجهي .. « انت مجنون كيف ترفض اللقب وانا تطلعت دائما لاكون بارونه » .. وطلبا لراحة البال قررت ان اقبل اللقب .

اللورد لورانس أوليفيه
الممثل الانجليزى العالمى

انا لمسة حنان . او لسعة افعى . ذلك يتوقف على الزمان والمكان والانسان .. انا كومة حجر .. ورماد .. وعدد من الكتب المطبوعة وامرأة ..

غادة السمان

« سفر الرؤيا الآن » .. يمكن ان يكون البداية او النهاية .. إنه عندما تصل إلى نقطة يجب أن تتحول بعدها إلى الجانب الآخر ..

المخرج العالمى فرنسيس كوبولا

النقد ليس الكشف عن خطايا الآخرين ولكنه يفترض معرفة المفكر بحدود مرحلته التاريخية .

المفكر السوري انطون مقدسى

زوجى طفل كبير .. مرح .. عصبى .. غيور جدا وطيب جدا وسبب فشل زواجه الاول انهم عاملوه كرجل عجوز ولن اكرر هذا الخطا .

يولاندا كوين
زوجة الممثل العالمى انتوني كوين

لم احس يوما انني انتمى إلى عالم النساء وحده ، انني انسانة . هكذا أعرف نفسى اما اللواتى هن نساء بكل ما في الكلمة من مفاهيمنا التقليدية فانا لا اعرفهن ولا حوار بيني وبينهن .

الكاتبة اللبنانية ديزى الامير

الثورة على شكل القصيدة بدعة كريهة .. القصيدة العمودية هي القصيدة الحقيقية .

الشاعر العوضى الوكيل

انني مومياء تسير على قدمين . اشبه فرعون بعث حيا . انني على يقين من كل شخص يحملق في وجهي . يهمس وراء ظهري ويراقبني من الخلف .. وينتظر سقوطي ..

من مذكرات الفنان الروسى
ديمترى شوستاكوفيتش

اميل حبيبى الساخر ابدا . في مواسم الانتخابات ياخذنى وهو الخطيب الذي لا يضاهى لاقرا له وللناس . سجل انا عربي إلى ان تمردت عليه وعليها وقلت له : لا انت سيف الدولة ولا انا المتنبى .

محمود درويش

لمن نكتب قصائد الرثاء ؟ والغزال .. وقاتل الغزال شريكان في الحزن الكبير .

نزار قبانى

حكاية خفيفة جدا

بقلم : بوريس نوتكين
ترجمة : عادل العامل

كم هو مخجل ، ان تعرف كل مادة الفصل ومع ذلك ترتعش لفكرة ان تكون هناك اسئلة اضافية . فكر كوليا بتروشكين بذلك مع نفسه وهو في طريقه لأداء امتحانه الفصلي الاخير . لو انه فقط يحصل على « ممتاز » في هذا الامتحان لاصبحت المرتبة الأعلى مضمونة . ولكن وا اسفاه . فان روزا اخميتوفنا مورسكا معروفة بانها بالكاد تعطى درجات عليا . فهي مولعة بطرح اسئلة اضافية تكفى لأن تفقد اي شخص صوابه . ولهذا كان الطلاب يكنونها ، فيما بينهم ، « الوردة الشائكة » ! سحب كوليا الرقم (٧) . فقد كان يعرف اجوبة الأسئلة عنه تماما . ولكن فجاة خطرت له فكرة مذهلة .

فقال راجيا في صوت خفيض :

ـ « اسمحي لي بان أؤدي اختبارا اخر » .

ـ « هيا ، ولكن لاتعول على درجة طيبة بعد هذا ! » .

وضع كوليا الرقم (٧) جانبا . وتصيد رقما اخر . وراسا ، قذف بالجواب ، بدون تردد .

قالت روزا اخميتوفنا :

ـ « ليس سيئا البتة . من المؤسف انك ابديت اضطرابا عند الرقم الاول الذي سحبته » .

ـ « عفوا ، ولكنني لم ابد اي اضطراب ابدا . فقط بدا لى ان الاسئلة عنه بسيطة جدا . تحققي بنفسك ! » .

وقبل ان يتمكن احد من إيقافه ، انطلق يشرح الرقم (٧) مغطيا السبورة بخطوط بيانية اكثر وبالحلول الصحيحة للمشكلات.. وباختصار ، فقد استعرض مرة اخرى معرفته السليمة .

كان الباب ينفتح تدريجيا اوسع فاوسع . وقد ساد من ورائه صمت تشوبه الرهبة . وكانت روزا اخميتوفنا ، ايضا ، تصغي بدون مقاطعة . وعندما انتهى كوليا ، تناولت السجل وكتبت مقابل اسمه الدرجة العليا .

عندما خرج كوليا ، كان شاحبا مثل الطباشير . فرمى اصدقاؤه بانفسهم عليه .

ـ « هل افرغت دماغك ؟ ماذا كنت تحاول اقتحامه هناك في الداخل ؟ » .

غمغم كوليا قائلا :

ـ « كانت تلك حركة سايكولوجية . فقد كان على أن اتجنب اسئلتها الاضافية ، مهما كلف الأمر ! » .

عن مجلة « سبوتنك »

باختصار

اقوالهم ..

الفلاحون في قريتي تمر فوق رؤوسهم الطيور المهاجرة . اما هم فاقدامهم مثل عظام الموتى مغروزة في طين الارض . إذا بعدوا عنها ولو فركة كعب حصدت الغربة ارواحهم قبل ابدانهم . وإذا نعس احدهم فوق ظهر حماره فلا توهان لان الحمار اعرف منهم بالطريق بغير مهماز ولا لجام .

يحيى حقي

سيجموند فرويد لص .. وافكاره عتيقة مثل الدينا صور ..

فرانك سولواي
مؤلف كتاب «فرويد عالم العقل»

ان الفكر العربي لم يستطع أن يقنع سياسي هذه الأمة المسكينة بابسط البديهيات .. فهم مازالوا يتجادلون بلا طائل حول دور المرأة .. والحرية والديمقراطية .. وفوق كل شيء حول الوحدة العربية ..

سلمى الخضراء الجيوسي
الشاعرة والناقدة الفلسطينية

قررت ان ارفض لقب « اللورد » ولكن زوجتي صرخت في وجهي .. « انت مجنون كيف ترفض اللقب وانا تطلعت دائما لاكون بارونه » .. وطلبا لراحة البال قررت ان اقبل اللقب .

اللورد لورانس أوليفيه
الممثل الانجليزي العالمي

انا لمسة حنان . او لسعة افعى . ذلك يتوقف على الزمان والمكان والانسان .. انا كومة حجر .. ورماد .. وعدد من الكتب المطبوعة وامرأة ..

غادة السمان

« سفر الرؤيا الآن » .. يمكن ان يكون البداية او النهاية .. إنه عندما تصل إلى نقطة يجب أن تتحول بعدها إلى الجانب الآخر ..

المخرج العالمي فرنسيس كوبولا

النقد ليس الكشف عن خطايا الآخرين ولكنه يفترض معرفة المفكر بحدود مرحلته التاريخية .

المفكر السوري انطون مقدسي

زوجي طفل كبير .. مرح .. عصبي .. غيور جدا وطيب جدا وسبب فشل زواجه الاول انهم عاملوه كرجل عجوز ولن اكرر هذا الخطا .

يولاندا كوين
زوجة الممثل العالمي انتوني كوين

لم احس يوما انني انتمي إلى عالم النساء وحده ، انني انسانة . هكذا اعرف نفسي اما اللواتي هن نساء بكل ما في الكلمة من مفاهيمنا التقليدية فانا لا اعرفهن ولا حوار بيني وبينهن .

الكاتبة اللبنانية ديزي الامير

الثورة على شكل القصيدة بدعة كريهة .. القصيدة العمودية هي القصيدة الحقيقية .

الشاعر العوضي الوكيل

انني مومياء تسير على قدمين . اشبه فرعون بعث حيا . انني على يقين من كل شخص يحملق في وجهي . يهمس وراء ظهري ويراقبني من الخلف .. وينتظر سقوطي ..

من مذكرات الفنان الروسي
ديمتري شوستاكوفيتش

امبل حبيبي الساحر ابدا . في مواسم الانتخابات ياخذني وهو الخطيب الذي لا يضاهى لاقرا له وللناس . سجل انا عربي إلى ان تمردت عليه وعليها وقلت له : لا انت سيف الدولة ولا انا المتنبي .

محمود درويش

لمن نكتب قصائد الرثاء ؟ والغزال .. وقاتل الغزال شريكان في الحزن الكبير .

نزار قباني

حركة سايكولوجية

حكاية خفيفة جدا

بقلم : بوريس نوتكين
ترجمة : عادل العامل

كم هو مخجل ، ان تعرف كل مادة الفصل ومع ذلك ترتعش لفكرة ان تكون هناك اسئلة اضافية . فكر كوليا بتروشكين بذلك مع نفسه وهو في طريقه لأداء امتحانه الفصلي الاخير . لو انه فقط يحصل على « ممتاز » في هذا الامتحان لاصبحت المرتبة الأعلى مضمونة . ولكن وا اسفاه . فان روزا اخميتوفنا مورسكا معروفة بانها بالكاد تعطي درجات عليا . فهي مولعة بطرح اسئلة اضافية تكفي لأن تفقد اي شخص صوابه . ولهذا كان الطلاب يكنونها ، فيما بينهم ، « الوردة الشائكة »! سحب كوليا الرقم (٧) . فقد كان يعرف اجوبة الاسئلة عنه تماما . ولكن فجاة خطرت له فكرة مذهلة .

فقال راجيا في صوت خفيض :

ــ « اسمحي لي بان أؤدي اختبارا اخر » .

ــ « هيا ، ولكن لاتعول على درجة طيبة بعد هذا ! » .

وضع كوليا الرقم (٧) جانبا . وتصيد رقما اخر . وراسا ، قذف بالجواب ، بدون تردد .

قالت روزا اخميتوفنا :

ــ « ليس سيئا البتة . من المؤسف انك ابديت اضطرابا عند الرقم الاول الذي سحبته » .

ــ « عفوا ، ولكنني لم ابد اي اضطراب ابدا . فقط بدا لي ان الاسئلة عنه بسيطة جدا . تحققي بنفسك ! » .

وقبل ان يتمكن احد من إيقافه ، انطلق يشرح الرقم (٧) مغطيا السبورة بخطوط بيانية اكثر وبالحلول الصحيحة للمشكلات.. وباختصار ، فقد استعرض مرة اخرى معرفته السليمة .

كان الباب ينفتح تدريجيا اوسع فاوسع . وقد ساد من ورائه صمت تشوبه الرهبة . وكانت روزا اخميتوفنا ، ايضا ، تصغي بدون مقاطعة . وعندما انتهى كوليا ، تناولت السجل وكتبت مقابل اسمه الدرجة العليا .

عندما خرج كوليا ، كان شاحبا مثل الطباشير . فرمى اصدقاؤه بانفسهم عليه .

ــ « هل افرغت دماغك ؟ ماذا كنت تحاول اقتحامه هناك في الداخل ؟ » .

غمغم كوليا قائلا :

ــ « كانت تلك حركة سايكولوجية . فقد كان على ان اتجنب اسئلتها الاضافية ، مهما كلف الأمر ! » .

عن مجلة « سبوتنك »

أبو المعاطي أبو النجا

المسرح الكويتي بين الخشية والرجاء

- معايشة أمينة وصادقة للحركة المسرحية في الكويت بمعناها الشامل
- دراستان مطولتان: الأولى عن بداية المسرح .. والثانية دراسة مقارنة
- "مهزلة في مهزلة" عنوان أول نص مسرحي كويتي عمره ٣١ عاما

هذا الكتاب شهادة « عن الحركة المسرحية في الكويت » ، ولكى نتعرف على قيمة هذه الشهادة ووزنها ، فقد يكون من الملائم ان نشير إلى علاقة المؤلف بالحركة الادبية والفكرية في الكويت .

فالدكتور / محمد حسن عبد الله استاذ النقد الادبى في جامعة الكويت هو صاحب كتاب « الحركة الادبية والفكرية في الكويت الصادر في عام ١٩٧٣ » ، وكتاب « ديوان الشعر الكويتى » (اختيار وتقديم) الصادر في سنة ١٩٧٤ ، والصحافة الكويتية في ربع قرن (كشاف تحليلى) سنة ١٩٧٤ ، وكتاب « الحركة المسرحية في الكويت » (توثيقى تحليلى) سنة ١٩٧٦ ، واخيرا هذا الكتاب الذي نعرض له الآن عن « المسرح الكويتى بين الخشية والرجاء » .... سنة ١٩٧٨ م .

وقد يلاحظ القارىء ان اكثر هذه الكتب قد وجدت كبذور جنينية في الكتاب الاول ثم نمت واستقلت في كتب منفردة ، وانها في حركة نموها هذه إنما كانت تعكس نمو هذه الظواهر في واقع الحياة الثقافية والادبية في الكويت وتعكس في نفس الوقت اهتمام الكاتب بهذه الظواهر ومبادرته للتعبير عن مغزى هذا النمو واتجاهاته واساليبه .

كان لا بد اذن من هذه المقدمة قبل ان نعود إلى كتاب « المسرح الكويتى بين الخشية والرجاء » نقلب في صفحاته ، ونتعرف عليه منهجا وفكرا واسلوبا لندرك ليس فقط اهمية هذه الشهادة بل لنتفهم اكثر طبيعة المنهج والاسلوب لهذا الكتاب ..

نتاج تجربة ومعايشة

لم يجلس المؤلف على مكتبه عاقدا العزم على وضع كتابه هذا ، وربما كانت المسالة انه جلس يقلب في مجموعة مقالاته التي توفرت لديه مما كتبه عن قضايا المسرح في الكويت في السنوات الاخيرة في الصحف والمجلات ، وعن العروض المسرحية التي شاهدها ، ففوجىء (مفاجاة غير كاملة) بان ما لديه منها يؤلف كتابا متلبسا قدمها الى المطبعة ، وابادر فاسجل ان هذه الطريقة هي التي تميز هذا الكتاب وتمنحه طابعه الخاص ، فهو يحقق معايشة امينة وصادقة للحركة المسرحية في الكويت بمعناها الشامل ، فهو ليس دراسة في فن المسرح ، وليس مجرد نقد او عروض مسرحية بل هو ثمرة لهذه المعايشة الحارة للحركة المسرحية في الكويت يناقش أوضاع الفرق المسرحية من مختلف الجوانب ، ويتابع نمو هذه الفرق وازدهارها او انكسارها ويحلل الأوضاع الاجتماعية المؤثرة في هذا الازدهار او الانكسار ، يفعل ذلك بقدر كبير من الجراة والمحبة التي تستند إلى رصيد علاقته بالحركة الادبية كلها ، فهو واحد منها ، يعتب ويغضب ويتحمس ويتراجع عن بعض ارائه حين تثبت التجربة خلال الزمن ان بعض مخاوفه لم يكن في موضعه .. وهو يتوجه بنقده للمؤلف والمخرج والممثل ومصمم الديكور وواضع الموسيقى التصويرية ... انه نوع من الكتب الذي يعكس بصدق الحركة الخاصة للواقع والعلاقة الخاصة للمؤلف بهذا الواقع وما يعترى كليهما من تطور ..

دراستان مطولتان

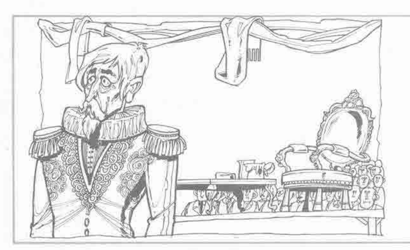
يضم الكتاب دراستين مطولتين : الاولى في بدايته ، وهى عن « المسرح الكويتي بين الخشية والرجاء » ، وقد اضاف إليها بعد ثلاث سنوات من نشرها تعقيبا ضمنه ملاحظاته الجديدة التي تراجع فيها عن بعض تحفظاته ومخاوفه تعقيبا ضمنه ملاحظاته الجديدة التي تراجع فيها عن بعض تحفظاته ومخاوفه في ضوء التطورات التي حدثت للمسرح الكويتى خلال هذه الفترة .

والثانية في نهاية الكتاب وهى دراسة مقارنة عن « الحركة المسرحية في الكويت والبحرين » .

وبين هاتين الدراستين ، تضمن الكتاب عددا من المقالات تتناول بالنقد والتحليل اهم العروض المسرحية التي قدمت على المسرح الكويتى في السنوات الاخيرة .

الحركة المسرحية في الكويت

في الدراسة الاولى التى يعتبرها المؤلف : وقفة مطلوبة مع الحركة المسرحية فى الكويت » ، بعد مرور ربع قرن على كتابة اول نص مسرحى كويتى وهو « مهزلة فى مهزلة » مسرحية شعرية لاحمد العدوانى سنة ١٩٤٨ . وبعد انتهاء عشر سنوات على اعتبار الفرق المسرحية جمعيات من ذات النفع العام تستحق معونة الدولة ماديا وادبيا ، وبعد نمو هذه الفرق من فرقة او اثنتين الى ستة فرق ... لانجد المؤلف شديد السعادة بهذا النمو ، واذا كانت النظرة العابرة يمكن ان ترى فى هذا النمو الكمى مظهرا من مظاهر الرواج الفنى فان الرفيق القديم للحركة المسرحية فى الكويت لايرى هذا الراى ، فالفرق الجديدة لم تظهر لتلبى حاجات متنامية لدى جمهور المسرح فى الكويت او لتعبر عن رؤية جديدة لمؤلف جديد أو مخرج مبتكر (صحيح ان ذلك حدث مرة حين ظهرت فرقة مسرح الخليج العربى التى قدمت لمنطقة الخليج وللعالم العربى صقر الرشود مخرجا متميزا ، وعبد العزيز السريع مؤلفا جادا رصينا) الا ان بقية الفرق ظهرت نتيجة انسلاخ أعضاء من هنا ومن هناك راحو يتجمعون فى فرق جديدة لاسباب لاتعكس تطورا او نموا ، فالجمهور المشاهد فى الكويت بكثافته وثقافته المسرحية تكاد تكفية فرقة او فرقتان ، والعروض التى قدمتها الفرق الست على مدار عام واحد ، والتى تقترب من المائة عرض يمكن



ان تقوم بها فرقة واحدة متوسطة الامكانات ... واغلب هذه العروض يدور فى فلك الهزل والاضحاك ، ويقدم المشكلات ذات الطابع المحلى بروح تفتقر الى الجراة والشمول والعمق الانسانى ، وتحرص على استرضاء المشاهد ، وعدم مواجهته بما قد يصدم قيمه المحافظة ، واذا حدث ذلك احيانا فانه يحدث بطريقة المصالحة والحلول الوسطى المريحة لكل الاطراف ، وفى كلمة فان المؤلف يقرر انك لن تظفر بالكثير اذا حاولت ان تبحث فى اغلب هذه العروض عن الصورة الحقيقية للكويت فى مسرحها (باستثناء نقطة الضوء الوحيدة ممثلة فى عبد العزيز السريع وصقر الرشود) .

تساؤلات اساسية

وينتهى المؤلف الى الشعور بان هناك خللا ما فى اوضاع المسرح الكويتى هل هو فى مجتمع الكويت ذاته ؟

فى درجة تقبله للقضايا الجادة التى يجب ان يتطرق اليها الكاتب المسرحى ؟ هل هو فى انطواء هذا المجتمع على ذاته وسط مختلف الجنسيات الوافدة للعمل لبعض الوقت او الكثير من الوقت ... بحيث لايبرز فيه مؤلف يمد بصره الى مشكلات هذا القطاع الكبير من العاملين فيه ؟ فيؤدى هذا بدوره الى كسر الدائرة الضيقة التى يرى فيها الكويتى ذاته ومشكلاته هل هو فى موقف الدولة من المسارح ، والخلط فى هذا الموقف ... بين دور المسرح كضمير للشعب ومثير لشعوره وفكره ومعبر عن نظرته الاكثر نفاذا وحلمه المحلق لصنع المستقبل ، وبين الدور الذى تقوم به جمعيات النفع العام بحيث ترتب على هذا الخلط ان الدولة كانت تمنح معونتها للفرق الست المسرحية دون تفرقة بين فرقة ادت دورها الفنى على افضل وجه وفرق اخرى تستمر فى وجودها لمجرد توفر الحد الادنى من شروط هذا الوجود كما تنص عليه لوائح جمعيات النفع العام ؟

هل هو فى اقامة الكاتب الذى لم تتح له افضل الفرص للاحتكاك والتفاعل مع البيئات الثقافية المختلفة ام هو فى سياسة الفرق التى فتحت ابوابها واعطت معونة الدولة لمن يستحق ومن لايستحق ؟؟

ويتوقف الكاتب امام كل واحد من هذه التساؤلات ليناقشه فى جراة وعمق وتفصيل ... كاشفا عن العلاقات المتداخلة بين كل هذه الاسباب مقترحا طرق الخلاص للخروج من دائرة الخشية الى افق الرجاء ...

واذا كان لنا ان نتوقف قليلا امام بعض تصورات المؤلف لابعاد المشكلة او ابعاد الحل ... فاننا نفعل ذلك من موقف التقدير لجهد المؤلف وصدق معايشته للحركة المسرحية فى الكويت ...وقد كان ذلك الاقتراب الشديد للمؤلف من واقع الحركة المسرحية ومشكلاتها الخاصة فى الكويت هو الذى ناتى به احيانا عن رؤية هذه المشكلات فى اطار مشكلات المسرح بوجه عام فى الكويت او فى غيرها ... من البلاد العربية على الاقل ...

فمع تقديرنا لملاحظاته النافذة عن حساسية الجمهور فى الكويت لكل ما يتعلق بنقد مشكلاته واوضاعه الخاصة ، وتساؤله عن مدى تقبل هذا الجمهور للقضايا الجادة ، الا ان قضية جماهيرية المسرح الجاد » تبقى قضية اوسع نطاقا من ان تكون مسالة كويتية ، ربما كان الخلاف بينهما فى الكويت وفى غيرها مجرد خلاف فى الدرجة لا فى النوع .

البحث عن كاتب مسرحى

وتبقى هذه القضية هى قضية الكاتب المسرحى القادر على ان يدرك انه للقضايا الجادة مكان فى قلوب الجماهير ، وأن المسالة هى قدرة الكاتب على استخدام اللغة الفنية المسرحية القادرة على الوصول الى هذا المكان .. ويمكن ان نقول نفس الشىء عن مشكلة الحرية اللازمة لنمو الحركة المسرحية وازدهارها .

ونوافق الكاتب على كل ما قاله عن مسالة صمت المؤلف الكويتى عن مشكلات قطاع كبير من غير الكويتين العاملين فى الكويت ... ولكننا نحب ان نضيف الى الاسباب التى ذكرها سببًا اخر فهذه الشخصيات الوافدة التى تنتمى إلى جنسيات واوطان وثقافات مختلفة ستبقى عصية على المؤلف الكويتى ، فى ظروفه واوضاعه الراهنة ... وقد تظهر فى اعماله احادية الجانب ، ولن يبرز من مشاكلها النفسية إلا ما يتصل بجانب العمل ، وقد لايظفر إلا بالقليل من عالمها الداخلى الخفى ومن هنا ترتد هذه المسالة بدورها إلى القضية الاساسية وهى قضية المؤلف ، وانه حين يوجد هذا المؤلف القادر فسوف لا تنقسم فى عقلة الظواهر والمشكلات او البشر وسوف لاينتظر ان تهبط الحرية علية كمنحة . بل سيكون هو الريح الباردة التى تحيل السحاب الى مطر ، واذا كنا لانعرف بعد طريقة سهلة لايجاد المؤلفين الكبار فى الكويت او فى غيرها فلا اقل من ان تبذل الجهود لتوفير المناخ اللازم لايجادهم ...وهذا ماتحدث عنه بافاضة واقتدار الدكتور محمد حسن عبد الله فى كتابه حين اكد على ان الطريق المفتوح على افق الرجاء يمكن ان تكون بدايته الحقة وجود المعهد العالى للفنون المسرحية فى الكويت ... على ان يبدأ هذا المعهد فى ارسال بعثات من خريجيه الممتازين لاستكمال دراساتهم وصقل مواهبهم فى البيئات والمعاهد الفنية فى الخارج ...

كما اشار الدكتور إلى ضرورة ان نعود الى البداية التى وضعها« زكى طليمات » حين خصص المسرح العربي لتقديم الاعمال المسرحية الرصينة عربيا وعالميا باللغة الفصحى .. ليكون مثل هذا المسرح القاعدة الأساسية لتربية الذوق المسرحى الأصيل .. وتحقيق التوازن بين دواعى الاصالة والمعاصرة .. على ان يتمتع مثل هذا المسرح برعاية الدولة الكاملة ..

الدعم الرسمى للفرق

واكد المؤلف على انه لا بد من اعادة النظر فى الطريقة التى تقدم بها الدولة عونها للفرق المسرحية فصيغة «جمعيات النفع العام »ليست بالضرورة انسب الصيغ ، ومن الانسب ان تكون هناك صيغة جديدة تستفيد من تجربة السنوات الماضية بحيث تصل اعانة الدولة لمن يستحقها بالفعل ولاسباب تتعلق بالفن وحده وليست لمجرد العضوية فى احدى جمعيات النفع العام

ان تصل هذه المعونة حتى للفرق الخاصة التى تمردت عليها حين تثبت هذه الفرق (كما حدث للمنشقين من المسرح العربى) انها فى عروضها اكثر خدمة للفن المسرحى من بعض الفرق المعانة .

المسرح الكويتي

● المشكلات المحلية تفتقر إلى الجرأة والشمول والعمق الإنساني

● طريقة الخلاص للخروج من دائرة الخشية إلى آفاق الرجاء


زكي طليمات


صقر الرشود


عبد الحسين عبد الرضا


احمد عبد الحليم

وهنا ايضا نجد المؤلف لا يناقش قضية « كون المسرح قطاعا عاما او خاصا » من زاوية مبدئية بحته بحيث يرفض بشكل دائم فكرة المسرح الخاص او يقبل فكرة المسرح الذي تعينه الدولة . ولكنه ـ وتلك خاصية منهج المؤلف في هذا الكتاب ـ يناقش المسألة من زاوية واقعية عملية . لقد هاجم في البداية المسارح التي تحصل من الدولة على اعانة لا تستحقها ، وطالب بأن توزع الاعانة التي تدفع لست فرق مسرحية على فرقة او فرقتين يستحقانها .

وتخوف من انسلاخ بعض الممثلين الناجحين جماهيريا في شكل فرق خاصة خشية ان يكون تلك بداية للاندفاع نحو الاسفاف والهزل جريا وراء الربح .. ولكنه حين لاحظ ان بعض هذه الفرق الخاصة تجمع بين القيمة الفنية والنجاح الجماهيري .. مثلما حدث في العروض الناجحة التي قدمها حسين عبد الرضا وسعد الفرج .. وحين لاحظ ان انسلاخ بعض الممثلين الكبار من فرقة المسرح العربي اتاح الفرصة لوجوه جديدة في نفس الفرقة لكي تبرز بقوة في مجالات التمثيل والاخراج والتأليف .. وحين وجد ان عامل التنافس بين الفرق الخاصة والمعانة في ظروف بلد مثل الكويت ، قد دفع بعض هذه الفرق إلى ما يشبه الثورة على نفسها .. فلم تعد تجد مانعا من الاستعانة بكفاءات وخبرات خارج اطارها بل وخارج الكويت .. وتداعت عوامل التجديد فنتيجة للاستعانة بممثلين من خارج الكويت جرى البحث عن نصوص تناسب الجميع .. وهكذا كسر طوق الجمود الذي ران على الموضوعات ذات الطابع المحلي واللهجة المحلية وفتح الباب واسعا أمام المسرح السياسي والموضوعات ذات الطابع الانساني والقومي .. بل أمام تناول المشكلات المحلية من منظور أعمق وأشمل ..

حين رأى المؤلف كل هذه المتغيرات راح يتأملها بموضوعية .. وكتب تعقيبه الجديد الذي يدعو فيه المهتمين بشئون المسرح إلى تأملها معه .. بحيث نحافظ على عوامل التطوير الجوهرية في هذا الموقف الجديد ، ولا ننخدع بالعوامل الطارئة والعارضة ، وبحيث تؤدى كل العوامل الى خلق المناخ المستقر الذي يجعل من الكويت بيئة مسرحية حية ومتطورة ..

ودعا إلى ان تبقى معونة الدولة في هذه المرحلة في شكل منح تقدم للفرق التي تقدم أعمال ممتازة حتى ولو كانت من الفرق الخاصة ..

أهم العروض المسرحية

في القسم الثاني من الكتاب نتعرف على أهم العروض المسرحية التي قدمتها الفرق المسرحية بالكويت في السنوات الماضية ..

من خلال النقد التطبيقي الذي كتبه الدكتور محمد حسن عبد الله عن هذه العروض وربما تفيد الاشارة إلى بعض هذه العروض في الدلالة على مغزى التطور الذي حدث في الحركة


لقطة من مسرحية حفلة على الخازوق

● لابد من إعادة النظر في الطريقة التي تُعان بها الفرق المسرحية
● ماذا عن العديد من الظروف والملابسات التي تحيط بالعرض المسرحي؟

سعد اردش



المسرحية بالكويت . فالناقد يقدم تحليلا نقديا شاملا لمسرحيات :

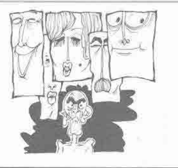
« ضاع الديك » من تاليف عبد العزيز السريع واخراج صقر الرشود ، و « شياطين ليلة الجمعة » التي يشترك في كتابتها عبد العزيز السريع وصقر الرشود ، و « ضحية بيت العز » التي كتبها وقام فيها بادوار البطولة عبد الحسين عبد الرضا وسعد الفرج ، و « السدرة او الأشجار تموت واقفة » للكاتب الاسباني « اليخاندروكاسونا » واخراج كرم مطاوع والتي قدمتها فرقة « المسرح الكويتي » وهي احدى الفرق التي ثارت على نفسها بفعل المنافسة وقدمت عملا ممتازاً بالتعاون مع عناصر من خارجها ..

و « حفلة على الخازوق » من تاليف محفوظ عبد الرحمن واخراج صقر الرشود ، و « مغامرة راس المملوك » من تاليف سعد الله ونوس ، واخراج احمد عبد الحليم وتقديم فرقة المسرح الشعبي ، و « الثالث » و « عشاق حبيبة » من تاليف حسن يعقوب العلي ، و « ورسائل قاضي اشبيلية » لألفريد فرج ومن اخراج سعد اردش وتقديم فرقة المسرح الكويتي ايضا ..

إن هذه التشكيلة من العروض المسرحية لها دلالات نترك للقارىء مهمة استخلاصها ..

منهج النقد الشامل

وسيلاحظ قارىء كتاب « المسرح الكويتي بين الخشبة والرجاء » ان المؤلف في نقده لهذه العروض المسرحية يتابع نفس منهجه فهو يقدم ما يمكن ان تسميه بالنقد الشامل ، وهو يناقش العديد من الظروف والملابسات التي قد تحيط بالعرض ، وهو يتابع ظهور او جمود او تطور مؤلف او ممثل او مخرج ، وهو معنى بالقارىء او المشاهد في الكويت وكأنه يريد ان يسهم بدوره النقدي في خلق جمهور للمسرح ... وهو يركز في نقده على الجوانب الفنية دون ان يقع في أسر نظرة ايدلوجية محددة .. وحين يتحدى نص



مسرحي اصيل فانه ينسى الكثير من هذه المهام ولا يبقى منه الا استاذ النقد الأدبي فيصل إلى ذروة في التحليل والتفسير النقدي الخاص بالنص . كما فعل في تحليله لمسرحية « السدرة او الاشجار تموت واقفة » للكاتب الاسباني « اليخاندروكاسونا » وفي مقارناته النقدية بين بعض الملامح والسمات في نصوص « الثالث » و « عشاق حبيبة » ... « على جناح التبريزي » و « حفلة على الخازوق » وقد يكون من الطبيعي ان نمارس هنا ايضا حقنا المشروع في الاختلاف مع المؤلف في تحليله لشخصية « المساعد » في مسرحية « حفلة على الخازوق » لمحفوظ عبد الرحمن ..

شخصية « المساعد »

يقول المؤلف الدكتور محمد حسن عبد الله :

« ان شخصية « المساعد » من أهم شخصيات المسرحية ، انه مخلب القط لكل الطغاة والفاسدين ، يزين لهم ما يفعلون ، بل يفكر وينفذ ويحتال ليرضيهم ، وليس لحسابه الخاص ، فهو ليس مجرد انسان فاسد بل هو صانع الفساد ، وقد وجدناه دائما نفس الشخص ، فهو مساعد المدير ، والمحتسب ، والوزير وهو اخيرا « الحاجب » الذي سيصبح « وزيرا » ، إن شخصية في هذه الاهمية كانت تحتاج إلى معالجة فنية اشد مكرا ، فقد كانت مسطحة فهو مجرد موظف مطيع لرئيسه مع بعض المسايرة ، وليس هذا المسلك أهم معالم الشخصية من هذا الصنف ، صحيح انها لا تحب الاضواء ، وتفضل أن تبقى وراء مركز الصدارة مباشرة ، ولكنها تفعل ذلك من موقف الدهاء الذي يجعلها المحرك الحقيقي لكل شيء والجاني الحقيقي لكل الثمار ، ولكنها لا تتحمل مسئولية الاخطاء ومن الصحيح أن ترشيح نفس الشخص لمنصب الوزارة يضع هذه الشخصية في إطارها الواجب ، ولكن من الصحيح ايضا أن النهاية لم تكن صادرة من تدابيرها الخاصة ، وما يجب ان تتسلح به من مكر ودهاء ..

« المساعد » كموقف وأسلوب

وليإذن لنا المؤلف في ان نختلف معه قليلا في تصورنا لوظيفة هذه الشخصية في المسرحية .. انها لا يمكن ان تكون شخصية واقعية بالمعنى البسيط والمباشر للكلمة الواقعية ، حتى يمكن ان تخضع لمعايير الحساب التي اشار اليها الدكتور محمد حسن عبد الله ، فواقعيا وفي الأطار العام للمسرحية (الذي لا تسمح ظروف هذا المقال بعرضه كاملا) لا يمكن ان يكون المساعد هو نفس الشخص للمدير وللمحتسب وللوزير ، وكلها شخصيات تتوافق احيانا بسبب مصالحها وتتضارع احيانا بسبب هذه المصالح ايضا .. ولكن الخيط الدقيق الذي ينظم حركة هذا الصراع (بحيث يبقى هؤلاء جميعا كطبقة متساندة إلى اخر لحظة) هو المساعد .. فالمساعد هنا موقف او اسلوب يتجسد في هذه الشخصية الرمزية ، وهو يشير إلى المنطق التبريري الذي يقود كل هذه الشخصيات إلى الهاوية ، انه أسلوب في الحياة يشير إلى نقاط الضعف والحيلة والذكاء الذي لا يغني في كل هذه الشخصيات .. وهو أسلوب الحلول الوسطى المقيتة التي تسود في الأزمنة الرمادية التي يختلط فيها الحق بالباطل ... على حد تعبير المؤلف ..

ومن هذا المنطلق يمكن ان يكون وجوده الرمزي لا الواقعي مقبولا في المسرحية .. أما مسالة ترشيحه للوزارة فهذا يعنى انه في مثل هذه الازمنة يفوز منطق الحلول الوسطى والشر الخفي والبراءة المزيفة ...

كلمة اخيرة

قد لا يتسع المجال هنا لعرض الدراسة الاخيرة من الكتاب عن « الحركة المسرحية في الكويت والبحرين » وعن أوجه الاتفاق والاختلاف بين الحركتين .. وقد يكون من الانسب ان نترك التعقيب على هذه الدراسة لمن يلم بدقائق الحركة المسرحية هنا وهناك .

تبقى كلمة اخيرة إن هذا الكتاب سيبقى وثيقة من أهم الوثائق عن الحركة المسرحية في الكويت ، وسيبقى شاهداً حيا على روعة ما يمكن ان يقدمه الاهتمام والحب والمثابرة لقضية أو موضوع وهو أمر نحتاج اليه بقدر ما نفتقده .. !

مناقشات وتساؤلات كثيرة
حول آخر أفلام.. فلليني..

بروفة أوركسترا
أو.. حالة فقدان العقل!

رءوف توفيق

- هذا الفيلم السينمائي التليفزيوني أصاب الفكر الأوروبي بهزة عنيفة!
- طلقة رصاص تصيب الهدف تماما.. ومخرج واع يملك الرؤية السليمة

يقترب عام ٧٩ من نهايته •• ويرصد عشاق السينما أهم أحداثه السينمائية العالمية •• ويتوقفون بالتقدير والاعجاب لهذه التجربة الفنية الفريدة التي قدمها ساحر السينما الايطالية ، المخرج « فيدريكو فلليني » ، في فيلمه « بروفة الاوركسترا » •

ورغم أن هذا الفيلم من انتاج التليفزيون الايطالي ، ولا يستغرق عرضه أكثر من سبعين دقيقة فقط •• الا أن حجم الضجة التي صاحبت هذا الفيلم مازال صداها يتردد في كل بلد في العالم يعرض الفيلم فيه •• وما كتب عنه من مقالات النقد والتحليل وما أجري من أحاديث صحفية مع مخرجه « فلليني » يفوق بكثير ما كتب عن عشرات الافلام الضخمة التي أنتجتها استوديوهات السينما العالمية وانفقت عليها ملايين الدولارات في الدعاية والترويج لها •!!

واذا كانت حصيلة عام ٧٩ السينمائية قد شهدت عددا من الافلام الهامة لكبار المخرجين العالميين ، أو لعبقريات شابة في السينما • الا أن هذا الفيلم السينمائي التليفزيوني يصيب الفكر الاوربي بهزة عنيفة ، لانه يضرب في عمق الجرح الذي تعاني منه أوربا الان •• وربما يعاني منه العالم ككل •• جرح الفوضى السياسية والاجتماعية ! والاخلاقية !

ولا يجرؤ على اقتحام هذا الموضوع الشائك ، وبايجاز بليغ أشبه ما يكون بطلقة رصاص تصيب الهدف تماما • غير مخرج واع يملك الرؤية السليمة ووجهة النظر ، ويعرف تماما لغة السينما وكيف يطوعها لخدمة أفكاره •• وهذه الصفات تتوافر في المخرج « فلليني » الذي يستكمل عامه الستين في يناير القادم •

وليس صحيحا ما قاله البعض ، ان هذا الفيلم يكتسب شهرته من اسم المخرج « فلليني » !!•• فالعكس هو الصحيح !•• لان الجمهور لا يعيش دائما على الذكريات •• ذكريات خاصة ، أو ذكريات عامة ارتبط بها في الفن والادب ، ومن أجل هذه الذكريات قد يغفر بعض السقوط والهفوات •• فهذا الجمهور لا يرحم •• وهو نفس الجمهور الذي أدان نفس المخرج « فلليني » في فيلمه السابق « كازانوفا » •

وعلى الفنان الذي يواجه الجمهور أن يعي هذه الحقيقة تماما •• وأن يعمل حسابها ألف مرة قبل أن يقدم على عمل جديد •

وفي السطور التالية سنتعرف كيف استعد المخرج « فلليني » لهذا الفيلم القصير •

قصة الفيلم

يبدأ الفيلم بمجموعة أصوات آلات التنبيه للسيارات تتداخل بطريقة مفزعة ومؤلمة •• من بين الاصوات يتسلل صوت آلة تنبيه لسيارة اسعاف ، تحاول أن تجد طريقا وسط الزحام الرهيب الذي لا نراه ولكننا نشعر به مكثفا من خلال الاصوات فقط •• أما على الشاشة فنحن داخل قاعة فسيحة مرتفعة السقف ، حوائطها تدل على القدم والتهالك ، مثبت عليها صور لمشاهير الموسيقيين •• ورجل عجوز يدخل القاعة ليضع النوت الموسيقية على الحوامل العارية المصفوفة في ثلثي القاعة •• الرجل العجوز ينظر للكاميرا – أو ينظر لنا – ويحكي عن هذا المكان وتاريخه •• انه جزء من كنيسة قديمة ، تحول الى صالة لاجراء بروفات الموسيقى •• وان العازفين سيصلون الان •• ويحكى الرجل العجوز عن عشقه الخاص للموسيقى وكيف ارتبط بها ••





لقطات من فيلم (بروفة اوركسترا)

خليط من البشر .. كل منهم يحمل آلته الموسيقية .. ولكن!
فجأة تهتز الأرض قليلا .. ويأتي من الخارج صوت مدو ..!

ويرقص الرجل دليلا على استمتاعه بالموسيقى !

بعد لحظات يبدأ دخول العازفين ، كل منهم يحمل آلة ، وكل منهم له عالمه الخاص .. منهم من يدخل ليمسح مقعده أكثر من مرة ثم يتشمم رائحته .. ومنهم من يخرج من جيبه راديو ترانزستور ليستمع الى مباراة كرة القدم وعلى وجهه تتقافز التعبيرات حسب مسار الكرة!.

وهناك المشغول بتصفح مجلة عارية .. ومن يدخل مستندا على عكازه .. بينما يتشاجر اثنان من العازفين على مقعد ، وكل منهما يقول ان المقعد له .. وهناك امرأة مشغولة بزجاجة خمر .. وآخر صامت تماما كان ما يحدث حوله لا وجود له .. بينما يجلس عازف متوتر الاعصاب مشدود الانتباه وكأنه مستعد للانفجار في اي لحظة !!

خليط متنوع من البشر .. كل منهم يحمل آلته الموسيقية .. ولكن كل منهم مشغول بنفسه وبهمومه التي لا علاقة لها اطلاقا بالموسيقى !!

وتدخل القاعة بعثة تليفزيونية جاءت لتسجل برنامجا عن الفرقة الموسيقية ، وتجرى الاحاديث مع العازفين .. ويواجه كل منهم

المايسترو يقود الاوركسترا بعد الانهيار مع ملاحظة حركة الوقوف عند المايسترو

الكاميرا ويتكلم مجيبا على أسئلة المذيع الذي لا نراه ولكننا نسمع صوته فقط (قام المخرج فلليني بهذا الدور بنفسه) !

كل منهم يتكلم عن آلته الموسيقية ، وارتباطه بها ، وكل منهم يؤكد أهميته ، وينفي أهمية الاخرين .. هو أولا وقبل كل شيء، وآلاته الموسيقية هى الاساس وبقية الالات كمالة عدد !!

وتنتقل الكاميرا بين شخص وآخر .. ويتكرر نفس المعنى بتفاصيل مختلفة .. واحدى العازفات تصرخ بهلع لانها شاهدت فأرا يتسلل من الحائط ، ويقوم بعض العازفين

بمطاردته .. ويحدث ارتباك بين الصفوف .. بينما المشغول بالاستماع الى مباراة الكرة ، مازال يضع

مناقشات وتساؤلات كثيرة حول آخر أفلام.. فلليني..

الراديو على أذنه ويشتمل حماسا ·· والعازف العصبي يتململ غيظا ·· وتستمر بعثة التلفزيون في تسجيلاتها مع العازفين ·

الفوضى ·· والانهيار

ويثير أحد العازفين تساؤلا : هل سيحصلون على أجر نظير هذا التسجيل التليفزيوني ؟!· ويبدأ الجدل ·· ويتدخل مندوب النقابة الذي كان حاضرا مع بعثة التليفزيون يحاول أن يفرض النظام ·· ولكن بلا جدوى· حتى يدخل المايسترو الى القاعة ويقف في مكانه وينظر للعازفين وينبههم الى النظام والهدوء ·· ويبدأ العزف ·· ولكن المايسترو يعترض على الطريقة، ويوقف العزف ، ويصرخ فيهم باللوم والشتائم ·· ويطلب منهم الاعادة · ويتكرر العزف ·· وتنطلق النغمة المتجانسة ·· ويدب الحماس في العازفين ، ويخلع بعضهم ستراتهم وبعضهم يتخلى عن قمصانهم أيضا ، وينهمكون مع آلاتهم في تلاصق حميم !·

وفجأة تهتز الارض قليلا ·· وتتساقط بعض الاتربة من سقف القاعة ·· وتسمع في الخارج صوتا مدويا ·· ومع ذلك فالعزف مستمر، وكل منهم مع آلته ، تحت قيادة المايسترو ·· الا أن مندوب النقابة يطالب باستراحة للعازفين ، فلائحة العمل تنص على الاستراحة ·· وينفجر المايسترو في مندوب النقابة لانه يعطل العمل ·· ولكن مندوب النقابة يصر على مطالبه · فيترك المايسترو القاعة الى حجرته ·· وتبدأ الاستراحة التي تنقلب الى فوضى حقيقية !

بعض العازفين يعتلون المقاعد لكتابة شعارات الاحتجاج ضد المايسترو ، وتمتلىء الجدران بالشعارات ·· ويصرخ بعضهم في جنون ·· بينما يمارس بعضهم متعته الخاصة ·· ويهتف أحدهم بسقوط


المخرج فلليني احد الممثلين على طريقة الامساك بالآلة الموسيقية.


الفوضى وفقدان العقل ..(لقطة من فيلم بروفة اوركسترا)

المايسترو فلا ضرورة لوجوده ، فهم يعرفون عملهم جيدا ·· ويصعد هذا العازف المتشنج الى مكان المايسترو ليضع مكانه آلة ضبط الايقاع ويعلل تصرفه بأن الآلة تستطيع أن تقوم مقام المايسترو ·· ويرفض آخرون هذا المنطق ·· ويدب الخلاف ·· وتدوي طلقة رصاص أطلقها من مسدسه ذلك العازف العصبي المنتظر لاي فرصة للاشتباك ·· بينما عاشق الكرة يستمع الى المباراة في الراديو !!

كل هذا يحدث فجأة ·· مع زيادة تساقط الاتربة من سقف القاعة ·· واتساع شروخ الجدران ·· واهتزاز الارض ·· وانقطاع الكهرباء ·· وينزوي أحد العازفين في مقعده يبكي في رعب ويولول : « لماذا ·· لماذا ··؟! » ·· وينشق حائط القاعة من هول اندفاع كرة حديدية ضخمة آتية من الخارج ·· وتتساقط اللوحات من على الحائط ·· ويهرع أحد العازفين الى المايسترو يسأله ما العمل ··؟ ويتقدم المايسترو بهدوء الى مكانه ، يزيح التراب والاحجار المتساقطة ، ويقف في ثبات ويطلب من العازفين أن يمسكوا آلاتهم ·· ويقول لهم في ثقة وبحسم، « أنتم في أماكنكم ·· وأنا في مكاني هنا ·· ابحثوا عن نوتكم الموسيقية ·· اتبعوا النوت ·· أنتم موسيقيون · » !

ويرضخ الجميع لتعليمات المايسترو ·· وينتصبون في أماكنهم والتراب يتساقط عليهم · والمايسترو يهتف فيهم : « ابدأوا ·· البروفة مستمرة » ·· ويردد المايسترو بعض الكلمات بالالمانية وكأنه صوت هتلر ·· فتنطلق الموسيقى من جديد ·· في تجانس ·· وفي نظام ·· رغم كل الانهيار الموجود !

وينتهي الفيلم ·!!

محاولات تفسير

وتنطلق التفسيرات والتحليلات · ومحاولات فك رموز الفيلم ··

ما الذي يقصده المخرج « فلليني » بهؤلاء العازفين الذين تستغرقهم مشاكلهم وأمراضهم النفسية ؟ ولماذا تفجرت احتجاجاتهم ورفضهم لقائد الاوركسترا فجأة ؟· وما معنى الانهيار الذي حدث ؟· ولماذا عادوا لطلب المايسترو ؟ ولماذا انصاعوا



الاوركسترا تعزف تحت قيادة المايسترو ... بعد الانهيار

لاوامره ؟... وما معنى الكلمات الالمانية التي نطق بها المايستور وكانه صوت هتلر ؟!

هل يقصد المخرج « فلليني » أن يشبه الحالة التي وصلت اليها ايطاليا ـ أو أوربا عموما ـ بحالة هؤلاء العازفين الرافضين للنظام ، أو القيادة .. ولكن عندما يشتد الخطر ويبدأ الانهيار يهرعون في طلب القيادة !

وهل يحذرنا المخرج « فلليني ».. بأن القيادة عندما تعود في مثل هذه الظروف .. ستكون قيادة ديكتاتورية ؟!

المسألة اذن محصورة في داخلنا نحن .. نحن صناع الفوضى ... ونحن صناع النظام .. وفي كلتا الحالتين علينا أن نتحمل النتائج .. الفوضى ونتيجتها الديكتاتورية .. النظام ونتيجته الحرية والديمقراطية!

وعندما لجأ بعض الصحفيين ، حاملين تفسيراتهم المتعددة لمغزى الفيلم .. وحاصروا المخرج « فلليني » .. رفض أن يستجيب لفضولهم وقال لهم باصرار : « ان لعبة محاولة التعرف على كل المعاني السياسية من خلال الفيلم .. لعبة مؤذية للفيلم .. لانها تقتل براءته .. فانا لا اقدم سوى « بروفة اوركسترا » » !

وبالرغم من كل محاولات المخرج « فلليني » للتهرب من تفسير الفيلم .. وترك الامر للمتفرج لكي يستخرج المعنى المطلوب .. الا أنه في الكلمة التي قدم بها الفيلم ووزعت على الصحفيين والنقاد في عروض الفيلم الاولى .. كتب يقول :

الخطر يكمن في داخلنا

« انني أعتقد أن هذا الفيلم يحمل عاطفة كامنة من الممكن أن تظهر للمتفرج كصدمة ، رعب ، خجل .. وانني أؤكد بضرورة أن يترك المتفرج لنفسه لكي يواجه هذه المشاعر المتباينة » .

« انني لم أرغب في صنع فيلم سياسي .. بل أسطورة أخلاقية .. لقد أردت ببساطة أن يشاهد بعض الناس تلك الصورة السينمائية فيشعرون بقليل من الخجل » .

« لم اكن أرغب في تقديم موضوع تاريخي ، ولا حتى سياسي أو اجتماعي . ولم أفكر في اصدار أحكام عن النقابات .. ولكن ما نحن أمامه الان هو بروفة أوركسترا ، وليس تاريخ ايطاليا .. والفيلم أيضا تعبير عن جزء مجهول في داخلي يلتقي مع العقل الباطن للمشاهد .. ومن هذا اللقاء تنشأ الصدمة ، الاتصال ، والعاطفة المؤثرة » .

« انني لا أعرف ما الذي يمكن فعله لتغيير المجتمع ، فما أقوله دائما يتعلق بالافراد .. لان الخطر في داخلنا .. وليس خارجنا . وأقول الصدق انني لا أرغب في مناقشة « بروفة أوركسترا » حتى لا يفقد الفيلم خصائصه وشحنته العاطفية على كل مشاهد ، فهذا المشاهد في رأيي ، عليه أن يتحصل على شيء من الفزع .. والعاطفة .. على بعض الخجل والعار » !

وهكذا ينهي المخرج « فلليني » كلمته .. وهو يدعونا ـ نحن المشاهدين للتفكير والقلق على ما يجري حولنا .. وما نشارك فيه. فهو كما قالها بصراحة : « ان الخطر يكمن في داخلنا نحن » !

أرفض النهايات السعيدة

ولكن الحصار حول « فلليني » لا يهدأ ، ولا ينفض .. فقد أثار موضوعا خطيرا وشائكا ، يشغل جميع الاذهان ليس في أوربا وحدها ولكن في العالم ككل .. موضوع العلاقة بين الفرد ونفسه .. والفرد والسلطة ..

ومن سلسلة اللقاءات الصحفية التي اجريت أخيرا مع « فلليني » .. أستطيع أن ألخص بعض أفكار هذا المخرج الايطالي العبقري والتي تناولت تحليل وجهة نظره التي ضمنها فيلمه « بروفة أوركسترا ».

يقول فلليني عن الفكرة التي



مناقشات وتساؤلات كثيرة حول آخر أفلام.. فلليني..

استوحى منها الفيلم :

« راودتني فكرة الفيلم منذ زمن طويل ·· فعندما كنت أحضر تسجيل الموسيقى التصويرية لأفلامي ، كنت أندهش تماما واكاد لا أصدق تكرار هذه المعجزة في كل مرة ·· هؤلاء العازفين المختلفين عن بعضهم ، يصلون الى قاعة التسجيل ، حاملين آلاتهم الموسيقية وأيضا حاملين همومهم الخاصة ، ومزاجهم السيىء وامراضهم ·· وحاملين أيضا أجهزة الراديو الترانزستور لكي يستمعوا لمباريات الكرة ·· وكانت دهشتي من ملاحظة أنه من بين هذه الفوضى ومع تكرار المحاولة تخرج الموسيقى المتناسقة ·· هذه العملية من خلق النظام من بين الفوضى ، كانت تترك تأثيرا قويا في داخلي ·· وكان هذا الموقف ، يماثل بشكل أو بآخر ، صورة الحياة في المجتمع عندما يظهر تعبير جماعي دون أن يفقد كل فرد شخصيته » ·

وقال « فلليني » في تفسيره لموقفه الغامض من قائد الاوركسترا ·· فهو مرفوض ·· وهو أيضا مطلوب؟!

« الغموض هو الحياة ·· وانا أقدم ضرورة النظام وفي نفس الوقت الخطر منه ·· ولقد شعرت بضرورة عدم انهاء الفيلم نهاية سعيدة ، فنحن لا نستطيع أن نبني شيئا جماعيا بدون أن نأخذ في الاعتبار أهمية وجود دافع داخلي ·· فاذا ألقينا مسئولية حياتنا الشخصية على عاتق شخص آخر فهناك دائما خطر السقوط في اللامبالاة الجماعية · ومن ثم المغامرة في أن تؤدي هذه الجماعية الى خلق مهزلة السلطة الابوية ·· وفي رأيي انه يجب أن تحاول أن تكون أبا لنفسك ·· ربما تكون هذه فلسفة شوارع ·· ولكن هذا ما أردت أن اعبر عنه ·· وأنا ارفض النهايات السعيدة لانها تخلي المشاهد من كل مسئولية · وعلى النقيض ·· فاذا أنهيت الفيلم بعلامة استفهام فهنا يكون على المشاهد أن ينهي القصة · وفي كل أفلامي لم اكتب أبدا كلمة « النهاية » على الشاشة » !!

حالة فقدان العقل

وان كان « فلليني » يحاول الا يسجن فيلمه داخل تفسيرات سياسية محدودة ·· فهو يصرخ بوضوح شديد ، ان فيلمي الصغير يمثل حالة من فقدان العقل ·· وهذا شيء مرعب ·· فنحن نواجه هذا بفقدان عقل جماعي ·· أي بديكتاتور » !

ولقد تعمد « فلليني » أن يقدم بروفة الاوركسترا في صورة قاتمة ·· لكي يثير في داخلنا ضرورة اليقظة لما يحدث حولنا ·· فمن الظلمة والقتامة يولد الحنين الى استكشاف الطريق ·· فكما يقول فلليني « اننا نسمع ونقرأ كل يوم في صحفنا عن المعارك والاتهامات والاغتيالات الناشئة من عجز سياسي وأخلاقي ·· فالعالم اليوم يضج بروح الفعل السياسي ·· الفوضى الجماعية » ·

ولن يكون الحل بظهور ديكتاتور جديد ·· فهذه هى الكارثة الكبرى ·· أو كما يسميها « فلليني » بفقدان العقل الجماعي !

كيف استعد فلليني لهذا الفيلم ؟

وهذا الفيلم القصير الذي أثار الفكر العالمي ، وأذهل عشاق السينما ببنائه الفني المحكم ، يحسب للتليفزيون الايطالي انه وافق على انتاجه ضمن محاولاته لاكتساب كبار مخرجي السينما والعبقريات الشابة في صنع أفلام يمولها التليفزيون ولا تخضع لنزوات السوق التجاري !

وهذا هو الفيلم الثالث الذي يخرجه « فلليني » للتليفزيون الايطالي ·

وقد حكى المخرج « فلليني » كيف استعد لكتابة سيناريو الفيلم — فهو صاحب الفكرة والسيناريو بالاضافة الى الاخراج — قال :

« قبل كتابة الفيلم ·· تناقشت مع مئات الموسيقيين ·· قابلت أشهر العازفين المنفردين الايطاليين ·· دعوتهم للغذاء ·· وكان في ذهني عشرات الاسئلة ولكنني صحفي سيىء جدا ،مشكلتي انني لا أجيد القاء الاسئلة وبالتالي كانت الاجابات لا تعجبني ·· ولكني اصطدت من كل واحد منهم علاقته الخاصة بالآلة التي يعزف عليها ·· انهم يتحدثون ببلاغة ·· وطرافة ·· وجهل ·· وأحيانا بجنون !!

« بعد هذه اللقاءات ·· بدأت أكتب ·· وتصورت في البداية انني سأختار أفرادا من الفرق الموسيقية الايطالية الشهيرة لكي يلعبوا أدوار الفيلم ·· ولكن بعد فترة استبعدت هذه الفكرة لان ميزانية الفيلم لا تحتمل ·· فتصوير الفيلم في اربعة أسابيع منهم أسبوعان للاعداد للعرض ، مع استخدام أشهر الموسيقيين كان معناه تكاليف تفوق الهبوط على القمر ·· ولهذا السبب ولمتعتي الخاصة في اختيار الوجوه المعبرة ، فقد بدأت أبحث عن الاشخاص الذين لهم علاقة بآلات الموسيقي ·· واخترت ستين شخصا· منهم خمسون تقريبا مهنتهم الحقيقية هى العزف الموسيقي ·· أما الباقون فقد كان عليهم أن يتدربوا يوميا على الامساك بالآلات » ·

وهذا الجهد الخرافي ، والدقة ، والامانة في كل التفاصيل الصغيرة، هي التي تعطي للعمل الفني مذاقه الخاص ·· وتعطي لأفلام « فلليني » هذه الشهرة وردود الفعل القوية ··

وليس من باب الدعاية ان يقول فلليني :

« ان العمل يعطيني احساسا بانه لا يوجد من يقهرني ·· العمل يمنحني القوة والصحة » !

°° وهكذا يفكرون للسينما ·!

رءوف توفيق



محمد العربي الخطابي

العمر الثالث

ترى هل تشهد الدنيا ، فيما تشهده من غرائب التحول والتغير ، أفول عهد، طالما نعم فيه الاطفال بحنان جد أوجدة يملآن — احدهما او كلاهما — عالم الصغار بالدفء الودود والرعاية الحانية ويضيئان رحاب الاسرة بنور من الحكمة والتجربة والوداعة ، ويتحدثان الى الاطفال بلغة قريبة من عقولهم ، ويرسلان الكلام مهيلا متقطعا خفيضا ، ويقربان المسافة بين الاجيال ويكملان ألفة الأسرة وانسجامها ؟

فمن ذا الذى ادرك منا جده او جدته فلم تعلق بقلبه ذكريات حلوة عطرة لايحب أن ينساها ؟ فهذا ينصح برفق او يعاتب بحنان ، وتلك تحكى أغرب الحكايات وتنطلق من فمها الرخو الأقوال والامثال ونحن نصغى اليهما ونتطلع الى حركاتهما المتراخية وإشاراتهما المتئدة فترتاح نفوسنا وتطمئن قلوبنا فننبسط معهما فى الحديث ونلغو كالحملان الوديعة بلا عناء أو حرج .

تلك كانت سمة الاسر التى يسعفها الحظ فيعيش فيها الجد والجدة حتى يتعرفا الى احفادهما ، وما تزال هذه السمة تطبع الاسر فى كثير من بلدان الله ، الا اننا بدانا نسمع او نقرا أخبارا تاتينا من الاقطار « الراقية » تتحدث عن مصطلح جديد يثير فى النفس بعض التشاؤم وكثيرا من التساؤل ، هذا المصطلح هو « العمر الثالث » يعنون به الشيوخ الطاعنين فى السن من النساء والرجال وما يتصل بهم من مشاكل ويطرا على شئونهم من احوال تنعكس اثارها على المجتمعات الصناعية

حرمة الشيخوخة

إن هؤلاء الذين ينسبون الى « العمر الثالث » فى دول الغرب كثيرا ما ينتهى بهم المطاف إلى مايسمونه ببيوت الراحة اى ملاجىء العجزة .

ولوكانت هذه الملاجىء موقوفة على من لاقرابة لهم ولااهل لهان الامر وبانت المصلحة ، وإذ ذاك يمكننا ان نعد هذا الصنيع من الاعمال الخيرية الانسانية ، ولكن الذى يثير الاستغراب والاشمئزاز هو أن يعمد شاب او شابة الى ادخال ابويهما متى تقدم بهما العمر الى احد تلك الملاجىء تخلصا من عبئهما او بدعوى أن جيل الشباب وجيل الشيوخ لايتفقان ، أو أن الدخل لايكفى للنفقة على الأب الشيخ والام العجوز .



لقد شاهدت ايام سكني في سويسرا برنامجا على شاشة التلفزيون الفرنسي خاصا بمشاكل « العمر الثالث » فسمعت بعض ساكني الملاجىء من الشيوخ يحكون ماساتهم ويذكرون ابناء لهم احياء ، متزوجين او عزابا ، يسكنون في بيوتهم قريبا او بعيدا من مكان الملجا فلا يزورون اباءهم الذين لم يروهم منذ سنين طويلة .

وكنت اناقش في هذا الامر زوجين ايطاليين شابين من اصدقائي فتصدت الزوجة تدافع بحماس عن مبدا ايداع الاباء من الشيوخ المتقاعدين في الملجا «بيت الراحة» بدعوى التفاوت في المزاج والفكر بين الاباء الشيوخ والشباب ، ورغبة في التخلص مما يسببه الشيوخ من ازعاج وضيق لاولادهم ان هم بقوا يعيشون معهم تحت سقف واحد .

قلت لهذه الزوجة المتحمسة : ماذا لو عكسنا الاية وتصورنا ابوين يقدمان على حمل أطفالهما إلى دور الايتام بدعوي ان العقول تتفاوت والأمزجة تختلف ، اذ شتان ما بين طفل ساذج بريء ورجل مكتمل الرجولة وامراة كاملة الانوثة ، فهل يجوز هذا ؟ فاذا جاز ماذا يكون مصير الأسرة وحال المجتمع ؟

ان للشيخوخة حرمتها عند الله وعند الناس ، فاذا كان الشيخ والشيخة ابوين لأحد منا فان الاحترام والعطف والرعاية تصبح من الواجبات المقدسة التى لا يخل بها الا جاهل عاق . والعقوق فى شريعة الاسلام من الكبائر مثله كمثل الشرك وشهادة الزور .

اوصى الخالق الرحيم بالوالدين برورا واحسانا وجعل لهما في شريعته حقوقا ادناها النفقة عليهما حينما يكبران ويعجزان عن العمل وكسب الرزق . وقد نشا المجتمع الاسلامى على احترام الوالدين والعطف عليهما والحرص على كسب رضاهما ، وما يزال ذلك من تقاليدنا الحسنة الراسخة حتى فى هذا العصر الذي صبغتنا فيه الحضارة الغربية الكاسحة بالوان من محاسنها ومساوئها ، وليس يخطر ببال احدنا ، غنيا كان او فقيرا ، نبيلا او ضعيفا ان يقطع الصلة بوالديه الكبيرين فيرمي بامه العجوز او بابيه الشيخ في عرض الشارع او يودعهما فى ملجا وهو قادر على النفقة عليهما .

وحتى في الغرب الذي شاعت فيه ظاهرة التخلص من ذوى العمر الثالث بايداعهم فى « بيوت الراحة » ارتفعت أصوات بعض ذوى الضمائر النقية استنكارا لذلك ، ومنهم من عالج هذه المشكلة بروح من الشعور بالمسئولية كاولئك الذيك احدثوا جامعات خاصة بالشيوخ يختلف اليها من تجاوزوا الستين من عمرهم فتيسر لهم سبل الايناس وملء الفراغ بشكل مفيد . ونذكر فى هذا المجال الجهود التى يبذلها السيد بيير فيلاس وهو من رجال القانون فى فرنسا ـ وكان صاحب فكرة تاسيس « جامعات العمر الثالث » ، وقد الف كتابا سماه « النفس الثالث » ـ بفتح الفاء ـ





تحدث فيه عن النجاح الذي لاقته هذه الجامعات البالغ عددها نحو خمسين في فرنسا ، ويتلقى فيها الطلاب الشيوخ ضروبا من المعرفة وفنونا من الرياضة وانواعا من النشاط الفنى كالمسرح والموسيقى بكيفية تلائم اعمارهم وتجدد نشاطهم وتجعلهم يحسون بجدواهم .

وقد استاثرت هذه المشكلة ايضا باهتمام الادباء ، ومن الأعمال التي تستحق التنويه رواية صدرت أخيراً في باريس عن دار (دنويل) من تأليف الكاتبة الشابة إنيس كونياتي بعنوان (موزى أو الحرباء التي كانت تبكى) صورت فيها الكاتبة احساس شيخ ادخلته بناته إلى ملجا خيرى فهاجت همومه وذكرياته حين وروده على هذا العالم الغريب القاحل الذي ينطوى فيه الناس على انفسهم ، وعبثا حاول (موزى) ان يجد بين الجدران والمقاعد انسانا يبثه شكواه ويقص عليه فصولا من حياته ، فلما أعياه البحث واحس بالحاجة إلى الجلوس ليستريح قليلا لم يفسح له أحد مكانا بجانبه ، وأخيرا عثر على مقعد بجوار عجوز صامته فجلس

بجانبها واخذ يتكلم بمفرده وهى لا تجيب .

وقد احببت ان الخص جزءا من هذا « المونولوج » اليائس الذي يشبه الاعتراف ويفيض بالحيوية وينبعث من تلقاء النفس متزاحما خاليا من حدود الزمان والمكان .

العمر الثالث

« المونولوج » اليائس

يقول (موزي) :

« لست حريصا على الجلوس فوق مقعد اذ بامكانى ان اقعد على حافة الجدار او ان افترش الارض وسط الاعشاب فانا متعود على ذلك ، غير ان الحارس اخبرنى ان الجلوس على الارض ممنوع ، وهذا يعني انني اذ شئت ان استريح قليلا فلا بد لي ان اجلس إلى جوارك ، فانت بمفردك وليس لك ان تتظاهرى بان لا مكان بجانبك ، ثم إن من حقي ان اكون هنا انا ايضا ما داموا قد قبلونى ، ان الدخول إلى الملجا ليس بالامر الهين كما تعرفين ، قد يظن بعضهم عكس ذلك ولكن الامر حقا عسير فانا ، مثلا ، لو لم تكن (ميلانى) ،زوجتي قد ماتت لبقيت فى بيتى هادئا اجلس على المقعد تحت النافذة امام البيت ..



هؤلاء الذين ينتمون إلى العمر الثالث في دول الغرب .. مآلهم إلى بيوت الاستجمام

مقعد لي وحدي اجلس فوقه حينما تشتهي نفسي مشاهدة لون النهار والحقول والعصافير محلقة تبشر بالزمن والفصول . ولقد اصبحت من فرط المشاهدة اعرف كل العصافير وعاداتها كما أعرف الهواء وطعمه المنبيء عن الطقس واحواله وعن كل ما يحدث هنالك بعيدا . استمعي إلى ريح هذا اليوم .. إن لها طعما حلوا وهذا يدل على ان هنالك من يعصر عنبا في منحدر تلة او في الوادى .. انك ان تعلمت كيف تصغين إلى الريح فسوف تعرفين اشياء كثيرة . اما انا فقد احببت التعلم دائما .

اراك لا تتكلمين يا سيدتي . إنى اكلمك لربط اسباب التعارف . وليس من قصدى ان اسبب لك ضجرا . الا انه لا بد لى من ان اجلس على مقعد . فانى اكاد اكون شيخا ولو انني اقل شيخوخة منك . لقد اشتغلت كثيرا . والعمل في الحقول يرهق الناس اكثر مما يرهقهم في اي مكان اخر .. يبدو عليك انك لست من اهل القرى . ان هذا يظهر على اليدين . ثم انك اسبانية . انني اميز الاسباني عن غيره حتى ولو كان بين الف من الناس . اعرفه بلون بشرته المائلة إلى الصفرة . والاسباني حينما يشيخ يصير وجهه











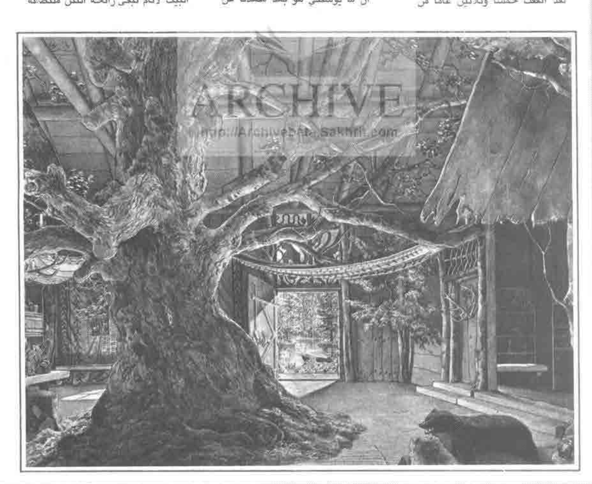
كورقة قديمة مدعوكة . اما انا فايطالي ، وفي بلادي لا يشيخ الناس كما يشيخون في اسبانيا . انهم في ايطاليا يحتفظون بخدود وردية خالية من التجاعيد ، وانا اقصد سكان الشمال الايطالي ، هذا واضح .. اننا جميعا نزحنا إلى فرنسا في حقبة واحدة ، قبل الحرب ، وكان الفرنسيون يمقتوننا جميعا بنفس المقدار .. فالايطاليون انصرفوا إلى خدمة الارض لانهم لا يخشون ان تتسخ ايديهم ، اما انتم فمكثتم في المدن اسكافيين وتجارا ، وربما عمالا ، فانتم لا تحبون الارض كثيرا او على الاقل اولئك الذين عرفتهم منكم .

اين حفنة التراب ؟

لقد انفقت خمسا وثلاثين عاما من عمري في خدمة الارض فعملت فيها بعناية ونظام ، وها انا الآن في ملجا للفقراء انتهي كما بدات وانا طفل صغير لا املك حفنة تراب اهيله على وجهي حينما اموت . من قبل كنا ناكل فنشبع ، وكنا نشرب من عصير كرومنا ، وقد تمكنا من تعليم ابنائنا ، وفي هذا خير وبركة ، وهل ينتظر من رجل عادي مثلي اكثر من ان ينهي حياته في هدوء وطمانينة جالسا قدام بيته يتفرج على الايام وهي تمر ؟ وإلا فما جدوى العمل يا ترى ؟

ليس لدينا في هذا الملجا ما نشغل به انفسنا . سوف اخرج في المساء لاتفسح اما في الصباح فلا بد من عمل شيء ما ، فماذا نصنع اذن اذا لم نثرثر قليلا ؟

ان ما يؤسفني هو بعد مقعدك عن الشمس . فهذه مسالة ذوق . انا ، مثلا ، احب الضوء والشمس ... لقد كان الميتم الذي اواني ايام طفولتي اشبه ما يكون بهذا المكان : جدران سميكة لا نوافذ فيها تقريبا ، والدفء لا يتسرب إلى الداخل ابدا حتى في فصل الصيف . لا شمس ولا نار نصطلي بحرارتهما حتى غدونا كالدودة في باطن الارض ... كانت عيوننا تحترق حينما نبصر نور الشمس . انني بسبب ذلك رفضت ان اصبح راهبا ، فالكنائس دائما مظلمة باردة ... لقد ادخلوني إلى معمل احذية حيث كنت اقص الجلود في قبو تعبق منه رائحة البهائم النتنة . وكان عمري اذ ذاك اربعة عشر عاما وما زلت في هذا القبو حتى بلغت العشرين . كنت حينما أعود إلى البيت لانام تبقى رائحة النتن ملتصقة



بى . وكنت اغتسل بمياه النافورة الموجودة في ساحة البلدة غير ان الرائحة الخبيثة لا تبرح بدني ... ومع هذا كله فانا لا اشتكي .. ربما يكون الآخرون ما يزالون في ذلك القبو ، اما انا فقد تمكنت من مبارحته .

في القبو كنت افكر دون توقف في الشمس التي تشفي كل الأسقام ونحس ونحن تحتها ببعض الرضا . وكنت افكر ايضا في هواء البحر المتصاعد من جهة مدينة البندقية ... واذكر انني كنت اقرا كتبا كثيرة تتحدث عن هذه الأمور وعن المحيطات البعيدة وعن الشمس الساطعة ليلا ونهارا ، وكنت اقول في نفسي انني سوف ارحل لمشاهدة البندقية والمحيط والسفن الراقصة المتجهة نحو الجزر المشمسة . كنت اقضي النهار كله محدثا نفسي بهذه الأمور ، وما ازال كذلك حتى يقبل الليل .. وكنت أكلم زوجتي (ميلاني) في كل ذلك فتصغى إلى ثم اخذت تشتعل غضبا حينما فاتحتها برغبتي في الرحيل لمشاهدة المحيط ولو مرة على الاقل . وكانت تغضب ايضا حينما اكلمها عن شغفي بالقراءة ، وكانت تقول لي : ان الشقاء كل الشقاء انما ياتى من قراءة الكتب ... فمن ذا الذي يؤلف هذه الكتب ؟ انهم سكان المدن الذين اتيحت لهم فرصة التعليم ويعيشون عيشة يستحيل عليك تصورها ... ان افكارهم هي افكار المدن ، وليس لها ان تكون غير ذلك ... انها افكارهم التي لا شان لك بها انت ايها الكلب المسكين ! ان الانسان حينما يخدم الأرض لا يكون في حاجة إلى السفر إلا إلى مشاهدة أشياء تزيد عن حاجته ، وليس من شانه ان يتكلم كما يتكلم الشعراء .

لماذا ماتت « ميلاني » ؟

وكانت زوجتي تقول ايضا : إن القراءة من عمل الكسالى الخاملين ... هكذا كانت ميلانى ، لا تقبل ان اصنع شيئا لنفسي . وما كنت اريده هو ان ارحل فاغيب يومين او ثلاثة فقط ، وعبثا حاولت أن اشرح لها ما كان يدور بخلدى واحلم به منذ صغرى ، قبل ان ادخل الميتم ، حينما كنت اشاهد من بيتنا ذلك السهل الفسيح واشم الهواء المالح المتصاعد من البحر .

ان للرجل الحق في أن يصنع ما يشتهيه ولو مرة واحدة فقط حتى وان كان هذا الرجل عديم القيمة . إلا ان ميلاني لم تفهم شيئا فاصرت على الا افعل شيئا لانها كانت تريد أن ابقى دائما معها هناك وان اكون مع ذلك رضي النفس .

حقا ، انك لا تتكلمين كثيرا يا سيدتي ، وعلى كل فانت لست مجبرة على الكلام ، انما قصدى هو ان ابين لك لماذا ماتت ميلانى .. إنى لم اقتلها ، ولماذا اقتلها الآن وقد تقدمت بنا السن وبعد كل تلك الليالى والأيام التى سلفت ..

ان اسوا شيء في هذا المكان هو ان الانسان لا يمكنه ان ينتظر احدا او شيئا ، حتى ساعي البريد . وعندي ان المرء ينبغي الا يكف قط عن انتظار احد او شيء ما ، حتى ولو كان هذا الشيء هو شمس الصيف . والا فان الوقت يمضى سدى فيفقد المرء الرغبة في كل شيء ... اننا لا ننتظر هنا سوى وجبات الطعام .

انظرى إلى هذا الشيخ المار امامنا وعلى راسه قبعة عريضة ، انني اعرفه منذ زمن قديم وهو يتظاهر بانه لا يعرفني يمكنني ان اقول لك انه يلبس نفس القبعة التي كان يغطى بها راسه يوم عرسه .. اترين إلى اي حد اعرفه . ان الناس هكذا لا يحبون التغيير !

لقد حان وقت الطعام .. يمكنني ان اقودك إن اردت ذلك ، اذ يبدو عليك انك لا تبصرين شيئا بهذه النظارة السوداء السميكة الموضوعة على عينيك ... » .

محمد العربي الخطابي



وقائع عربية

محمد المنسي قنديل

من أين تبدأ الحقيقة؟

عندما تفقد الحضارة قوتها الإبداعية تبدأ كتابة التاريخ في تلك اللحظة

يبدأ التاريخ مثل حلم رائق.. مثل ذكرى.. ثم يتحول إلى كابوس!

الزمن الإنساني يوم طويل يبدأ من الفجر وينتهي بلحظة الغروب الأخيرة

التاريخ لا يعيد نفسه • لان الموتى لا ينهضون من القبور • والاشياء تفقد قدسيتها مرة واحدة• والمؤرخ رجل أحمق • تماما مثل حركة الزمن • يمتلك شجاعة خارقة في مواجهة كل الاباطرة الماضين •• ويرتعد خوفا من وال صغير معاصر •

تأتي الينا الوقائع التاريخية عبر قرون الصمت الطويلة • محملة بالفضائح والمآسي والحروب والحضارات التي أكلت نفسها وكل ألوان الجنون العظيمة • ويرقد المؤرخون خلفها مثل الاطفال الاشقياء • كل يعيد قصة الخليقة

على صورته • يبحث عن بعض من السكون في الايام المضطربة ويدونها فوق الورق • كل أيام المؤرخين العظام كانت مضطربة • مليئة بالدم والعنف وفقدان المعنى • كل واحد سجل وقائعه وهو على حافة الخطر • ومن قلبه في مواجهة الطوفان • عندما تفقد الحضارة قوتها الابداعية ويتحول العقل فيها الى قبضة مسيطرة ويشعر الناس فيها بالهوة التي تفصلهم عن الذين يحكمونهم فينتقلون من محاكاتهم الى التمرد عليهم • تبدأ كتابة التاريخ في تلك اللحظة • لحظة الفراغ التي تسبق عصور الاضطراب • وعليه أن يحفر في داخله جرح الماضي الدامي ويبكي على أيام ماضية ليست أقل سوءا ويضمن صفحاته توقعات هي أكثر شرا ••

• • •

يأتي الطبري من طبرستان الى سوق الوراقين في بغداد • والخلافة العباسية في بداية قرنها الرابع وقد دبت فيها الشيخوخة • تحللت الى عشرات الدول الصغيرة •• وصعد على عروش ولاياتها المئات من أمراء المؤمنين غير الذي في بغداد •• كانت فارس والري وأصبهان والجبل في أيدي بني بويه • والموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر في أيدي بني حمدان • مصر والشام في يد الاخشيد • وافريقية في يد الفاطميين والاندلس في يد عبد الرحمن الناصر الاموي • واليمامه والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي •• وليس في يد الخليفة الا بغداد •• وملكا يقاس بالاميال لا بعدد الولايات •• وسلطة صورية ليس منها الا الاسم •• والعباءة •• وأخذ الطبري يكتب نهايات تاريخه والحنابلة يحاصرونه في المسجد ويقذفون بيته بالاحجار حتى تكوم تل منها أمام بيته • ويستعدون عليه الوالي والخليفة حتى اضطر في النهاية أن يعتكف في بيته ليؤلف كتابا في الاعتذار عن أشياء لم يقلها • ويشيد بأناس لم يتعرض لهم ••

وشاهد ابن الاثير الجزري فلول المغول وهي تتجمع في سهول آسيا الباردة •• ثم ينقضون على قلب بغداد •• وبدلا من أن يتحول الدم الهمجي الى قوة تتدفق في عروق الحضارة الهرمة •• أصابها بنوع من التسمم الدموي •• وكتب في آخر صفحاته مرثية لأروع عواصم الاسلام في كل العصور ••

واختبأ ابن تغري بردي داخل القصور • يرقب الدراما المملوكية • الصعود من سوق النخاسين حتى العرش •• ثم السقوط في جب القلعة •• أو « العرقانه » •• ويرصد الدسائس التي تحولت الى قانون الحياة اليومية •• وعندما تفتحت عيناه على هذا العالم •• كان أبوه ـ أحد كبار القادة ـ طرفا في مؤامرة سياسية أطاحت بحياته •• واكتشف أن بني جلدته يأكلون بعضهم •• وأن الطاعون يدق عليهم أبواب القصور •• والنيل ينحسر ليكشف عن عظام الفلاحين الموتى بلا ثمن •• فحتى متى يظل الصمت ؟•

واستيقظ ابن اياس مذعورا على صوت دوي • ومدافع بني عثمان تدق أبواب القاهرة القديمة • وجنودها يعلقون المشانق على باب زويلة •



وأصابعهم تخلع الفسيفساء المطعمة بالصدف وتقلع المشربيات ورحل كل أصحاب المهارات الى اسطنبول ..

وتلفت الجبرتي خائفا في شوارع القاهرة . ان هرب من الفرنسيس لاقاه الغز . وان اختبأ من الانكشارية اكتشف الارناؤوط مكانه . والباشا في القلعة يلعب مع مؤرخه العاصي لعبة القط والفار .. وانتهى الجبرتي قبل أن ينتهي تاريخه .. وسقط القلم وهو يتلوى من السم الذي دسه له الباشا محمد علي .

يبدأ التاريخ مثل حلم رائق . مثل ذكرى .. ثم يتحول الى كابوس. ويبدو أن العربية هي قدر أكثر من كونها جنسا .. أو لغة .. أو عرقا ننتمي اليه .. نعاني منها وبها من التقادم كأنا على وشك الابادة . ونبقى دون تشكل كأنا حقيقة كونية .. فهل الوقائع هي نفس الوقائع .. وما حدث هو الذي يروى .. أم أن هناك اتفاقا عاما عبر كل أجيال صغار الكتبة وصغار الخلفاء على التزوير ..؟

.. عن الزمن العربي

قال الطبري لتلاميذه ..

ـ أتنشطون لكتابة تاريخ العالم من آدم حتى وقتنا هذا .؟.

قال التلاميذ .. كم يكون قدره .؟.

قال الطبري .. ثلاثون ألف ورقة ..

قالوا .. ان هذا مما تفنى الاعمار قبل تمامه ..

قال .. انا لله .. ماتت الهمم .

وبدأ يملي عليهم تاريخ العالم مختصرا ..

« الحمد لله .. الاول قبل كل اول . والآخر بعد كل آخر . والقادر على كل شيء بغير انتقال . والخالق خلقه من غير شكل ولا مثال . وهو الفرد الواحد من غير عدد . وهو الباقي بعد كل احد .. » ..

كان الطبري شاهدا على الخليقة . وراحلا في عصر الانبياء . وخائفا

في عهد الملوك • والزمن كله من بدء الخليقة حتى نفير القيامة سبعة آلاف سنة • لان الله خلق العالم في ستة أيام • وكل يوم من أيام الآخـرة مقداره الف عام • وقد مر من العمر البشري عندما بدأ الطبري في تدوين كتابه ستة آلاف ومائة عام •• ولم يبق في عمر الكون الا تسعمائة سنة• فاذا شبهنا الزمن الانساني بيـوم طويل يبدأ من الفجر فان ما بقي من زمننا هو لحظة الغروب الاخيرة ••

انتهى الزمن ونعيش الآن خارجه• هل يبرر هـذا تكاسلنا التاريخي ؟ وخيوط العنكبوت التي تخيم عـلى أفكارنا ؟ ان الطبري يأتي بعشرات الاسانيد عـلى صدق احصائياته •• مضى زمن المعجـزات وأظلنا زمن الفتنة وامتد التاريخ مثل حيـوان خرافي ••

ولكن •• لماذا التاريخ ••

يقول الجبرتي ••

« الغرض منه الوقوف على الاحوال الماضـية من حيث هي •• وكيف كانت • وفائدة العبر بتلك الاحوال والتنصح بهـا • وحصـول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن• ليحتـرز العاقل عن مثل احـوال الهالكين من الامم المذكورة ويستجلب خيار أفعالهم • ويتجنب سوء اقوالهم ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي •• » ••

لم ينتفـع الجبرتي بكل هـذه النصائح • وأصبح طرفا في صراعات لا يدري مداها • دفع ثمنها أولا ابنه « خليل » عندما اغتيل في شـوارع القاهرة •• ثم أخذ يهرف بالسم •• كان يموت والعالم الصاخب الـذي سجل شذرات منه يتحرك من حوله • الاشياء الجليلة والاشياء الحقيرة •• المماليك بخيولهم المزركشة والمدافع تحصدهم في امبـابة • وشـيوخ الازهر • وعميان الاروقة يقـومون بالاضراب ويغلقون باب المسـجد •

وتجار الغورية • وخفراء الليل على باب زويلة • والصناجق • وخادم النعال بالمشهد الحسيني • وفيالق



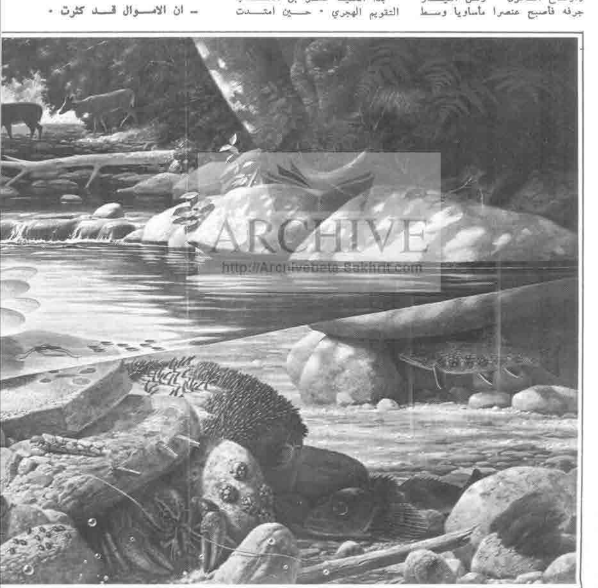
كان الجبرتي طرفا في صراعات لا يعرف مداها . دفع ثمنها ابنه حين اغتيل في شوارع القاهرة

الارناؤوط ، والانكشارية القاسمية ، والانكشارية الفقارية ، وجنود الفرنسيس بسلابسهم الزرقاء ، وشاراتهم المثلثة ، وأسعار الغلال واللحم والسمن واللبن والتمرحنه والبن والفحم وأيام الجوع ، وظهور التحاريق ، وانحسار النيل ، وارتفاع الطاعون ، ولكن التيار جرفه فأصبح عنصرا مأساويا وسط عشرات المآسي التي تحدث عنها .. وكان واهما حين قال ..

« هذا التاريخ .. لم اقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير ، أو طاعة وزير أو امير ، ولم اداهن فيه دولة بنفاق أو مدح ، أو ذم مباين للاخلاق لميل نفساني ، أو جسماني » ..

بدأ الخليفة عمر بن الخطاب التقويم الهجري ، حين امتدت الدولة ، وتكاثر الولاة ، وكتب أبو موسى الاشعري للخليفة يقول له .. « انه تأتينا كتب من أمير المؤمنين لا ندري على أيها نعمل .. فقد قرأنا صكا محله شعبان ، فما ندري ، أهو شعبان الماضي ، أم القابل ..؟ » ، وجمع ابن الخطاب وجوه الصحابة وقال لهم ،

ـ ان الاموال قد كثرت ،



وما قسمناه غير مؤقت •• فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ••؟••

قال الهرمزان •• وهو أحد الولاة الفرس وكان يحكم الاهواز عندما هزم وأخذ أسيرا وأعلن اسلامه على يد الخليفة •

– ان للعجم حسابا يسمونه « ماه روز » ويسندونه الى من غلب من الاكاسرة •



ومن « ماه روز » هذه اشتقت كلمة « مؤرخ » ومنها تاريخ وكان التاريخ الاعجمى يبدأ مع كل كسرى جديد يحتلي العرش • وقرر عمر أن يكون هناك تقويما واحدا يبدأ من الهجرة• أي أن يبدأ منذ السبعة عشر عاما الماضية ••

لكن العربية كانت أبعد من ذلك • فالعالم حين خلق • خلق بالعربية •





من الذي يستطيع أن يقاوم صورة الأرض المخلوقة على ظهر حوت؟

– كما يرى الطبري – وسوف ينتهي – حين ينتهي – بالعربية •• ورغم أن يعرب فيما زعم المؤرخون هو أول من تحدث بالعربية فان لغة آدم في الجنة كانت العربية •• بل وله أشعار عربية في رثاء ولديه ••

شاهد على التكوين ••

أول ما خلق الله من شيء • كان القلم • فقال له اكتب • قال القلم• وما اكتب يارب ••؟•• قال له •• اكتب القدر •• فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كائن الى الابد • ثم خلق سحابا رقيقا هو الغمام • لف الكون الخالي وكان الكون عماء • ما تحته هواء وما فوقه هواء • ثم خلق عرشه على الماء • واخرج من الماء دخانا فسما عليه سماء • وقسمها الى سبع سماوات •

ثم يبس الماء فجعله أرضا واحدة • ثم فتقها فجعلها سبع أرضين • وكانت الارض مخلوقة على ظهر النون •• وهو الحوت السابح في بحر الابدية• وحين اراد الله أن يدحو الارض ويضع فيها أرزاقها • تحرك الحوت فاضطربت الارض وتزلزلت فارسى عليها الجبال فقرت • فالجبال تفخر على الارض •• ثم خلق الظلمة والنور وميز بينهما • فجعل الظلمة ليلا أسود مظلما • وجعل النور نهارا مضيئا مبصرا • وخلق الله شمسين من نور عرشه • وفي بادىء الامر لم يكن يعرف الليل من النهار •• فارسل الله جبريل فمر بجناحيه ثلاث مرات على وجه القمر وهو يومئذ شمس ، فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور •• وبقيت خطوط سوداء على وجه القمر من اثر المحو • ودار الفلك دوران العجلة • فلو اقتربت الشمس لاحرقت كل شيء على الارض حتى الصخور والحجارة • ولو بدا القمر لافتتن اهل الارض حتى يعبدوه من دون الله • وبدات حركة الزمن في الصيرورة •• كل نهار يتلوه ليل الى يوم القيامة فهو يوم عقيم •• نهار لا يتلوه ليل ••

هكذا • خلق الله الارض يوم الاحد• وخلق الجبال يوم الاثنين • وخلق ما فيها من منافع للناس يوم الثلاثاء• وخلق الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء • وخلق السماء يوم الخميس • وخلق النجوم والشمس والقمر والملائكة يوم الجمعة ويقى من اليوم ثلاث ساعات• فخلق أول ساعة الآجال • من يحيا • ومن يموت ••؟•• وفي الساعة الثانية ألقى الآفة على كل شيء •• وفي الساعة الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر الملائكة بالسجود له • ولم يختر ابليس الوقت المناسب فرفض السجود فطرد في نهاية الساعة الثالثة وفي مثل هذه الساعة تقوم القيامة •

وانتهت الخليقة في هذه الايام الستة • ونسى الطبري أن يضيف كما قالت التوراة •• « وارتاح الله في اليوم السابع » حتى هنا ولم يكتشف مدى تغلغل الاسرائيليات في التصور العربي لبداية التكوين ••

ورغم أنه يذكر أسماء أيام الاسبوع العادية •• فانه يستدرك بان هذه لم تكن الاسماء الاولى التي سجلها القلم حين بدأ الكلمات •• أن أسماء الاسبوع كانت •• أبجد •• هوز •• حطي •• كلمن •• سعفص •• قرشت •• وهي أسماء مركبة من توالي الحروف الابجدية •• فهل كان الطبري يسخر وسط هذه الجدية الصارمة ؟•• لقد كان شاهدا على التكوين • وأورد القصة بمختلف الاسانيد •• وحاول ـ مثل معظم المؤرخين العرب ـ أن يحتمي بعدد من الاحاديث النبوية التي كان أول من يعرف انها منتحلة •• ويعترف أن اليهود مدفوعين بسوء النية أو برغبتهم في جمع المال قد زيفوا كثيرا من الروايات والاحاديث ••

ويبدو أن الطبري قد أعجب بذلك الخيال البدائي ـ من الذي يستطيع أن يقاوم صورة الارض المخلوقة على ظهر حوت ••؟ •• أو لعله أعجب بغموضها الرمزي •• أو لم يجد روايات بديلة •• أو فضل أن يبدأ







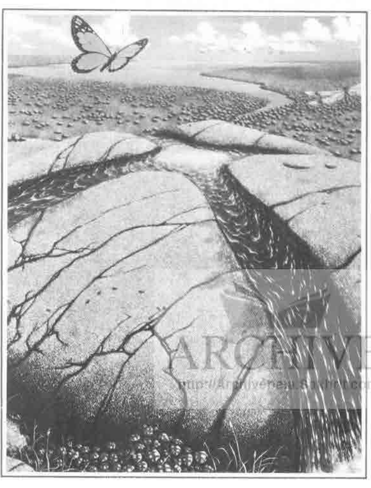
بما لا يعرف حتى اذا دارت عجلة التاريخ وصل الى حيث يعرف ..

على أي حال لقد بدأ الزمن .. وتوالت ساعات الليل والنهار ..

فمن اين جاء العربي الاول ؟

ساكن الارض المحروقة والفيافي الشاسعة التي يحوطها البحر من جهاتها الثلاث وتصلى الشمس كل حبة رمل فيها . منذ أن انتزعت هذه القطعة من افريقيا . وشق البحر الاحمر أخدوده بينهما وكفت الهجرات المتبادلة . ولم تستقر القبائل الا بعد مخاض طويل استغرق قرونا طويلة .. وأبيدت أقوام عربية كاملة .. مثل هود .. ولقمان .. وثمود .. وجديس .. وعبيل .. وطسم .. وجاءت أقوام أخرى من الجنوب اليمني .. ومن الشمال السومري . وامتزجا ليصنعا حياة قاسية وسط طبيعة قاسية .

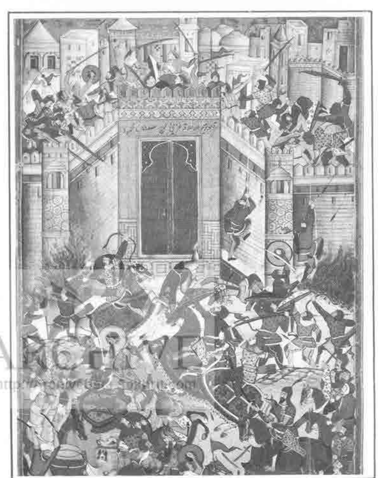
وسط « الحرار » وهي الارض البركانية التي لم تكن تهدأ . احجارها الصلدة كالرماح .. وباطن الارض قلق مليء بالنذر حتى سجد الناس في جنوب اليمن وعبدوا الحمم التي لا تكف عن التصاعد .. ووسط « الدهناء » ذات الرمال الحمراء وسلاسل التلال المتتابعة ، والاعشاب التي تزدهر سريعا . وتموت سريعا . وصحراء « النفوذ » الواسعة .. ورملها الابيض تذروه ريح لا تهدأ . وسراب لا يروى . تمتد حول الجزيرة اشبه ما يكون بنعل الفرس . وعندما يأتي الشتاء تكتسي هذه الصحراء بمساحة من الخضرة الشاسعة سرعان ما تتبدد مع اول عاصفة رملية . وتكنس ريح السموم الارض كنسا . وهناك « الدارات » وهي الفجوات الضيقة بين الجبال . تمتلىء احيانا بالرمال الخادعة التي تلتهم كل من يضل طريقه بينهم . واحيانا بشقائق النعمان لعل عاشقا صغيرا يهدي زهرة الى معشوقته الصغيرة .. وتمتد سلاسل جبال « السراة » عمود الجزيرة الفقري حتى حواف الشام . لا توجد انهار من اي نوع .. والاودية مهددة بالسيول .. وفي وسط هذا كله .. جاء العربي الاول ..



ينتمي العرب الى جدين . الجد الاول هو قحطان . والجد الثاني هو عدنان . وهو تقسيم رمزي أكثر منه واقعي . ذلك الترادف بين الاسمين يبدي بوضوح أنها الثنائية المألوفة التي نجدها عند كل الشعوب البدائية . ويطلق عليها المؤرخون العرب تسمية غاية في الركاكة .. « العرب العاربة » التي تنتمي جذورها الى قحطان . « والعرب المستعربة » التي تنتمي بجذورها الى عدنان .. فمن أين جاء قحطان . والى أين ذهب عدنان ؟ . لا أحد يدري . توجد أقوال عديدة . واسانيد كثيرة . تشبه في مجموعها الاقوال والاسانيد التي قيلت عن نشأة الكون .. ولكن بنظرة أكثر قربا .. فان عدنان هو الوجه الاخر لقحطان ..

ينتمي العرب الى جدين : الأول قحطان والثاني عدنان

ان قحطان هو الجد الاول للعرب الذين جاءوا من اليمن .. وحكم هذه الصحراوات الشاسعة لمدة مئتي سنة . وانجب ابنه « يعرب » الذي



تنسب اليه العربية والعرب .. من أبنائه أيضا « سبأ » صاحب السد المشهور . « وحضرموت » . « ويغوث » . « وهذرم » . « ويأمن ».

وأسماء أخرى تفرقت بعرض الصحراء فاعطتها أقوامها ومسمياتها وحولت الخلاء الى أماكن معلومة . والاودية الى قرى .. وتسميت القبائل بأسماء هؤلاء الابناء . كانوا البذرة التي فرعت وأعطت الرجال الصلدين الذين خلقوا هذا النمط الوعر من الحياة .. حيث لا تنام عين . ولا تنطفي نار .. الا وحل الموت ..

ثم جاء اسماعيل عليه السلام من الشمال . وبنى البيت . وكان العدنانيون . وحدث التزاوج بين الشمال والجنوب . وجاء من العدنانيين .. الشعراء والمفكرون والانبياء .. وجاء منهم خير ولد عدنان محمد عليه الصلاة والسلام .. أنهم الوجه الروحي لوجه عدنان المادى وهما معا يكونان جسدا واحدا لاقوام واحدة مهما اختلفوا أو تنازعت أنسابهم . لقد تفاخروا طويلا . وتباهوا بالانساب . كانت ثروتهم المعنوية حين ضنت عليهم الطبيعة بالثروة المادية ـ فلا يكفي أن يحفظ الانسان نسبه حتى آخر جد .. بل يعرف أيضا نسب حصانه . وفصائل ناقته . ومن أي صلب صنع سيفه . ان الارض الرملية تقتلع كل شيء . لا تبقى على أي جذور داخلها . فلم يكن هناك بد من غرس هذه الجذور الفكرية لعلها تبقى حين تقتلع الريح كل شيء .

وتم التزاوج بين المادة القحطانية التي ظلت مضيعة . والفكر العدناني الذي لم يستطع تجميع شذراتها حتى ظهر آخر الانبياء ليقودها . واستلزم الامر كثيرا من الجهد العدناني كي يعيد صياغة هذه العقلية . فهذا العربي الذي يؤمن بالحرية ايمانا مطلقا تجعله عصيا عن التطويع . يفهم من الحرية جانبها الشخصي فقط . لا يذعن بالطاعة لأي سلطة . تاريخ قبيلته هو تاريخ الغزوات . فكيف يخضع لسلطة دينية وسياسية واحدة . كيف يمكن أن يطوع ذلك الذكاء الفطري الذي يعتمد على حسن البديهة والتلاعب بالالفاظ ، الى ذكاء خلاق مبتكر . ويتحول العربي الذي لسانه أمهر من عقله الى عربي عقله أمهر من لسانه .. كيف يفتح آفاق هذا الخيال المحدود الذي يحده الشظف الصحراوي والضرورة الحياتية ويضعه على أعتاب العالم الجديد ..؟

هذا هو السؤال . وهذه هي البداية التي حاول العربي منها اكتشاف العالم . وان يتخلى عن احساسه الدفين بأنه وحده في مواجهة طبيعة قاسية . لا يحميه الا الجلد الذي يكسو عظامه والعقيدة التي تملأ روحه .. وعندما أتيح له أخيرا أن يقيم دولته . أقام بدلا منها « عالما » مليئا بأقوام مختلفة .. ولغات وديانات وثقافات متباينة . لعله يحس بقليل من الأمان والألفة. وصنع من حضارته حلما .. كان جميلا بقدر ما كان قصيرا .. مليئا بأشعار الفخر .. وأكثر منها أشعار المراثي ..

تخلق الكون . وجاء العربي الاول .. وبدات الوقائع العربية .

فمن أين تبدا الحقيقة ..؟..

محمد المنسي قنديل





شعر: نور الدين صمود

هذا جمالك ملء القلب يبهرني

اذا سكت فان العين تفضحني

رسائل الشوق لم تفتر حرارتها

تبثها مقلتي في الصحو والوسن

ارجوك ان تفهمي عيني انهما

تحدثانك في سر وفي علن

ماذا أرى ؟ أي سر دب في جسدي ؟

فكل ما فيك مثل السحر يسحرني

العين باب لما في القلب يفضحه

وفي عيونك الغاز تحيرني

قولي - فديتك - ماذا في عيونك من

اسرار قلبك ؟ إن الصمت يرهقني

وحسنك الغض أحلى ما تجود به

هذي الربوع وما تعطي من المنن

كنز يفوق كنوز الارض أجمعها

ويملأ الكون بالابداع والفتن

أضحى جمالك في عيني مزرعة

من المفاتن تضنيني وتسعدني

قدست أرض جدودي فهي قد منحت

هذا الجمال ، فما أحلاك ياوطني .

نور الدين صمود

زائـــر منتصف الليـــل

لم يكن من السهل وانا طبيبة شابة ان استوعب بسهولة هذا المشهد الذي فوجئت به امامى بعد منتصف الليل في بيتى الذي اقيم به في احدى قرى الريف المصري . فعندما قمت من النوم مذعورة على صوت ارتطام بالارض وكسر زجاج لم احدد سببه ، وما ان اضات النور حتى تملكنى الخوف وانا اصدم بهذا المنظر : رجل غريب وعينيه شاخصة إلى في بريق غريب لا ادرى هل ينم عن توسل أم عن الم وخوف ؟

وكان واضحا ان الرجل الغريب قد اصيب برصاصة في كتفه .. وتصاعدت اناته التي حرص ان يكتمها بقدر الامكان . في تلك اللحظة نسيت خوفي .. نسيت وحدتى .. نسيت انى امام رجل غريب لا اعرف عنه شيئا . وتحركت بداخلى نوازع المهنة ومشاعر الانسانية . لم اتذكر عندئذ الا شيئا واحدا وهو انى طبيبة مهمتها الأولى تخفيف الام الناس .

وبعد نصف ساعة كانت الرصاصة قد استخرجت والرجل يرقد من التعب والانهاك في اغفاءة طويلة .. وعندما استيقظ الرجل في الصباح وسط ضماداته فوجيء بوجود الشرطة الذين استدعيتهم في الصباح وقد ادركت من لقائهم به انه يعرفهم وانهم يبحثون عنه منذ الليل بعد ان حاول الهرب ، واصيب بطلق نارى اثناء نقله من القسم إلى المحكمة لحضور محاكمته .

وشرح لى ضابط الشرطة الامر :

ان هذا المصاب متهم في احدى قضايا الثار ولكنه ينفى اي صلة له بالجريمة رغم ثبوت الادلة عليه .

وتمر الأيام وافاجأ به يطرق الباب بنفسه . كانت عيناه ممتلئتين بالفرح والأمل بدلا من التوسل والخوف والالم . وبعد ان دعوته للدخول اخبرنى بان الشرطة قبضت على القاتل الحقيقى الذي اعترف بجريمته .. ومن ثم اطلقوا سراحه .

ورجانى ان يعمل عندى واقسم انه سيكون تابعا مخلصا مدى الحياة وفاء بما اسديته له من جميل عندما انقذت حياته من الرصاصة .

ولما كان عملى الحكومى في تلك الضاحية النائية من ريف مصر يحتاج إلى خروجى في اي لحظة لزيارة المرضى واسعافهم فقد قبلت ان يعمل مساعدا لى .

وعندما اراه الان يساعدنى في عملى لا يخطر ببالك ابدا ان هذا الممرض والذي اتقن مهنته كان في يوم من الأيام هاربا من تهمة قتل ، وكان من الجائز جدا ان تثبت التهمة - زورا - عليه ، لو لم تتوصل الشرطة إلى القاتل الحقيقى .

دربة رسمى أحمد

القاهرة



حيـــاة الخشونـــة



عندما تمر دقائق وساعات هذه الايام المملة ، بهذا المرور البطيء يخيل إلينا ان هذه الدقائق والساعات قد -امست اشهرا او اعواما.

فى هذا المعسكر تتشابه خواطرنا وافكارنا واهدافنا نحن الطلاب ، وإن اختلفت بنياتنا الجسمية واعتيادنا على الخشونة الجديدة التى عشناها فى هذه الايام

كانت حياة خشنة .. كنا نسهر على ضوء الفانوس البترولى ، وننام على الفراش الخشن بدون وسائد ، بين الغبار ومع الحشرات المختلفة الانواع

إن حياة هذا المعسكر ليست جديدة على من اعتاد الخشونة منذ صغره ، ولكنها غريبة على انا .. يقال ان هذه الحياه شبيهة بحياة الجنود على الجبهة ، ولكن المهم .. ما يعصف بكيانى ويجـــعلنى اذرف هذه الدموع السخية . انتابنى شعور غريب لم استطع ترجمته عندما امسكت بالبندقية ، اتدرب عليها وصوبت تصويبها . وعندما اهتز كتفى ناديت : تعال يا ابى .. وانظر لولدك كيف يمسك بالبندقية .

وعندما اصطففنا لنمشى المشية العسكرية ، ووقع خطانا يصم الاذان تذكرت ابى مرة ثانية ، حيث كان يحثنى دائما على عمل اى شيء مفيد خلال الاجازة الصيفية . وهكذا تغير نظام حياتى كلية ، وصار عسكريا . أصحو يوميا من النوم فى الساعة الخامسة على صوت البوق ، واسارع بارتداء ثيابى العسكرية، والحذاء ذى الرقبة ، واحيانا خوفا من العقوبة كنت ابكى .

يوم الخميس ، كنا نركب السيارة كقطيع الماشية لنقضى يوم الجمعة بين اهلينا .. وفى وسطهم كنت اشعر انني جندى .

ومع ذلك .. لقد اصبحت - ومعى زملائي - شيئا اخر فقد إسمرت بشرتنا بعد بياض وقويت عضلاتنا بعد ضعف ، وتعودنا النظام وطاعة الاوامر بعد الحياة الفوضوية ، وعرفت من هذه التجربة ان الرجل باعتياده الخشونة ، يستطيع ان يواجه الحياة ، وان يتحمل مشاقها .

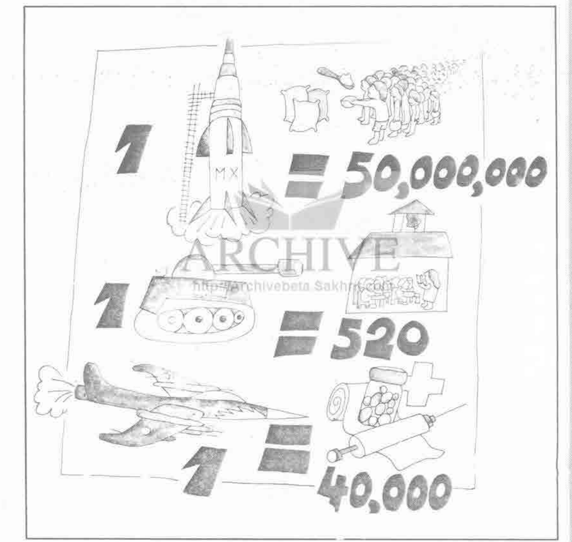
بشير شيخ ورق

سـوريا

أسلحة الدمار

والثمن الباهظ

من اجل نزع السلاح أصدرت الامم المتحدة عدة رسومات توضح بها خطر انتاج الاسلحة ودورها في تدمير اقتصاد الشعوب .. وهذه هي اللوحات التي تعبر عن مأساة سباق التسلح في حياة البشرية جمعاء .

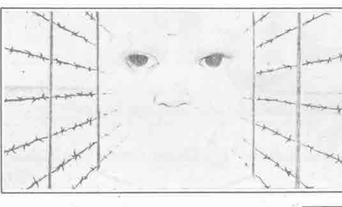


● تكاليف صاروخ جديد عابر للقارات يكفى لاطعام ٥٠ مليون طفل يعانون من سوء التغذية فى الدول النامية .

● تكاليف دبابة واحدة أى نصف مليون دولار يكفى لتجهيز ٥٢٠ غرفة دراسية فى المدارس مجهزة بأحدث المعدات ، تسع كل غرفة منهما ٣٠ طالبا

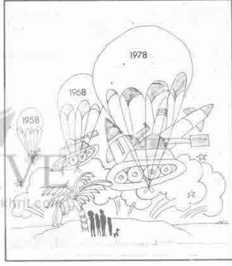
● تكاليف طائرة نفاثة واحدة مقاتلة تكفى لانشاء ٤٠ الف صيدلية فى المناطق الريفية .

في حياتي لم يوقفني احد في الطريق ليسالني أن اتبرع للأسلحة النووية ، وهذا ببساطة لايحدث لأن الحكومات تتولى ذلك بنفسها ، ولكنني ارى أكواما من الأطفال الذين يجب أن تهتم بهم الحكومات وكل الناس . إننا في حاجة إلى خلق عالم جديد ، عالم له قيم مختلفة عن قيم اليوم فالتعليم لايمكن أن يكون لب التغير وإنما يمكن للتعليم أن يكون بداية لعملية تسهيل فهم الواقع ، الواقع الذي سوف يؤدي إلى إحداث التغير في نهاية الأمر .

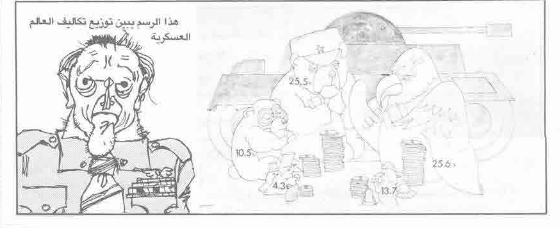


في عام ١٩٧٨ كانت تكاليف العالم العسكرية حوالي ٤٠٠ الف مليون دولار بينما كانت تكاليف العالم للتعليم في نفس السنة ٢٧٠ الف مليون دولار و ٢٠٠ الف مليون دولار انفقت على الصحة ، وانفقت ايضا ٣٠ الف مليون دولار كمساعدات اقتصادية.





يوضح التصميم قيمة الأسلحة الرئيسية التى تنقل الى دول العالم الثالث .



هذا الرسم يبين توزيع تكاليف العالم العسكرية

من كل نبع قطرة



ونحن نبدأ عام ١٤٠٠ هجرية تجربة مسبوقة وجديدة لأمير الشعراء أحمد شوقي

وهكذا دخلنا في « صفر » .. الشهر الثاني من العام الاول في القرن الخامس عشر الهجري .. دخلناه و « قطر » خارجة لتوها من احتفالها بالمؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية وهو الثالث من نوعه والاول من حيث انعقاده لاول مرة في بلد عربي .

الاول كان في باكستان واستضافت الثاني تركيا .. من هنا كانت اهمية هذا المؤتمر الثالث فأولى الناس بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم العرب الذين نزل القرآن فيهم وبلسانهم .. وجانب آخر أضاف بعدا جديدا لأهمية المؤتمر واتساعا لفائدته وهو احتفاله الى جانب السيرة النبوية بالسنة المطهرة أي انه ضم التاريخ كعلم صرف الى السنة كعبادة متجددة .. وبهذا جمع المؤتمر فأوعى وفي قطر طاب له المرعى .. فدرس وتأمل ، وحلل وتمثل .. وكانت الحصيلة ، وافرة نبيلة ، تهدف في مجموعها الى تقديم سيرة نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم لكل مسلم .. وربط كل مسلم بسنة نبي الاسلام .. وما أروعه من هدف يقصد الى تجمع المسلمين — كل المسلمين — حول السيرة والسنة الصادق الامين .

أيام مجيدة بحق .. تلك التي عاشتها قطر المسلمة العربية فاتحة ذراعيها مرحبة بطليعة وقادة مفكري وعلماء المسلمين .. ثم وهي تحتضن عددا من توصيات المؤتمر وتلتزم بتنفيذها وفي مقدمتها انشاء مركز للدراسات الاسلامية ، مهمته التعريف بالاسلام على مستويين « أكاديمي » للمفكرين من غير المسلمين الذين يناقشون الاسلام ويتعرضون لاصوله وقضاياه .. و « جماهيري » بالنسبة لعامة المسلمين الذين يحتاجون الى ما يربطهم فكرا وجسدا .. تمثلا بقول سيد المرسلين « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .. واذن فمهمة هذا المركز مزدوجة جليلة . معاصرة وأصيلة .. ويا أمة « محمد » على البناء ..!

« وكتاب » هذا اللقاء لا يبتعد بنا عن هذه المقدمة بل هو داخل في صميمها فهو يضم هذه المجموعة من الأشعار التي كتبها أمير شعراء العربية « أحمد شوقي » تحت عنوان « دول العرب وعظماء الاسلام » .. وهي مجموعة كتبها في منفاه — اسبانيا — حيثما أبعده الانجليز بعد اشتعال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ — واعلان الحماية على مصر وخلع الخديوي عباس حلمي الثاني بحجة أنه مشايع للاتراك وكانت تركيا الى جانب المانيا في وجه انجلترا وحلفائها .. وكانت تركيا في هذا الوقت عاصمة الخلافة الاسلامية ولهذا وقف الوجدان الشعبي المسلم الى جوارها وتعاطف مع كل الذين نفتهم سلطات الاحتلال لعلاقتهم بها .. وغنى الاطفال في مصر « الله حي عباس جي » .. وهي اهزوجة فولكلورية كانت شائعة بين أطفال القاهرة حتى الأربعينات من هذا القرن .. المهم أن شوقي تم ابعاده عن مصر لعلاقته الحميمة بالخديوي المخلوع الذي كان آخر من حمل لقب « خديوي » فبعده تولى السلطان حسين كامل ثم السلطان فؤاد فالملك بعد هذا .. استقر « شوقي » في أسبانيا وتفجرت مرحلة جديدة من مراحل عطائه الشعري وهي مرحلة هذبها الحنين ورقق حواشيها الشوق والسهر .. فانطلقت من منظور عالمي رحب .. واشتهر من قصائد شوقي في هذه الفترة .. قصيدته التي يخاطب فيها « ابن زيدون » الشاعر الاندلسي ماضيا على نسق « نونيته » الشهيرة وزنا وقافية ..

يبدأ ابن زيدون قصيدته بقوله :

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ويبدأ شوقي قصيدته قائلا :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا
نأسى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير أن يدا
قصت حواشيك جالت في حواشينا !

ابن زيدون كتب قصيدته وهو سجين .. وشوقي يعارضها وهو منفي مبعد و .. « ان المصائب يجمعن المصابينا » !

وبعد أن يطوف بنا شوقي في أطياف الفردوس المفقود ينفلت ويعود مخاطبا أهله وعشيرته على ضفاف النيل المبارك الغائب :

يا ساكني مصر انا لا نزال على
عهد الوفاء — وان غبنا — مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركمو
شيئا نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة
ما أبعد النيل الا عن أمانينا

وتصل هذه الصيحة الملتاعة مصر ·· وينهض أكثر من شاعر لاستغاثة شوقي وفي مقدمتهم حافظ ابراهيم الذي قال :

عجبت للنيل يدري أن بلبله
صاد ويسقي ربى مصر ويسقينا
والله ما طاب للاحباب مورده
ولا ارتضوا ـ بعدكم ـ من عيشهم لينا
لم تنا عنه وان فارقت شاطئه
وقد نأينا وان كنا مقيمينا !!

وهذه المجموعة التي أبدعها شوقي خلال نفيه وابعاده عن أهله وبلاده شاء القدر ألا تطبع وتخــرج للناس الا بعد رحيل شوقي الى جوار الحي الذي لا يموت ·· ظهرت المجموعة في مارس ١٩٣٣ وبعـد رحيل شوقي في ١٢ أكتوبر عام ١٩٣٢ ·

أسلفنا أن هذه المجموعة حملت اسم « دول العرب وعظماء الاسلام » ·· وقد بدأها شوقي وفي ذهنه أنه يقدم تجربة شعرية في مجال الكتابة التاريخية وقدمها بشكل جديد مسبوق ·· مسبوق لان تراثنا العلمي عمل عددا من الكتب التي أرخت بالشعر للاحداث الهامة في حياة المسلمين ·· وجديد ·· لان شوقي كان ينظر لهذا التاريخ من منظور « الغربة » التي بعثت فيه كل هـذا الحنين لسيرة الرجال الاولين ·

وتتصدر الكتاب مقدمة شعرية بدأها بقوله

الحمد لله القديم الباقي
ذي العرش والسبع العلا الطباق
الملك المنفرد الجبـــار
الدائم الجلال والاكبار
وارث كل مالك وما ملك
ومهلك الحي ومحيي من هلك
منزل الذكر بغـير الألسن
مشتملا على البيان الأحسن
أوحى الى رسوله ما أوحى
من كل غراء تضيء اللوحا
وقص أنباء القرون في السور
موائل الحسن كأمثال الصور
وأفضل الصلاة والسلام
على أجل رسل الســلام
من بلغت أمته بـه الأرب
ورفعت همته ذكر العرب
صلى عليه الله فـي سمائه
وعرشه السابح في أسمائه
وجعل الجنة من رحابه
وزفهـا لمحسني أصحابه
خلائف الحق أئمة الهدى
الرافعين بعده ما مهــدا
الفاتحــين بالقنــا للحق
المنقذين من قيــود الرق
وبعد ، فاسمع يا بني وافهم
لا تأخــذ الأمــور بالتوهم
لما رمى الله بهذي الحرب
على بني الشرق وأهل الغرب
لحكمــة يعلمهــا تعــالى
يملأ من اسرارها الأفعالا
يبرزهـا غــدا من الخبــاء
ان غدا يأتيك بالأنبــاء
تحركت سواكن الأقــدار
واضطردت عوامـل الاكدار
وحكم الله بهجــرة الوطن
وطالما ابتلي بهــا أهـل الفطن
فكنت أستعدي علـى الهمـوم
بنــات فكر ليس بالملموم
أستدفع الفــراغ والعطــاله
وبطل من يقتل البطــاله
حتى أراد الله أن نظمت
من سير الرجال ما استعظمت
علما بمــا تبعث في الأحداث
جلائل الأعمــال والأحــداث
ان الصبي ان تغــذيه اغتذى
أكثر عليه في المثال المحتذى
واخترت بحرا واسعا من الرجز
قـد زعموه مركبا لمن عجـز
يرون رأيا وأرى خــلافه
الكأس لا تقوم الســلافه
وقيمة اللؤلؤ في النحور
بنفسه وليس في البحور

ونحن نبدأ عام ١٤٠٠ هجرية تجربة مسبوقة وجديدة لأمير الشعراء أحمد شوقي

والحسن ما لم يك في الكلام
عرضك التحسين للملام

● وشوقي في هذه المقدمة يثير عددا من القضايا منها ـ استعداد العود الاخضر للتشكل والتلون ·· (وينشأ ناشيء الفتيان منا ـ على ما كان عوده أبوه) ومن هنا وجبت رعاية النشء وتوفير أفضل الوان هذه الرعاية وفي مقدمتها اضاءة حاضره بتفتيح عينه على ماضيه :

علما بما تبعث في الاحداث
جلائل الاعمال والاحداث

والاحداث الاولى ـ صغار السن والناشئة ـ والثانية ـ الوقائع بمعنى « ما حدث » ·

قضية أخرى يثيرها شوقي وهي دفاعه عن استخدامه لبحر « الرجز » فليس هو كما زعم القدماء حيلة العاجز لسهولة ايقاعاته وبساطة تفعيلاته ·· فالتفعيلة ليست هي المهمة في نظر شوقي ·· المهم ماذا ترتدي هذه التفعيلة من ثياب ·· وليست الكأس هي التي تحدد جودة الشراب ·

والرجز الذي يعتذر شوقي عن لجوئه اليه هو احد بحور الشعر التي نص عليها « العروضيون » وهو بحر شائع الموسيقى قريب المتناول وايقاعاته :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن ·

ومثلها كذلك ويكتمل البيت صدرا وعجزا ـ بضم الجيم ـ ·· يتميز « الرجز » كما لاحظنا في النموذج الشوقي بتغير القافية وعدم اضطرادها من بيت لبيت ·· واشتهر بحر « الرجز » وذاع ·· بل واشتهر شعراء بأنهم لا يقولون الا من هذا البحر فسموا « الرجازون » وأشهرهم « حجاج بن رؤبة » وهذا اللون من الشعر يطلق عليه « الارجوزة » ·· وكان هؤلاء « الرجازون » يتنافسون برجزهم وجها لوجه ·· هذا يقول بيتا ·· والثاني يرد عليه وعلى السامعين أن ينتصروا لهذا أو يرجحوا ذاك !

والرجز في « اللغة » العتاب والنهي ··

ويقول احد علماء « العروض » محاولا تأكيد ايقاع هذا البحر في وجدان الطالب والمستمع ·

ياراجزي باللوم في البدر الذي
اهوى وعشقي كان فيه المبتغى
مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن
اذهب الى فرعون انه طغى

نعود بعد هذا الى اعتذار شوقي لاستخدامه بحر الرجز فنرى أنه اعتذار شكلي لا ضرورة لاثارته فمن سبقه من العلماء والمفكرين لجأوا الى هذا البحر وهم يبسطون زادهم التعليمي للناشئة من الطلاب في محاولة « لتنغيم القواعد » ليسهل حفظها وتعاطيها ، وهي ظاهرة انفرد بها تراثنا العربي ·· ورأينا النحوي العظيم ، العلامة « ابن مالك » يشتهر بالفيته التي ضمت الف بيت من الشعر كلها من بحر الرجز وقدم فيها كل قواعد اللغة العربية ـ نحوا وصرفا ـ ·· وبسرعة نحاول تعريف قرائنا بها ·· فنفتح الصفحة الثالثة من « الالفية » « باب الكلام » :

كلامنا « لفظ مفيد » كـ « استقم »
اسم وفعل ثم حرف « الكلم »

وبعد أن يعرف ابن مالك « الكلام » بأنه اللفظ المفيد يقدم نموذجا مثل « استقم » وهي لفظة أفادت الامر بالاستقامة ·· بعد هذا يعرف الاسم بأنه الكلمة التي تقبل « الجر والتنوين والنداء ودخول حرف « أل » والاسناد للاسم ·

بالجر والتنوين والندا وال ·
ومسند للاسم تمييز حصل ·

أما الفعل فهو يتميز بقبوله تاء المخاطب وتاء التأنيث وياء المخاطبة ونون التوكيد وهو ينجلي ويظهر بكل هذه الامارات والدلائل :

بتافعلت وأتت و « يا » افعلي
ونون « اقبلن » فعل ينجلي !

ويعرف « الحرف » بأنه سواهما ـ الفعل والاسم أي لا يقبل علامات هذا وذاك !

سواهما « الحرف » كـ « هل » وفي ولم
فعل مضارع يلي « لم » كـ « يشم » !

المهم في كل هذا أن ابن مالك وهو يقصد الى هذا الغرض الشريف ·· تقييد اللغة بهدف اطلاقها لكافة المتعلمين ·· لم يعتذر عن استخدامه « بحر الرجز » فما بال شوقي يعتذر ؟

هل هو بسبب طول عهد الناس بالرجز الراقي أيام عصوره الزاهية بحيث أصبح مرادفا لمجرد السهولة وليس السهل الممتنع كما كان ؟

هل لان « النحاتين » انتهوا به الى نوع من النظم البارد لا روعة فيه ولا اقتدار مما اضطر « شوقي » لمثل هذا الاعتذار ؟

ونحن نطرح هذين الاحتمالين لاعتذار شوقي لا ننسى آخر بيت في مقدمته :

او مر مر الكرماء معرضا !
فان تجد عيبا فكن عن الرضى

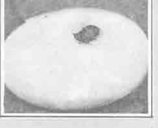
ومن حق شوقي علينا أن نستجيب له فنمر مر الكرماء شاكرين له تقديم هذه الافياء ·

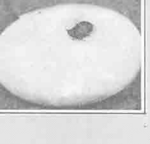
ثم ماذا عن البقية ، في هذه الرحلة الشوقية ؟

ميعادنا ـ لقاؤنا القادم ـ ان شاء رب البرية ·

من البيضة للحراشيف !







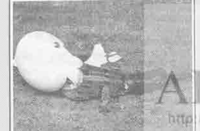




كل كائن حي ، انسان او حيوان او نبات .. ، يخرج للوجود بصيحات اذا دقت الساعة وحانت اللحظة .. من بطن الام .. من البرقة .. من الارض .. من البيضة تنوعت اسباب الظهور واتحدت النتيجة في هذا الكائن الجديد الذي يدق ابواب الحياة

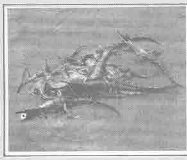


والتمساح هذا الحيوان الشرس الصلب ذو الحراشيف المدببة المتوقفة .. يخرج من بيضة بريئة لا توحي بذلك تستوقفك محاولاته للخروج من الرحم .. فاذا شب على عوده



اصبح ذلك التمساح المخيف .. ! وقف المصور الفنان ليعكس بالكاميرا معجزة الفنان الاعظم وكانت هذه الصور السبع من البيضة الى التماسيح الصغيرة .. وسبحان من هذا وجوده .. خالق كل شيء !





صوفي يصف الحسن البصري

الحسن البصري من كبار وعاظ البصرة وعلمائها اشتهر بتقواه وورعه وزهده .. كانت امه «خيرة» مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .. وكانت ام سلمه ترضعه اذا غابت امه .. وقال بعضهم ان هذه الرضاعة المباركة سبب فصاحته وحكمته .

وصف « يونس بن عبيد » الحسن البصري بقوله :

كان اذا اقبل فكانه اقبل من دفن حميم .

واذا جلس فكانه امر بضرب عنقه .

واذا ذكرت النار فكانها لم تخلق الا له .

وانتقل الحسن البصري الى رياض الصالحين في العام العاشر من المائة الثانية الهجرية .

أحمد عبد الحميد الاجدر
القاهرة

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

المقامة الكسنجرية



قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الانام والدور :

حين عرفت الشيخ « حنفي كساب » .. كان لتوه خارجا من مرحلة « القبقاب » ، وهي مرحلة استمرت خلال طلبه النحو والتصريف في الازهر الشريف ، وحين لم تسمح ظروفه بالمواصلة ، اختصر المسالة ، وعين نفسه معلما في احد الكتاتيب ، وكان هذا آخر عهده بالقباقيب » فقد لبس المركوب الاحمر ، وراح يمشي به ويتبختر !

في هذه المرحلة عرفته ، وآنست خفته فاحببته ، وكنا ندعوه الى اللقاء ، او يدعو هو نفسه على حد سواء ، فلا يجد منا الا كل ترحيب ، يرده هو الى كونه من اصحاب المراكيب !

وذات صباح خرج ولم يعد ، وانقطعت اخباره عن البلد ، وقال قوم مات بداء المعدة ، وقال اخرون بل هاجر « نيوزيلنده » واتفق الطرفان في نسيانه ، بعد ان غاب عنا بوجهه ولسانه ، ومر على هذا الكلام خمسة اعوام ، واذا بي ارى الشيخ حنفي راى العين ، يسوق « فيات » الفين ١٠٠ وصحت اناديه : حنفي .. شيخ حنفي .. استاذ حنفي .. حنفي بك .. فتوقف عند سماع « حنفي » الاخيرة ، واطل براسه الاصلعة مثيرة .. وعرفني حين رآني ، فنزل واخذته في احضاني .. وقبل ان اساله « كيف ومتى .. واين » ، قال ساحكي لك شرط ان يكون سرا بيننا نحن الاثنين ، فوعدته وواعدته والتقينا ، ودار الحديث الهويني ، قال الشيخ حنفي :

عرفت واحدا من اكابر القوم ، وممن تعلموا في بحر الذهب العوم ، وكان من المؤمنين بالطريقة « الكيسنجرية » ، في انشاء العلاقات الاخوية ، وهي الموسومة عند اهل الفطوة ، بسياسة الخطوة خطوة ، فشيت في ضيافته ليلة ، لن تميل عن خاطري ميله ، فيها عرفت صنوفا من الاطباق والاواني ، لم يتيسر معرفتها لاخواني ، من دجاج للزينة ، عازق لشوكته في « المايونيز » ، ومن مسلوق ومقلو ، ومحروق ومحشو ، وكانت مداخل ليلتها ، خروفا بليته ، أي والله خروف مرة واحدة ، وقف بيدي شاهدة الشيف ، جالت وقالت ، وانحدرت وشالت ، بايقاع ونغم ، عملا بمبدا خير اللحم ما جاور العظم !

ثم انطلقت الى صينية « الماسية » ، من صنع خيرة الحلوانية ، احببت خفق حليبها ، وبرق زبيبها ، ونقيع سكرها ، ولين صنوبرها ، فجعلتها مسك الختام ، والقوم يوشكون بدء الطعام ، وحين تهيأوا للانصراف ، ووضعوا بلاطيهم فوق الاكتاف ، تعمدت الوقوف عنوة ، في وجه صاحب الدعوة ، وابديت رغبتي في تكرار هذا اللقاء المفيد ، ولكنه غير الحديث ، وقال لي « باي باي » بلا اهتمام ، فجاوبته بتحية الاسلام ، وخرجت من عنده ممتلئا ، ومن سمع كمن رأى !

وما مر اربعة ايام ، سارعت بالذهاب الى مصطفى افندي علام ، وجه الهناء ، وواسطة اللقاء ، والذي اخذ بيدي من حي شبرا ، الى المأكلة الكبرى ، وسالته عن حال الرجل الكريم ، الذي فتح لنا ابواب النعيم وعرفت منه انه مصاب بنوبة برد ، منذ يوم الاحد .. فاختصرت لقاء مصطفى ، وبعد ساعة كنت بباب الكريم واقفا ، اسال عن صحته ، وارجو ان امثل في حضرته ، لمجرد الاطمئنان ، والدعاء بالشفاء في اسرع آن ، فادخلوني عليه ، وعندما سلمت هممت بتقبيل يديه ، ولكنه سحبها بلطف وخفة ، فشرعت في الدعاء له بلهفة ، فشكرني وسالني ، من على وعكته دلني ؟ فقلت وهل مثله تخفى انواره ، وتجهل اخباره ؟! واخذني الحماس ، وتتابعت الانفاس ، وانا اقسم انه لعلته اعتلت الشمس ، وضعف نورها عن الامس ، واكدت له انه لن يبتسم الكون ، ويعود للورد الرائحة واللون ، الا اذا لبس ثوب العافية ، وعادت ابتسامته الصافية ، فابتسم في رضاء ، وسالني ان كنت تناولت الغداء ؟ فاجبت ، الحمد لله ، فقال نعم أم لا ؟ اجبته لا ونعم ، يا ولي النعم ، فسالني كيف يجتمعان ، وهما ضدان ، فقلت من دالك الشبع ، ومن استظل بحماك امتنع ، فلا يضره ظما او جوع ، حتى وان لم ير الطعام لمدة اسبوع ! وضحك ضحكة منطلقة ، لما فهم اشارتي اللبقة ، التي كنيت بها عن سوء حالي ، وقلة مالي ، وعلى الفور أمر باطعامي ، ودم ما اتحنى من عظامي ، ودس في يدي « جنيها » باكمله ، فدعوت له ببلوغ امله ، وفعلت ما لم افعله بالجنيه ، ومن يومها وعيني عليه .

وخجلت ان ازوره طيلة الاسبوع التالي ، وصبرت على فعل الليالي ، ومر شهر ، وانا في غاية القهر ، فذهبت اليه وطرقت الباب بكفي ، وقلت « للبواب » قل له الشيخ حنفي ، جاء يهنئ بالشفاء ، ويدعو بطول البقاء ، وبعد لحظات عاد البواب ، يمد لي يده بخطاب ، وحينما فتحته ، طالعني « الجنيه » ، فاغلقته ، وجريت بعد ان رميت على البواب السلام ، فرد الحقير بلا اهتمام ، فقلت ومن يكون هذا الهلفوت ، بجانب ارباب البيوت ، انه الحسد والحقد ، على ما نالني من رفد .

ولم يمض اسبوع واذا برسول يجيء ،

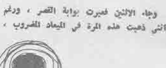
بوجه مضيء ، ويقول « فلان يريدك في الخامسة » أن تحضر ، والحذار أن تتأخر فلبست من الثياب الحاويات اقل الرقع ، ودعكت باليدين كل البقع ، ودهنت حذائي بريقي ، واخذت بسرعة طريقي ، الى حيث يقيم ولي نعمتي ، في « جاردن ستي » ، ووقفت امام « الفيلا » الرائعة ، في تمام الساعة الرابعة ، اظهـارا لحسن نيتي ، واهتمام حضرتي ، ولكنـي جلست حتى الخامسة ملطوعا ، تاخـذني الافكار نزولا وطلوعا ، كسفينة تائهة تبحث عن بر ، حتى اهل وقال على الفور ، اردت ان اراك ، فهل عطلتك عن شيء هنـا او هناك ؟ فاعلنت بخفيض العبارة اني رهن الاشارة ، وكان واقفا فلم اجلس ، وظل صامتا فلم انبس ، واخيرا قال كله تمام ؟ فاجبت بما يناسب المقام ، واني منذ طلقت مهنة التدريس ، وانا بائس تعيس ، فسوق الادب كاسد ، والبركة في امثاله من الاماجد ، فقال اذن اراك بعد اسبوع ، وانتهى الموضوع .

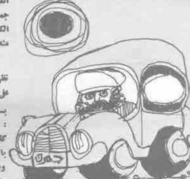
تبا لي وله ، الهذا كانت المقابلة !؟ بل وحتى لم يعطني « الجنيه » المعتاد ، مما جعلني اضرب اخماسا في احاد ، ولما عدت لغرفتي تهيات للنوم ، وانا احسب الاسبوع باليوم ، ولما رايت « الاثنين » هو الموعد ، تفاءلت بطيب المورد ، فهو يوم مبروك ، تجود فيه ايدي الامراء والملوك ، وعاودني السؤال ماذا يريد مني ، حتى اغمض النوم عيني ، وصحوت جائعا اكثر من المعقول ، وبحثت عن بقية صحن فول ، حتى وضعت يدي عليه ، ولكن الفئران كانت اسبق مني اليه ، وهكذا كان يومي من البداية ، اسود من جنـاح « الحداية » .

وجاء الاثنين فعبرت بوابة القصر ، ورغم انني ذهبت هذه المرة في الميعاد المضروب ، الا انني لطعت مثل قالب طوب ، حتى جاء حضرته ، واشرقت طلعته ، وسالني « هـل لديك باسبور » ؟ ولم تكن هذه الكلمة قد نزلت لي من زور ، وادرك لخمتي فقال « جواز سفر » ، فقلت استخرجه ان كان لا مفر ، وقال لي ان اخاه مضطر للسـفر الفـوري ، الى بلد خليجي ، لادارة بعض اعمال المقاولات ، في مهمة قد تمتد سنوات ، فقلت وهل يريدني سكرتيرا له ؟ فضحك وقال « لا يا أبله » ، يريدك مشرفا لولده « سوته » ، طفله المحتاج للمعونة ، فبينه وبين المدرسة ، ثارات مقدسة ، ولا يكره في في الدنيا مثـل « العـربي » ومشتقاته ، وباختصار نريد منك تقويم حياته ، فهل انت مستعد ، للسـفر مع الولـد ؟ فابديت استعدادي ، واعتبـاري الولد كاولادي ، فاستمهلني اسبوعا لاجهز اوراقي ، وعليه هو تدبير الباقي ، ولا اطيل عليك وانت خبير ، فبعد اسبوعين كنت اطـير ، لاول مرة في حياتي ، فاتحا صـدري للآتي ، وفي جيبي « باسبور » ، في اكثر من مكان معهور ! ووصلنا البلد وتركته في مطارها ، ثم سكنت في جوارها ، مرشدا للصبي ومعلما ، وناهضا بالامر وقائما ، آكل واشرب بلا سلف او دين ، واقاضي من الريالات الالفين ، وتتفتح لي ليلة القدر ، في مطلع كل شهر ، واحتلت حتى جعلت الالفين اربعة ، بتعريضي خدمة لابناء ذوي السعة ، ممن يختارون الدروس الخصوصية ، مسالة حيوية .

الى ان فوجئت في يوم نحس ، بانه قد انتهى الدرس ، لان الولد ظهرت عليـه ملامح النجابة ، بعـد ان كان في منتهى الخيابة ، وقد تقدم جدا ، وسيكمل تعليمه في لندن ! وكتمت السهم في كبدي ، بعد ان وقعت ولكن على يدي ، وقبل ان اعود ، جمعت ما لدي من نقود ، واشتريت هـذه العربة وصرت مالكها ، وفي القاهرة دفعت جمركها ، وكان بالعملة الصعبة ، اي ورب الكعبة ! واصبحت على ما انا عليه ، والشكر منه واليه .

ولما سالت حنفي عن رصيده في البنك ، نظر الي بشك ، واقسم بالطلاق ، لا شيء على الاطلاق ، فضحكت من عقليته ، وهناته بسلامة عربته ، وطلبت منه ان نراه ، فقال : ان شاء الله ، ولكن الشيخ حنفي كسابـ، كانه فص ملح وذاب ، ثم سمعنا انه اشتغل بالتصدير ، كما انه مرشح لمنصب كبـير ، وضحكنا هذه الليلة كما لم نضحك من قبل ، وقديما قالوا « رزق الهبل » ..!!





لقطة الشهر



فاز بالجائزة وقدرهـا ٦٠٠ ريال القارىء عبد الكافي علي ـ عدن

تشرين والبنفسج الحزين !

كان تشرين والنسيم ياخذني
يلفني في طيات سحابة بعيدة ..
هنـاك حلمت اني اكبر تنشق
التـربة .. تنبتني .. اغـدو
ريحانا او عطرا ابيض .. كان
جميلا ان احلم وأنتظرك ..
انتظر ان تاتيني في الخريف .. في تشرين
كالريح .. كالزلزال عاصفا ..
او هادئا كالبنفسج الحزين ..
فلتـات ..
فلتات يا عابـد النـار
تعلن ان الموت خرافة
وانت خرافة
اني خرافـة
وشعرك وصـوتك
اعظم .. اعظم خرافة

الجيزة ـ ليلى حسين

جحويات

عنزة جحا



ضاق جحا بعنزة هزيلة
عاشت لديه فترة طويلة
كأنما الزمان قد لوعها
فأصبحت مصفرة عليلة
فقال في السوق غدا أعرضها
للبيع ، ثم اخبر الحليلة ..
بعزمه ، فاستضحكت وقالت :
ومن سيشري البلوة الثقيلة
فقال نامي والصباح آت
اكون قد دبرت اي حيلة
وفي الصباح قال : نظفيها
ومشطي اصوافها النحيلة
واسعي الى السوق بها وانتظري
هناك حيث نصنع المخيله
اما انا فمشتر وابغي
عنزتك المطلوبة المسلولة
قولي بألف درهم ،
ـ كثير !
عليك بالتنفيذ يا جهولة !
فانه اذا يمر شار
نهز في أعماقه فضوله
وهو يرى « العنزاء » صارت مثلا
في سعرها مابا لهالو « فيله » ؟!
وكان ما اراده سريعا
ولاح انسان طويل التيلة
وصح ما توقعاه ، أصغى
الى حديث الصفقة المهولة

لكنه قال : لعل سرا
دعا « جحا » ليقبل المقولة
هل تجلب الحظ ؟.. أتعطي خلفا
يسد قرص الشمس .. ما الدخيله ؟!
لابد ان سرها مساو
لسرها وان تكن أمثولة
فقال هل تبيعني اياها ؟
رد جحا عليك بالعمولة !
فقال أعطيك عليها مائة
زيادة ، أجابه : قليلة !
فزاده خمسين حتى يرضى
وكان ما كان من الاحبولة
وقبل أن يسعى بها سائله
عن سر تلك العنزة النحيلة
قال جحا : لا سر .. غير أني
فكرت في جلودها الصقيلة
لعلها تنفعنا « طبلة »
ندقها في فرح القبيلة !!



حل مسابقة عدد شهر نوفمبر



حل مسابقة من - أين - ما

من : صهيب الرومي
أين : الخندمة
ما : عين زبيدة

حل الجواب الصحيح

١ ـ هارون الرشيد
٢ ـ ٣١٧ هجرية
٣ ـ رابغ
٤ ـ ثاني اكسيد السليكون
٥ ـ قباء
٦ ـ بلال الحبشي
٧ ـ الطواف
٨ ـ المسجد الحرام
٩ ـ طواف القدوم ـ الوقوف بعرفة ـ المبيت بمزدلفة ـ رمي جمرة العقبة بمنى ـ طواف الافاضة ـ طواف الوداع .
١٠ ـ احد .

الفائزون بمسابقة عدد شهر نوفمبر

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارىء محمد احمد على عطا ـ القاهرة .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارىء محمد العربي صالح ـ تونس .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر القارىء عبد الوهاب شرف ـ صنعاء .

الفائزون باشتراك مجاني لمدة سنة
١ ـ سمية محمد شطناوى ـ ابو ظبى
٢ ـ محمد على حسن ابو ابة ـ الاردن
٣ ـ عبد السلام عبد الله دفع الله السعودية
٤ ـ ميسون احمد مارديني ـ سوريا
٥ ـ اياد كمال عبد الكريم ـ الدوحة
٦ ـ جابر محمد حسن خليل كلية الآداب ـ الاسكندرية
٧ ـ عبد المطلب على ادم ـ السودان
٨ ـ صلاح محمود ونيلا ـ السعودية
٩ ـ الأمين الشيخ النور ـ السودان
١٠ ـ السيد محمدى المؤذن ـ ج.م.ع
١١ ـ عبده عبده علي الهربيطى الاسكندرية
١٢ ـ وسام محمد احمد سعيد الأردن .

من . أين . ما

من : ـ

نبي السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم بكل محبة واجلال وتعظيم ، والذي لاقى من اليهود كل عسف وجحود هو ومن تبعه من الموحدين المؤمنين بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والذي بشر بنبي يأتي بعده اسمه أحمد .

اسمه مكون من عشرة حروف في ثلاث كلمات :

١ ـ ١٠ ـ ٢ ـ ٧ كثير شامل
٣ ـ ٨ ـ ٤ مشي في آخر الليل قبيل الفجر
٥ ـ ٦ ـ ٩ شديد

أين : ـ

مسجد اسير حزين ضيعه سوء حال المسلمين سياسيا وعسكريا واجتماعيا ولا يعود بغير الجد والصدق وسيادة روح الجهاد بين المسلمين مهما عقدت المؤتمرات واتخذت القرارات وتغلب القول على الفعل .

اسمه من ستة احرف :
٢ ـ ٥ آخذ شيء بغير حق
١ ـ ٤ ـ ٦ اعطى
٣ ـ ٥ ـ ٢ اروقة او عرق

ما : ـ

شراب حرمته الاديان الكتابية الثلاثة ، يظن الحمقى انه من علامات المدنية والتحضر وهو من اسباب تدهور المجتمعات الاسلامية فضلا عن الاسرة الانسانية كلها . اسمه من ثلاثة احرف :

٣ ـ ١ ـ ٢ طيور تأكل الجيفة في الصحاري .

٢ ـ ٣ صمغ شجر عطرى اهداه الحكماء الى السيد المسيح عليه السلام .

الجواب الصحيح

رتب العناصر الاتية طبقا لاوزانها الذرية من الاخف الى الاثقل :

الزئبق ـ الخارصين ـ القصدير ـ الكبريت الهيدروجين ـ الثوريوم .

فتح طارق بن زياد الاندلس بجنوب اسبانيا ، وبذلك وصلت حضارة الاسلام الى اوروبا فاخرجتها من الظلمات الى النور وكان ذلك بالتقويم الميلادي : سنة ٥٢٠ ـ سنة ٧١١ ـ سنة ١٤٩٢ .

صاحب القصيدة الجاهلية المشهورة باسم لامية العرب هو الشاعر الصعلوك : تابط شرا الشنفري ـ المتنبي .

من اشهر كتب الفقه الاسلامي التي الفها الامام الشافعي رضي الله عنه كتاب :

الام ـ القانون ـ صبح الاعشى

« تصنع مفرقعات (ت.ن.ت.) من احد مشتقات تقطير البترول العربي » .

هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟ ،

النجمة السداسية التي يتخذها الغزاة الصهيونيون رمزا لكيانهم في فلسطين ماخوذة من شكل الدرع الذي كان للملك :

داود ـ سليمان ـ صموئيل .

وطني ان شغلت بالخلد عنه

اكمل البيت واذكر قائله :

ايهما اطول : المسافة من بغداد الى القاهرة ام من بغداد الى صنعاء ؟

الكماة او الفقع من مجموعة النباتات المسماة :

الصنوبريات ـ الفطريات ـ الاشن .

اطول آية في القرآن الكريم تقع في سورة :

الكهف ـ البقرة ـ الحجرات .

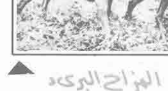




هذا المسجد

هل تستطيع التعرف على اسم هذا المسجد ومكانه ؟. لقد قال صاحبه عندما اراد بناءه : اريد ان ابني بناء ان احترقت البلاد بقي ، وان غرقت البلاد بقي ، وقد بناه في مكان مرتفع يسمى جبل يشكر ، ويقال ان الذي بناه مهندس بيزنطي .. ومازال المسجد يمثل صورة بارزة في التراث الاسلامي .





المزاح البرىء

هذه اللقطة لكلبين يمزحان مع نمر في تايلاند حيث يشتهرون هناك بتدريب الحيوانات الاليفة على الحياة في سلام مع الحيوانات المفترسة .. اكتب تعليق الصورة لتحصل على جائزة ؟

كاريكاتير وتعليق



ضع التعليق المناسب لهذا الكاريكاتير واربح ١٠٠ ريال .

حل مسابقة شهر نوفمبر



- المؤلف هو : الكس هيلي
- الفيلسوف الايطالي ميكافيللي

الفائزون في المسابقة

الفائزون عن الصورة الأولى :

- ايت وارهام احمد ــ مراكش
- مامون يوسف احمد ــ جامعة

الفائزون عن الصورة الثانية :

- نبيل عدنان ابو القاسم ــ ج.م.ع
- عبد الرزاق محمود قدو سوريا

اسماء الفائزين في مسابقة كاريكتير وتعليق

١ ــ لقاء مع مخرج المسلسل التلفزيوني الجديد .

٢ رغم عدم وجود قرن لديك ، فقد استطعنا ان نفهم بعضنا .

٣ ــ طبعا ، ومادام الأمر في نطاق الفكر المنبثق عن القاعدة المنطلقة من المنهج السلطوي النابع عن العقيدة الوحدوية ، فانه في هذا التحلق يسير في مجراه المتجلى .

- ماجد مصطفى فضل ــ العراق
- سمير ابو اليزيد ــ ج.م.ع
- نجية خليل الكشف ــ العريش .





الـورقة الأخيرة

مصطفى سليمان



فى الاساطير الاغريقية قاطع طريق اسمه «بروكرست» كان يمارس هوايته باسلوب غريب ، ومزاج مرعب ، اذ تخضع الضحية التى يشاء لها القدر ان تقع بين يدى « بروكرست » لالوان شاذة من العذاب وهى مستلقية فوق سرير خاص اعده وفق مقاييس محددة لممارسة هوايته الغريبة فى قطع الطرق ، فاذا كانت الضحية الممددة اطول من المقاييس المحددة ، قصها ! واذا كانت اقصر .. مطها ومدها حتى تتوافق بالتطابق مع مقاييس السرير ، المهم مراعاة مبدأ التطابق الذى تحدث عنه « الدوس هكسلى » فى روايته العتيدة (عالم جديد شجاع) حيث يجب ان يراعى مبدأ التطابق فى تصنيع الانسان كيميائيا بين مواصفاته المصنوعة ، ومتطلبات المجتمع الجديد الشجاع .

تلك اذن شريعة قطع الطريق وقوانينها عند « بروكرست » وقد توارثت الانسانية ذلك ومددت فوقه ضحاياها من العظماء النوابغ ، الذين تمردت قاماتهم ولم تكن مقاييسها تتطابق مع مقاييس السرير

هكذا مدد فوق سرير « بروكرست » سقراط و (برونو) و (سافونارولا) و (جاليليو) و (غارثيالوركا) و (الحلاج) و (احمد بن حنبل) و (بشار بن برد) .... الخ .

وفى روسيا الستالينية نصب (جادانوف) سريره العقائدى ومدد فوقه مئات من الشعراء والروائيين والرسامين ، الذين تمردت قاماتهم على سريره الحديدى ، فنزل المفكرون الى تحت الارض يكتبون بالرفش والمعول على ضوء الحرية فى الانفاق الرطبه حيث يهربون الاشعار والقصص وكانهم يهربون (الماريجوانا) او الحشيش .

وبقى اخرون ، ما يزالون يحفرون الانفاق .. باقلامهم ، ينتظرون الخروج ، ومن تحت الارض خرج (بوريس باسترناك و (الكسندر سولجنتسين) الى الشمس .

وفى امريكا ، نصب (يوجين مكارثى) سريره الليبرالى ومدد فوقه كل مثقف امريكى وردت فى مقالاته كلمة (الاشتراكية) او (الصراع الطبقى) حتى لو حُدث ذلك خطا مطبعيا..! .

وفى مصر شن (اسماعيل صدقى) مكارثى مصر باسم محاربة الشيوعية ايضا حملة شعواء على المفكرين الذين تمردت قاماتهم على مقاييس سرير « بروكرست » ! فاغلق فى ليلة واحدة اثنتى عشرة جريدة ومجلة وارسل كلابه البوليسية تحت جنح الظلام ، لتنبح على مائتين من الكتاب والصحفيين وهم نيام فى هداة الليل .

تلك شريعة قطع الطرق الثقافية وفق شريعة « بروكرست » وهمانيته . وفى دروب المثقف العربى اليوم تنصب مئات من الاسرة من طراز (بروكرست) المصنوعة وفق مقاييس ثابتة محددة .

والويل للعابرين الذين تمردت قاماتهم وثارت على معايير السرير . ولقد بات لزاما على المثقف العربى قبل ان يفكر او يكتب ان يقيس قامته ، فان توافقت مع سرير (بروكرست) فليكتب ، وليمنح تاشيرة المرور دون الاستلقاء على سرير (بروكرست) ، وان طالت قامته او قصرت فالويل له ! لان سرير (بروكرست) سيعالج قامته المتفردة.. قصا ، ومطا ومدا .. حتى تستقر فوقه وفق المقاييس المرسومة .

لذلك ، ينتشر ادب الانفاق السرية فى الثقافة العربية ، وتهرب الدواوين الشعرية من السجون ، كما يهرب الحشيش اليها ، وتخرج المنشورات الرطبه من تحت الارض لتزفر هواء الحرية ، حتى يستنشقها الساكنون فوق الانفاق ، والذين يخنقهم التنفس فى .. الهواء الطلق ! . ولذلك ايضا تهاجر الصحافة العربية الى لندن وباريس وغيرهما .. ولذلك ايضا تهاجر النوارس المقيدة صوب الشمس خوفا من قص قوادمها او مط خوافيها ! .. فهل ياتى زمن يقص فيه سرير (بروكرست) ان هو طال ، ويمدد ان هو قصر ليستوعب قامات العابرين ، فيمرون فى مخافر الحدود وقاماتهم متحفظة بمقاييسها هى ، وليس بمقاييس سرير (بروكرست) ؟.

بقلم مصطفى سليمان

طبعت بمطابع علي بن علي
Ali Bin Ali Printing Press - Doha